بسم الله الرحمن الرحيم
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
فاطر-١٠

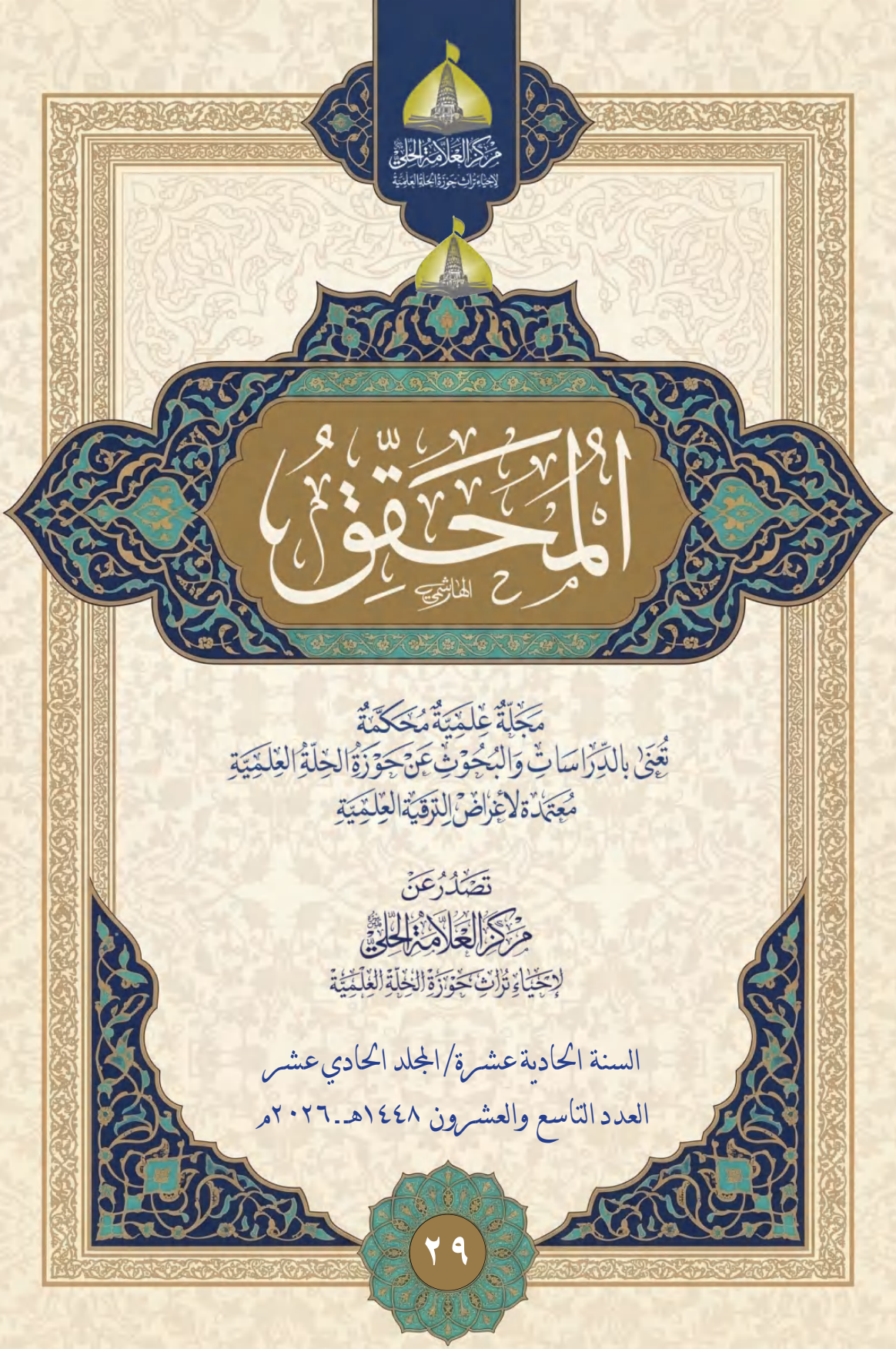
مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث جوزة الحلة العلمية
المحقق
الهاشمي
مجلة علمية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث عن حوزة الحلة العلمية
معتمدة لأغراض الترقية العلمية
تصدر عن
مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية
السنة الحادية عشرة/ المجلد الحادي عشر
العدد التاسع والعشرون ١٤٤٨هـ.٢٠٢٦م
٢٩

بطاقة فهرسة
مكتبة العتبة الحسينيّة المقدّسة

مصدر الفهرسة: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

رقم تصنيف:LC BP1.1.M84

العنوان: المحقق: مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث تصدر عن مركز العلَّامة الحلِّي ﷺ

بيان المسؤولية: العتبة الحسينية المقدسة. مركز العلَّامة الحلِّي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية.

بيانات الطبع: الطبعة الأُولى.

بيانات النشر: كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية.

الوصف المادي: مجلد.

سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة).

سلسلة النشر: (مركز العلَّامة الحلِّي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية).

نمط تاريخ الصدور: السنة الحادية عشرة، العدد التاسع والعشرون (١٤٤٨هـ / ٢٠٢٦م).

تبصرة ببليوجرافية: الوصف مأخوذ من: السنة الأولى، العدد الثاني (١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م).

مصطلح موضوعي: تراث حوزة الحلة- عقائدي- فكري- تاريخي-أدبي.

مصطلح موضوعي: علماء -أدباء- محققون حليون.

مصطلح موضوعي: مراقد علماء. تراث الحلة المخطوط.

موضوع جغرافي: الحلة (العراق) - الحياة الفكرية - دوريات.

اسم هيئة إضافي: العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق)، مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية. جهة مصدرة.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

الرقم: ب ت 4 / 8695
التاريخ: 2019/09/12

No.:
Date:

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / مكتب السيد الأمين العام

م/ مجلة المحقق

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ٧٥٣٩ والمؤرخ في ٢٠١٩/٣/٣١ المتضمن طلب الموافقة على اعتماد **مجلة المحقق** التي تصدر عن مركز العلامة الحلي لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية لأغراض النشر والترقيات العلمية ، حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي على اعتماد المجلة المذكورة أعلاه لأغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها في موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية الذي تشرف عليه دائرتنا .

راجين تسمية مخول عن المجلة لمراجعة دائرتنا بغية تزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة أعدادها .

... مع وافر التقدير

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
١١ /٩/ ٢٠١٩

نسخة منه الى :
- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / اشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠١٩/٩/١١ المثبتة على اصل مذكرتنا المرقمة ب ت م٦٣٥٧/٤ في ٢٠١٩/٩/١١ / للتفضل بالاطلاع . مع التقدير
- قسم إدارة المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم .. مع التقدير .
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات .
- الصادرة .

م.م. محمد رياض
١١/ أيلول

مَجلّةٌ عِلميّةٌ مُحكّمةٌ
تُعنى بالدّراساتِ والبُحوثِ عن حوزةِ الحلّةِ العلميّةِ
مُعتمدةٌ لأغراضِ الترقيةِ العلميّةِ

معتمد اللغة الانكليزية

م.م. جعفر عيسى عبد العباس

التصميم

أوس عبد علي

الإخراج الفني

سيف باسم ناجي

الموقع الالكتروني للمجلة

https://almuhaqaq.alamaalhilli.org

الترقيم الدولي issn

2521- 4950

2958 - 5422

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية :

٢٢٣٦ لسنة ٢٠١٧م

عنوان المجلة

العراق- بابل- الحلة-شارع الأطباء-بناية متحف-الحلة المعاصر

ارقام هاتف المجلة

TeL. +9647732257173

+ 9647808155070

+ 9647813379806

البريد الالكتروني للمجلة

alalama.alhilli@yahoo.com

mal.muhaqeq@yahoo.com

رئيسُ التَّحرير

أ.د. عباس هاني الجراخ

مدير التحرير

أ. م. د. بدر ناصر حسين السلطاني

هيأة التحرير

أ.د. علي محسن بادي

العراق - الناصرية

أ.د. بلاسم عزيز شبيب الزاملي

العراق - النجف الأشرف

أ.د. عدي جواد الحجار

العراق - النجف الأشرف

أ.د. رزاق حسين فرهود

العراق - النجف الأشرف

أ.د حيدر محمد علي السهلاني

العراق - النجف الأشرف

الشيخ عبد الله بن علي الرستم

المملكة العربية السعودية

أ.د. وليد محمد السراقبي

سوريا

أ. د. عبد المجيد محمد الاسداوي

مصر

أ.د. علي عبد الحسين عبد الله المظفر

العراق - النجف الأشرف

أ.م. د. صلاح حسن هاشم الاعرجي

العراق - بابل

أ.م.د. كريم حمزة حميدي

العراق - بابل

م. د. قيس بهجت العطار

إيران

م.د. محمد عبد الهادي شاكر العامري

العراق - النجف الأشرف

سياسة النشر

(١) مجلّـة (المحقِّـق) مجلّـة محكَّمة، تصدر ثلاث مرات سـنويًّا عن مركـز العلامة الحلي التابع للعتبة الحسـينية المقدّسة، تستقبل البحوث والدراسات من داخل العراق وخارجه ضمن المحاور الآتية:

* القرآن وعلومه (التفسير والمفسرون، وعلوم القرآن، والقراءات القرآنية).
* الفقه وأصوله (فقه مقارن، وفقه استدلالي، وأصول الفقه).
* الحديث وعلم الرجال (علم الرجال، وحديث المعصوم).
* العلوم العقلية (منطق، علم الكلام، فلسفة).
* علـوم اللغـة العربية (دراسـة صوتيـة وصرفية، دراسـة تركيبية، دراسـة دلالية، دراسة أدبية وبلاغية).
* الدراسات التاريخية (تراجم، أحداث ووقائع).
* الأخلاق والعرفان (أخلاق، تصوف، عرفان).
* معارف عامة (معارف صرفة، معارف إنسانية).
* تحقيق النصوص (نصوص محقّقة، نصوص مجموعة).
* الببلوغرافيا والفهارس.

(٢) يكون البحث المقدّم للنشر ملتزمًا بمنهجية النشر العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًّا.

(٣) أن لا يكـون البحـث قـد نُشر سـابقًا أو حاصلًا على قبـول للنشر، أو قُـدّم إلى مجلة أخرى، ويوقع الباحث تعهدًا خاصًّا بذلك.

(٤) لا تنشر المجلة البحوث المترجمة إلَّا بعد تقديم ما يثبت موافقة الكاتب الأصلي وجهة النشر على ترجمة البحث ونشره.

(٥) يتحمـل الباحث المسـؤولية الكاملة عن محتويات بحثه المرسـل، وتعبر البحوث عن آراء كُتَّابها،ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

(٦) يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنية تتعلَّق بهوية المجلة ومحاورها.

(٧) تُبلّغ المجلةُ الباحثَ تسـلُّم بحثه خلال مدة لا تتجاوز عشرة أيام بدءًا من تاريخ تقديمه له.

(٨) تبلّغ المجلةُ الباحثَ بالموافقة من عدمها على نشر بحثه في مدّة لا تتجاوز الشهرين ابتداءً من تاريخ تسلُّم البحث.

(٩) لاتعاد البحوث غير المقبولة للنشر إلى أصحابها.

(١٠) يلتزم الباحث بإجراء التعديلات اللّازمة على بحثه على وفق تقارير هيأة التحرير أو المقومين، وإعادته إلى المجلة خلال أسبوع من تاريخ تسلمه التعديلات.

(١١) البحوث المقدمة للنشر جميعها تخضع لعملية التقويم العلمي من ذوي الاختصاص، وإلى فحص الاستلال الإلكتروني.

(١٢) تنقـل حقوق النشر والطبـع والتوزيع الورقي والإلكـتروني للبحوث إلى المجلة على وفق صيغة تَعَهُّدٍ يقوم الكاتب بتوقيعها، ولا يحق لأيّ جهة أخرى إعادة نشر البحث أو ترجمته إلَّا بموافقة خطية من الباحث ورئيس تحرير المجلة.

(١٣) لا يجـوز للباحث أن يسـحب بحثه بعد صدور قـرار قبول النشر، ولكن يجوز له ذلك قبل صدور ذلك القرار، وبموافقة السيد رئيس التحرير حصرًا.

(١٤) يتوجَّـب على الباحث الإفصاح عن الدعم المالي أو أيٍّ من أنواع الدعم الأخرى المقدمة له خلال مدة البحث.

(١٥) يتوجَّب على الباحث إبلاغ رئيس التحرير عند اكتشافه خطأ كبيرًا في البحث، أو عدم الدقّة في المعلومات، وأن يسهم في تصحيح الخطأ.

دليل الباحثين

(١) تستقبل المجلة البحوث والدراسات التي تكون من ضمن محاورها المبينة في سياسة النشر.

(٢) أن يكون البحث المقدَّم للنشر أصيلًا، لم يسبق نشره في مجلة أو أيّ وسيلة نشر أخرى.

(٣) أن يوافق الباحث على حصر الحق للمجلة وما يتضمنه مِن النشر والتوزيع الورقي والإلكتروني والخزن وإعادة الاستخدام للبحث.

(٤) أنْ لا تزيد عدد صفحات البحث المقدَّم للنشر عن أربعين صفحة.

(٥) ترسل البحوث إلى المجلة عبر بريدها الالكتروني .alalama.alhilli@yahoo.com و.mal.muhaqeq@yahoo.com

(٦) يكتب البحث المرسل للنشر ببرنامج الـ (word) أو (LaTeX) وبحجم صفحة (A4) ويكتب متن البحث بنوع خط Times New Roman وبحجم (١٤).

(٧) يُقدَّم ملخص للبحث على أن لا يتجاوز (١٠٠) كلمة؛ وفيه خمس كلمات مفتاحية.

(٨) أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على المعلومات الآتية:

* عنوان البحث.
* اسم الباحث / الباحثين، جهات الانتساب.
* البريد الإلكتروني للباحث / للباحثين.
* الملخص والكلمات الدلالية.

(٩) يكتب عنوان البحث في وسط الصفحة وبنوع خط (Times New Roman) وحجم (١٦) Bold.

(١٠) يكتب اسم الباحث / الباحثين في وسط الصفحة وتحت العنوان وبنوع خط (Times New Roman) وبحجم (١٢) Bold.

(١١) تكتب الكلمات الدلالية التي لايتجاوز عددها خمس كلمات بنوع خط (Times New Roman) وبحجم (١١) Justify، Italic.

(١٢) جهات الانتساب تثبت على النحو الآتي:(القسم، الكلية، الجامعة، المدينة، البلد) ومن دون مختصرات، مع البريد الالكتروني.

(١٣) عند كتابة ملخص البحث، تجنب المختصرات والاستشهادات.

(١٤) عدم ذكر اسم الباحث / الباحثين في متن البحث على الإطلاق.

(١٥) تراعى الأصول العلمية المتعارف عليها في كتابة الهوامش للتوثيق بذكر اسم المصدر ورقم الجزء والصفحة، مع ضرورة أنْ تكون مرقمة ترقيماً متسلسلًا، وتُوضع في نهاية البحث، عدا النصوص المحققة.

(١٦) يلتزم الباحث بالشروط الفنية المتبعة في كتابة البحوث العلمية من حيث ترتيب البحث بفقره وهوامشه ومصادره، كما يجب مراعاة وضع صور المخطوطات (للنصوص المحققة) في مكانها المناسب في متن البحث.

(١٧) تثبيت قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وحسب صيغة (Harvard Reference style).

(١٨) تُثبَّتُ الدراسات التي استعان بها الباحث في متن البحث أو الجداول أو الصور في قائمة المصادر.

(١٩) يلتزم الباحث / الباحثون بالإجابة عن السؤال الآتي: هل كُتب البحث المقدِّم للنشر في ظل وجود أي علاقات شخصية أو مهنية أو مالية يمكن تفسيرها على أنها تضارب في المصالح؟

دليل المقوّمين

إنَّ المهمة الرئيسة للمقوم العلمي للبحوث المرسلة للنشر، أن يقرأ البحث الذي يقع في ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة على وفق رؤى ومنظور علمي أكاديمي لا يخضع لأيّ آراء شخصية، ومن ثَمَّ يقوم بتثبيت ملحوظاته البناءة والصادقة عن البحث المرسل إليه.

قبل البدء بعملية التقويم، يرجى من المقوم التأكد من البحث المرسل إليه يقع ضمن تخصصه العلمي أو لا؟، فإن كان البحث ضمن تخصصه العلمي، فهل يمتلك المقوم الوقت الكافي لإتمام عملية التقييم ؟ إذ إنّ عملية التقويم يجب أن لاتتجاوز عشرة أيام.

بعد موافقة المقوم على إجراء عملية التقويم وإتمامها في المدّة المحددة، يرجى إجراء عملية التقويم على وفق المحددات الآتية:

(١) أن يكون البحث أصيلًا ومهمًّا.

(٢) أن يتفق البحث والسياسة العامة للمجلة وضوابط نشرها.

(٣) هل فكرة البحث متناولة في دراسات سابقة؟ إذا كان الجواب نعم، يرجى الإشارة إلى تلك الدراسات.

(٤) مدى انطباق عنوان البحث على البحث نفسه ومحتواه.

(٥) هل أنَّ ملخصَ البحث يوضح مضمون البحث وفكرته؟

(٦) هل تصف مقدمة البحث ما يريد الباحث الوصول إليه وتوضيحه توضيحًا دقيقًا؟ وهل أوضَحَ فيها المشكلة التي قام بدراستها؟.

(٧) مناقشة الباحث للنتائج التي توصل إليها في بحثه بشكل علمي ومقنع.

(٨) أن تجرى عملية التقويم بشكل سري، وعدم اطلاع الكاتب على أي جانب فيها.

(٩) إذا أراد المقومُ مناقشةَ البحث مع مقوم آخر يجب إبلاغ رئيس التحرير بذلك.

(١٠) أن لا تكون هنالك مخاطبات ومناقشات مباشرة بين المقوم والباحث فيما يتعلق ببحثه المرسل للنشر، وأن ترسل ملحوظات المقوّم إلى الباحث عن طريق مدير تحرير المجلة.

(١١) إذا رأى المقوم أنَّ البحث مستلٌّ من دراسات سابقة، توجب عليه بيان تلك الدراسات لرئيس تحرير المجلة.

(١٢) إن ملحوظات المقّوم العلميّة وتوصياته سيعتمد عليها بشكل رئيس في قرار قبول البحث للنشر أو عدمه، كما يرجى من المقوّم الإشارة- وبشكل دقيق -إلى الفقرات التي تحتاج إلى تعديل بسيط يمكن أن تقوم بها هيأة التحرير، وإلى تلك التي تحتاج إلى تعديل جوهري ليقوم بها الباحث نفسه.

المحتويات

١- دَوْر العُرفِ في فقه ابن إدريس

أ.م.د. داريوش بخرديان/ الجامعة الإسلاميّة الحرّة، شيراز، أ.م.د. محمّد تقي قبولي درافشان/ جامعة الفردوسي، أ.م.د. محمّد تقي فخلعي/ جامعة الفردوسي، ترجمة: محمّد حسين حكمت/ مركز العلَّامة الحلّيّ قدس سره..... ١٩

٢- المفاهيمُ الاعتباريةُ عند العلَّامة الحلّيّ

أ.م.د. محسن دريابيكي/المجلس الأعلى للثورة الثقافية، طهران، سعيد أعلمي/ طهران، د. صقر صبوح / مركز العلَّامة الحلّيّ قدس سره..... ٤٥

٣- الأثر المحوري للمدرسة الحليَّة في صياغة الفكر العرفاني الإمامي (ق هـ ٧ -٩)

علي حسن أحمد القطان البستاني/النجف الأشرف..... ٧٥

٤-الأَميرُ عَبدُ اللهِ الفَارِسِ الحَسَنِيُّ حَيَاتُهُ، ومَرقَدُهُ في الحِلّةِ الفَيحَاءِ

حيدر شاكر محمود الجد/ النجف الأشرف..... ١١٥

٥- أبعاد مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف ومساحته في الحلّة من خلال مراجعة التاريخ الاجتماعي

د. سعيد طاوسي مسرور/ جامعة العلَّامة الطباطبائي، ترجمة: محمد حسين حكمت..١٤٩

٦-شعر يحيى بن البطريق الحلي

جمع تحقيق: د. سعد الحداد/ مركز العلَّامة الحلّيّ قدس سره..... ١٧١

٧-نسخة نفيسة من كتاب (قواعد الأحكام) دراسة وصفية تحليلية

تحقيق: سعيد الجمالي/مركز العلَّامة الحلّيّ قدس سره، قُم المشرفة..... ٢١٩

٨- ساكبُ العَبَرَات لقوام الدين القزويني (ت ١١٥٠هـ)

أ.م.د. جواد كاظم عبد/ كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى..... ٢٥٥

بحوث العدد

دَوُر العُرفِ في فقه ابن إدريس

أ.م.د. داريوش بخرديان
الجامعة الإسلاميّة الحرّة، شيراز
alsari.ayad@gmail.com

أ.م.د. محمّد تقي قبولي درافشان
جامعة الفردوسي، مشهد

أ.م.د. محمّد تقي فخلعي
جامعة الفردوسي، مشهد

ترجمة: محمّد حسين حكمت
مركز العلّامة الحلّيّ، قسم الترجمة

رابط البحث: https://doi.org/10.62745//muhaqqiq.v11i29.420

الملخص

إنَّ إدراكَ ابن إدريس لمزايا عصره، ووعيه لظروف المجتمع الذي يعيش فيه، وسعيه لحلّ ما يجابهه من المشاكل، كلّ ذلك تسبب في سعيه للتغلّب على أجواء الركود والسكون المهيمنة على الفقه في عصره. ومن خلال وصفه لهذا العصر بعصر عقم العقول والتخلّف الذهني، وضمن اعتراضه على آراء الماضين فتَحَ الأبواب أمام الأخذ بنظر الاعتبار لدور الزمان والمكان في التحوّل الفقهي ووضع الأُسس اللازمة لفقه جديد. يعرّف ابن إدريس العُرف أنّه العمل أو القول الشائع بشكل دائم بين أوساط الناس. ورأى أنّ العرف لمّا كان له منشآن متفاوتان أنْ تكون له وظيفتان: وظيفة استقلاليّة تتولّى كشف الحكم، ووظيفة آليّة تؤدّي مهمّة تعيين الموضوعات ومصاديق الأحكام وبيان معاني الألفاظ.

الكلمات المفتاحيّة:

ابن إدريس، العُرف، الفقه، الاجتهاد.

The Role of ʿUrf in the Jurisprudence of Ibn Idrīs

Asst. Prof. Dr. Darioush Bokhordian /Islamic Azad University, Shiraz.
alsari.ayad@gmail.com
Asst. Prof. Dr. Mohammad-Taqi Qabuli Darafshan/ Ferdowsi University of Mashhad.
Asst. Prof. Dr. Mohammad-Taqi Fakhlai/ Ferdowsi University of Mashhad
Translated by: Mohammad-Hossein Hekmat, Allama al-Hilli Center, Translation Department

Abstract

Ibn Idrīs's recognition of the merits and particularities of his era, together with his awareness of the circumstances of the society in which he lived and his efforts to address the problems confronting it, led him to seek to overcome the atmosphere of stagnation and intellectual inertia that dominated jurisprudence during his time. By characterizing his age as one marked by the sterility of intellect and intellectual backwardness, and by challenging the opinions of earlier jurists, he opened the way for consideration of the role of time and place in the transformation and development of Islamic jurisprudence, thereby laying the necessary foundations for a renewed approach to jurisprudential thought.

Ibn Idrīs defines ʿurf as a practice or verbal expression that is commonly and consistently prevalent among people. He further maintains that, since ʿurf has two distinct origins or modes of emergence, it may perform two different functions. The first is an independent function, through which ʿurf contributes to the discovery and determination of the legal ruling. The second is an instrumental function, through which it serves to identify the subjects and concrete instances to which legal rulings apply, as well as to clarify the meanings of terms and expressions.

Keywords:

Ibn Idrīs, ʿUrf; Islamic Jurisprudence, Ijtihād.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أولًا: موضوع البحث

على الرغم من أنّ الوحي في المنظار الإسلامي هو المصدر الأصلي لجميع الأحكام والقوانين الفقهيّة، وأنّ التشريع أمرٌ خاصّ بالله، إلا أنّه يُستفاد من العُرف كأحد المصادر الفقهيّة المتغيّرة، فيعدّ عاملًا مستقلًّا يتولّى تشخيص الحكم حينًا، ومصدرًا تفسيريًّا حينًا آخر[١].

وتشير مطالعة كتب الفقهاء الماضين إلى عدّهم العُرف واحدًا من مصادر الفقه على الرغم من أنّهم لم يذكروه إلى جانب سائر المصادر الأربعة.

ثانيًا: المقدّمات النظريّة للبحث

الأول: مسلك الإحاطة بالعرف في اجتهاد ابن إدريس

كان للاجتهاد معانٍ متفاوتة في العصور المختلفة، ولهذا نرى بعض فقهاء الصدر الأوّل يرفضون الاجتهاد ويعدّونه باطلا[٢]. والاجتهاد المذموم كان مرادفًا للرأي الشخصي، والقياس هو المصداق البارز له، إلا أنّ معنى مفردة (الاجتهاد) تغيّر بالتدريج حتّى صار بالإمكان تسمية الشيعة بأنّهم أهل الاجتهاد[٣]. وأقدم النصوص الواردة في آثار العلماء الشيعة التي تشير إلى هذا التغيير هي عبارة المحقّق الحلّي في بيانه لحقيقة الاجتهاد[٤].

وهناك بعض الفقهاء يعتقدون أنّ الاجتهاد كان معروفًا ومتداولًا في زمن الأئمّة عليهم السلام وموجودًا في زمن المحدّثين أيضًا، وهم يستنتجون ذلك من تعريف الاجتهاد الذي على أساسه يمكن للفقيه أن يصل إلى الحكم الفقهي بالاستفادة من علمه[٥].

وقد أشار ابن إدريس إلى هذا المعنى من خلال نقله لرواية عن الإمام

الصادق عليه السلام يقول فيها: «إنّما علينا أن نلقي إليكم الأُصول وعليكم التفريع». وإذا كان معنى الاجتهاد هو (إرجاع الفروع إلى الأُصول) و(استنباط الأحكام من القواعد الكلّيّة) فحينئذٍ لا يتضمّن أيّ معنىً سلبيّ، وهذا ما يجعل ابن إدريس يقبل به[٦]. ومع هذا فإنّ ابن إدريس في بعض الموارد يشير إلى معنى مذموم للاجتهاد وهو (الاجتهاد بالرأي) ويعتبره باطلًا مع القياس والاستحسان[٧].

والذي يؤيّد ما ذكرناه أنّه في بحثه عن (شروط القاضي) بيّن بعض الشروط التي يظهر منها قبوله للاجتهاد، وذلك حين ذكر أنّ القاضي يجب أن يكون عالمًا بالكتاب والسنّة والإجماع واختلاف اللهجات والعرف «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[٨]. ثمّ فسّر (العلم بالكتاب) بأنّه الاطّلاع على العامّ والخاصّ، والناسخ والمنسوخ، وما شابه ذلك، وفسّر (العلم بالسنّة) بمعرفته للأخبار المتواترة والآحاد[٩]. ورغم أنّ ابن إدريس لم يستعمل مفردة (الاجتهاد) في آثاره لكنّه يفسّر العلم بنحو يمكن تطبيقه على الاجتهاد.

وبعبارات صريحة يبيّن ابن إدريس الطريق الصحيح للاجتهاد والفقاهة قائلًا: «فإنّ الحقّ لا يعدو أربع طرق: إمّا كتاب الله سبحانه، أو سنّة رسوله صلى الله عليه وآله المتواترة المتّفق عليها، أو الإجماع، أو دليل العقل. فإذا فقدت الثلاثة، فالمعتمد في المسائل الشرعيّة عند المحقّقين الباحثين عن مأخذ الشريعة التمسّك بدليل العقل فيها»[١٠]. ومن هذا يظهر أنّ ابن إدريس يرى الاجتهاد مساويًا للعقل، وأنّ الطريقة الاجتهاديّة في الوصول إلى الأحكام إنّما تكون فاعلة ومجدية عندما تكون الأدلّة الأُخرى ساكتة في هذا المورد.

ولمّا كان الفقه ذا الصلة بحياة الناس اليوميّة وحقوقهم وتكاليفهم، فإنّ العرف له دوره الكبير في استنباط أحكامهم الفقهيّة، بل إنّهم جعلوا معرفته شرطًا من شروط الاجتهاد، وعليه فإنّ الفقيه يجب أن يقرن دومًا مباحثه العلميّة وتدقيقه العقليّ بمراعاة ما يقتضيه العرف ليصدر حكمه بناءً على ذلك.

الثاني: مفهوم العرف

يوافق أغلب العلماء على حجّيّة العرف، لكنّهم يذكرون طرقًا مختلفة لحجّيّته: فبعضهم يقول بحجّيّته الذاتيّة؛ لأنّ العرف وسيرة العقلاء منشؤهما هو الفطرة[١١]، وبعضهم الآخر يقول باحتياج حجّيّة العرف إلى الإمضاء، ويعُدُّ عدم الردع كافيًا للحجّيّة[١٢]، في حين يعتقد بعضُهُم أنّه في حالة عدم ثبوت المنع والردع عن العرف فإنّ العرف يكون حجّة[١٣]. والأدلّة المقامة على حجّيّة العرف هي: سيرة العقلاء، وسيرة الشارع[١٤].

١ـ العرف في اللغة

العُرف ضدّ النُّكر، وهو عبارة عن الشيء الذي تراه النفس حَسَنًا وتميل إليه وتطمئنّ به[١٥]، كما أنّ العُرف هو العادة الجارية بين الناس، أمّا العادة الجارية لدى أفراد خاصّين فلا يقال لها عرفًا[١٦].

٢ـ العرف في الاصطلاح

يعتقد البعض أنّ العرف في الاصطلاح الفقهي هو عبارة عن: ما تطمئنّ به النفوس من الناحية العقليّة، ويقبله الوجدان[١٧]، لكنّ الذي نراه هو أنّ هذا التعريف ليس كاملًا ولا شاملًا؛ لأنّ إدخال (شهادة العقل والوجدان السالم) في تعريف العرف لا يصحّ من جهتَين: فالعرف يتغيّر تبعًا للزمان والمكان، والشيء الذي يشهد به العقل أو الوجدان السالم لا يكون قابلًا للتغيير؛ ولأنّ العرف ينقسم إلى قسمين هما الصحيح والفاسد، في حين أن الشيء الذي يشهد له الوجدان السليم لا يفسد[١٨].

إذن يمكن تعريف العرف بأنّه عبارة عمّا استقرّت عليه عادة الناس في البيع والشراء والتأجير وسائر المعاملات، بحيث يمكن للمتكلّم أن يطلق كلامه اعتمادًا عليه[١٩]،

أو أنّه ما اعتاده الناس وساروا عليه في الأفعال أو الأقوال الشائعة بينهم[٢٠]، أو أنّه عبارة عن السنن والتقاليد الجميلة الجارية في المجتمع التي يعرفها عقلاء المجتمع، على العكس من الأعمال الشاذّة والنادرة التي يستنكرها العقل الاجتماعي[٢١].

ويعبّر الإمام الخميني عن العرف العامّ أحيانًا بعبارات مثل (بناء العقلاء) و(الطرق العقلائيّة) و(الأمارات العقلائيّة) و(سيرة العقلاء)، وفي تعريفه كتب يقول: «الأمارات العقلائيّة [هي تلك الأشياء] التي يعمل بها العقلاء في معاملاتهم وسياساتهم وجميع أُمورهم، بحيث لو ردعَ الشارع عن العمل بها لاختلّ نظام المجتمع ووقفت رحَى الحياة الاجتماعيّة»[٢٢].

والاستفادة من مثل هذه العبارات عن العرف نشاهدها أيضًا في كلام أكثر علماء الشيعة، إذ قالوا: إنّ بناء العقلاء هو عبارة عن استمرار العمل بالأُسلوب العامّ لجمهور العقلاء في كلامهم ومعاملاتهم وسائر علاقاتهم الاجتماعيّة دون الالتفات إلى أديان والشعوب وطقوسها[٢٣].

الثالث: علاقة العرف بالأحكام الشرعيّة

العلاقة بين العرف والأحكام الشرعيّة من المباحث الفقهيّة الدقيقة والحسّاسة التي تعيّن إلى حدّ ما علاقة الفقه بالزمان والمكان أيضًا، فالفقهاء اختلفوا في مدى تأثير العرف في استنباط الأحكام. فذكر آية الله السبحاني أنه في بعض الأحيان توجد في الشرع مفاهيم تكون موضوعًا للأحكام، إلا أنّ بعض مصاديقها مجملة. وفي هذه الحالات إذا أردنا معرفة كونها من المصاديق أو لا، فعلينا الرجوع إلى العُرف[٢٤]. ومن أمثلة ذلك قيام العرف بتعيين مصداق كلب الصيد المعلَّم[٢٥].

وجاء في تسهيل المسالك: كلّ ما لم يقدّره الشارع بمقدار فالحاكم فيه هو العرف[٢٦].

أمّـا صاحـب الأُصول العامّة للفقه المقارن فقد بـيّن أصناف العرف بقوله: إنّ مجالات العرف ثلاثة:

١ـ ما يُستكشـف منه حكم شرعي في ما لا نصّ فيه، مثل عقد الفضولي. وإنّما يُكتشـف منـه هذا الحكم بعد إثبـات كونه من الأعراف العامّـة التي تتخطّى طابع الزمان والمكان لنسـتطيع أن نبلغ بها عصر المعصومين ونضمن إقرارهم لها لتصبح سنّة بالإقرار.

٢ـ ما يُرجع إليه لتشـخيص بعض المفاهيم التي أوكلَ الشارعُ أَمرَ تحديدها إلى العرف، مثل لفظ الصعيد (التربة المستخدمة في التيمّم).

٣ـ المجـال الـذي يُرجع إليه لاستكشـاف مـرادات المتكلّمـين عندما يطلقون الألفاظ، سواء كان المتكلّم هو الشارع أم غيره.

والعـرف في المجـال الأوّل ليس هـو المناط في الحكم، بل إنّ تأييد الشـارع هو الـذي اتّخـذ مناطًا للحكم. أمّا المجـالان الآخران فإنّهما لمّا لم يكونـا مناطًا للحكم، فلا يزيد أمرهما على تشخيص صغريات السنّة حكمًا أو موضوعًا. وهكذا فالعرف ليس أصلًا، ولا يندرج ضمن سائر الأُصول[٢٧].

ويرى العلاّمة محمّد جواد مغنية أنه يجب الانتباه إلى أنَّ العُرفَ لا يمكنه وحده أن يكـون مصـدرًا مـن مصـادر التشريـع إلا في حالة تأييـد الشـارع وتقريره، وفي هـذه الحالة لا يكون المبنى هو العرف بل تقرير الشـارع، ولكـن يمكن للعرف أن يشخّص الموضوعات التي ليس لها حقيقة خاصّة في الشرع. مثال ذلك أنّ الشارع عندمـا يقـول: «لا ضرر ولا ضِرار» فتشـخيص الـضرر يقع على عاتـق العرف... وكما يقول الأُصوليّون: إنّنا نرجع إلى العرف في الشـبهات الحكميّة لا في الشبهات الموضوعيّة[٢٨].

ورغـم أنّ مـراد الكاتب هو أنّ العـرف يمكن أن يمثّل صغـرى القياس، ولا يمكنـه في أيّ حـالٍ من الأحوال أن يكون في مقام الكبرى، إلا أنّ الذي نعتقده هو عـدم صحّة هـذا الرأي؛ لأنّ الحالة في الشـبهات الحكميّة ـ كالشّـك في الحرمة أو الحلّيّة ـ لا يكون العرف قادرًا على التشـخيص، وذلك خلاف الحالة في الشـبهات الموضوعيّة كالشكّ في كون حكم ماء الشعير هو حكم خمره.

وبشأنِ العرف وعلاقته بالقانون والشريعة هناك احتمالات ثلاثة:

الأوّل: أن يكون العرف مصدر القانون ومنبع الشريعة. وفي هذا المورد يكون العرف مثل (الإرادة الإلهيّة) مصدرًا للقانون. وعلى أسـاس هذا الرأي فإنّ كلّ ما كان مَرضيًّـا عنه من العامّة وصدق العـرف عليه قطعيًّا فيجب أن يُعمل به، أمّا إذا لم يحظَ بالقبول فيجب تركه.

الثـاني: أن يكون العرف سـندًا ودليلًا لكشـف الشريعة. وعلى هذا الأسـاس يكون العرف مثل القرآن والسـنّة والإجماع والعقل سـندًا كاشفًا عن الشريعة وعمّا تـمّ جعله وتشريعه بـالإرادة الإلهيّة. وهذا الـرأي لا ينظر إلى العرف وتأسيسـات العقلاء ورضا الناس أو عدم رضاهم بوصفها مصادر للقانون، لكنّها ترى العرف مسيرًا لإيصال الفقيه إلى الواجبات والممنوعات (الشريعة). وفي هذه الحالة يكون العرف ـ بعيدًا عن باقي الأدلّة ـ واحدًا من مدارك الاجتهاد.

الثالث: أن يكون العرف أداة في خدمة أدلّة الأحكام، إذ يقوم بتفسير المفاهيم المسـتخدمة في الأدلّـة ويحكم عليها، لكنّه لن يكون بأيّ حـالٍ من الأحوال مدركًا للحكم وكشف الشريعة بصورةٍ مستقلّة[٢٩].

الرابع: العرف وتأثيره في الفقيه

العُـرف ظاهـرة عرفهـا فقهاء الشـيعة منـذ قديم الزمـان وذكروهـا في كتبهم وأشـاروا إليها بعبارات من قبيـل: أهل البلد، عادة القـوم[٣٠]، التعارف[٣١]، عادة الناس، عادة البلد[٣٢] ، العُرف[٣٣].

ويـرى جماعـة أنّ تأثير الزمان والمـكان والعرف في حياة الإنسـان أمرٌ واضحٌ، بحيـث لا يمكـن إنكار دوره في قراراتـه وتصرّفاته، وقلّما يمكن الإشـارة إلى فقيه لم يكـن له تأثـيره في آرائه الفقهيّة. ويـرى هؤلاء جواز تغيير الحكـم بتغيير العرف والعـادة، ويطرحون ذلك ضمـن قاعدةٍ فقهيّـة عنوانها (العـادة): «تغيّر الأحكام بتغيّر العادات»[٣٤].

وفي هذا المجال يقول أحد العلماء المعاصرين: إذا قارن الإنسـان بعض فتاوى الفقهاء مع بعضها الآخر ـ مع الانتباه إلى أحوالهم الشـخصيّة وطريقة تفكيرهم في القضايا الحياتيّة ـ للاحظَ مدى تأثير الخلفيّات الذهنيّة للفقيه ومعلوماته الخارجيّة عـن العـالم الخارجي في فتاويـه، بحيث تنبعـث رائحة العرب من فتـاوى العرب، ورائحـة العجم مـن فتاوى العجم؛ وفتـوى القروي تنبعث منهـا رائحة القروي، وفتوى الحضري تنبعث منها رائحة الحضري[٣٥].

وفي مقابل هؤلاء هناك بعض الباحثين دقّ ناقوس الخطر من كون الفقيه عرفيًّا، فقـال: أمّا الخطـر الذي يحـفّ بعمليّة الاكتشـاف القائمة على أسـاس الاجتهاد من فهـم الأحكام والمفاهيم في النصوص ـ والـذي يجب الحذر منه ـ فهو خطر العنصر الذاتي، وتسرّب الذاتيّة إلى عمليّة الاجتهاد من خلال تدخّل شخصيّة وروح المجتهد في كشـف واسـتخراج النظام والأحـكام الشرعيّة، وأن يقـوم المجتهد بالبحث عن نصوصٍ تنسجم مع ما في ذهنه؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى الإفراط والتفريط.

وذكر أربعة أسباب لهذا الخطر، هي: تسويغ الواقع والوقائع الخارجيّة، وإدراج

النصّ ضمن إطارٍ خاصّ، وتشذيب الدليل الشرعي من ظروفه وشروطه، وأخيرًا اتّخاذ موقف معيّن تجاه النصّ[٣٦].

وهنا لا بدّ من الانتباه إلى أنّ ما يتغيّر بفعل الزمان والمكان إن كان من الموارد التي لها ارتباط بالزمان والمكان، فإنّ الله قد ذكر أنّ منشأ هذا التغيير له علاقة بالإنسان نفسه، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[٣٧]؛ وإن كان ذا علاقة بالله والأحكام فإنّه لن يتغيّر إلا بواسطة الخالق له: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[٣٨].

ثالثًا: مكانة العرف في فقه ابن إدريس

الأول: مفهوم العرف في فقه ابن إدريس

تمسّك ابن إدريس في موارد عديدة بالعرف، وأشار إليه بعدد من العبارات مثل: عرف الشرع، وعرف الشريعة، والعرف المعهود، وعادة الأمثال، والعرف والعادة، وعرف اللغة، وطريقة العرف والعادة، وعرف الاستعمال، وعادة القوم، وعرف القوم، وعرف الزمان، وجميعها تعود إلى أشياء ثلاثة: عرف الشرع، وعرف العادة، وعرف اللغة.

ورغم أنّه يصرّح في بعض الموارد بانحصار الأدلّة في أربعة، إلا أنّه يجعل العرف واحدًا من الأدّلة أيضًا بصورةٍ من الصور. وقد ادّعى بعضهم أنّه لو نجّس الخنزير وعاءً فيجب غسله ثلاث مرّات، وذلك كما الحال مع الوعاء الذي ينجّسه الكلب؛ لأنّ الخنزير في عرف اللغة يطلق عليه اسم الكلب[٣٩]. وفي ردّ ابن إدريس على هذا الكلام قال: «وهذا استدلال غير واضح؛ لأنّ أهل اللغة العربيّة لا يسمّون الخنزير كلبًا، بغير خلافٍ بينهم، فالدعوى عليهم دعوى عَريّة من برهان، والعُرف خالٍ منه؛ لأنّ أحدًا لا يفهم من قوله: عندي كلب، أي عندي خنزير، بل الذي يتبادر إلى الفهم هذه الدابّة المخصوصة»[٤٠].

وفي رأي ابـن إدريـس أنّ بعض الأعراف هي نتاج حكم السـلاطين والحكّام غير الشـيعة، مثـل طرح نظريّة التقيّـة[٤١]، وبعضها مرتبط بسـيرة العقلاء مثل بيع المعاطـاة[٤٢]، وبعضهـا يكون لها وجه خاصّ وشـخصي كعدم جـواز شرب الخمر والزواج بالمحارم[٤٣]؛ وكلّ واحدٍ من هذه الموارد يمكن أن يكون في الأُمور الماليّة والعباديّة والسياسيّة أو أن يكون ذا صلة بأفعال الأفراد أو بالألفاظ.

ومـن هـذا يظهـر أنّ في الفقـه كلّيّـات لا وجـود لنـصٍّ عليهـا، وفي مثل هذه الحـالات يمكن للفقيه أن يسـتعين بالعرف للكشـف عن الحكـم، وكذلك يمكن الاسـتعانة بالعـرف من أجـل تخصيص الألفـاظ العامّـة والمطلقـة وتقييدها، وفي مباحث التعارض وتبيين مراد المتكلّم كي يمكن اتّباع القول والعمل الأحسن.

وفي بعض الموارد وضع ابن إدريس العرف بديلًا عن اللفظ. بل يمكن القول بأنّه جعل العرف من ضمن الأدلّة، وتمتلئ أرجاء فقهه بإشاراته إلى مرجعيّة العرف في فهم الموضوعات العرفيّة؛ حيث يتكلّم الشارع في بيان مقاصده بلغة العرف.

ورغـم أنّ ابـن إدريـس لم يذكر في كتابـه تعريفًا للعرف، لكنّـه في بحث صلاة المسافر أوكل مهمّة تحديد ملاك السفر والحضر إلى العرف وبيّن قاعدة ذلك بقوله: إنّ العرف يعتبر الشخص مسافرًا إذا تكرّرت سفراته واستمرّت بشكلٍ متوالٍ[٤٤].

وعلى هذا يمكن أن نخلص إلى نتيجة مفادها أنه يعدّ تكرار العمل واستمراره بـين النـاس عاملًا في تشـكيل العرف، فيكون المـراد من العرف في نظـره هو ذلك العمل الذي يكون شائعًا بين الناس.

١ ـ ابن إدريس ومراعاة الزمان والمكان

رغـم عـدم تصريح فقهائنـا القدمـاء في كتبهم بتغيـير الفتاوى تبعًـا للظروف الزمانيّة والمكانيّة، وأنّ تعبير الزمان والمكان في الاستنباط الفقهي قد تمّ طرحه من قبـل الفقهاء المعاصرين، إلا أنّ تغيير الفتوى كان موجودًا منذ أزمنة بعيدة. وتغيير

فتـاوى أحد الفقهاء هو دليل على أنّ الظـروف الزمانيّة والمكانيّة قد تركت تأثيرها في استنباطاته.

وابـن إدريس هو واحد من أُولئـك الذين أدركوا هذه المسـألة بصورة جيّدة، وتحدّث عن حالة عصره وجعلها دافعًا له كي يسعى لإحياء علم الفقه من جديد، حيث قال: «إنّي لمّا رأيت زهد أهل هذا العصر في علم الشريعة المحمّديّة والأحكام الإسـلاميّة وتثاقلهم [في] طلبها، وعداوتهـم لما يجهلون، وتضييعهم لما يعلمون... تداركت منه [أي من علم الفقه] الذماء الباقي، وتلافَيت نفْسًا بَلَغَت التراقي»[٤٥].

ثمّ أضاف يقول: «واعلم أبقاك الله وأيّدك بالتوفيق، أنّه ليس لمَن أتى في زماننا هـذا بمعنىً غريب وأوضح عن قولٍ معيب، وردّ شـاردةَ خاطرٍ غير مصيب، عند هـؤلاء الأغمار الأغفال، وذوي النزالة والسـفال، إلا أنّـه متأخّرٌ مُحدِث، وهل هذا لـو عقلـوا إلا فضيلة لـه ومنبهة عليه؛ لأنّـه جاء في زمان يعقـم الخواطر، ويصدي الأذهان»[٤٦].

إنّ للزمان والمكان دورهما الحاسـم في اسـتنباط الأحكام، فما أكثر ما أن يكون لمسـألةٍ فقهيّة حكم معيّن في السـابق، إلا أنّ لهذه المسـألة نفسـها الآن حكمًا جديدًا بسـبب العلاقـات الجديـدة الحاكمة عـلى السياسـة والمجتمع والاقتصـاد في أحد الأنظمـة. وأحد الأحـداث المهمّة التي حصلت في حياة ابـن إدريس هي الحروب الصليبيّة التي تركت تأثيرها في بعض آرائه الفقهيّة في باب الجهاد.

يقـول ابـن إدريس في أحـد كتبه: «ومَن يجـب عليه الجهاد إنّما يجـب عليه عند شروط، وهي أن يكون الإمام العادل الذي لا يجوز لهم القتال إلا بأمره ولا يسوغ لهـم الجهاد مـن دونه، ظاهـرًا، أو يكون مَن نصبـه الإمام للقيام بأمر المسـلمين في الجهـاد حاضرًا... والجهاد مع أئمّة الجور، أو من غير إمام، خطأ يسـتحقّ فاعله به الإثم، وإن أصاب لم يؤجر، وإن أُصيب كان مأثومًا، اللهمّ إلا أن يدهم المسـلمين

ـ والعياذ بالله ـ أمرٌ من قِبَل العدوّ يخاف منه على بَيضة الإسلام، ويخشى بواره. وبَيضة الإسلام: مجتمع الإسلام وأصله، أو يخاف على قوم منهم، وجبَ حينئذٍ أيضًا جهادهم ودفاعهم، غير أنّه يقصد المجاهد ـ والحال ما وصفناه ـ الدفاع عن نفسه، وعن حوزة الإسلام، وعن المؤمنين، ولا يقصد الجهاد مع السلطان الجائر، ولا مجاهدتهم ليدخلهم في الإسلام»[٤٧].

وألقت الحالة السياسيّة الاجتماعيّة مدة حياة ابن إدريس وتسلّط حكّام السلاجقة من أتباع المذهب السنّي بظلالها على بعض آرائه التي تأثّرت بهذه الحالة والتي يمكن القول بانعكاسها في آرائه التي طرح فيها نظريّة التقيّة.

وفي باب الحكم وفقًا للشريعة الإسلاميّة كتب يقول: «ولا يجوز لمَن يتولّى الفصل بين المختلفين والقضاء بينهم، أن يحكم إلا بموجب الحقّ، ولا يجوز له أن يحكم بمذهب أهل الخلاف، فإن كان قد تولّى الحكم من قِبَل الظالمين بغير اختياره، فليجتهد أيضًا في تنفيذ الأحكام على ما يقتضيه شريعة الإسلام، فإن اضطرّ إلى تنفيذ حكم على مذهب أهل الخلاف، بالخوف على النفس أو الأهل أو المؤمنين أو على أموالهم، جاز له تنفيذ الحكم ما لم يبلغ ذلك قتل النفوس، فإنّه لا تقيّة في قتل النفوس»[٤٨].

وقال أيضًا: «فأمّا [المكسب] المحظور على كلّ حال... والأُجرة على خدمة السلطان الجائر، ومعونته، وتولّي الأمر من جهته، واتّباعه في فعل القبيح، ولمعونته، وأمره ونهيه بذلك، والرضا بشيءٍ منه، مع ارتفاع التقيّة، والتمكّن من ترك ذلك، والإلجاء إليه»[٤٩].

وعن حكمه في موضوع بيع السلاح إلى أعداء الدين مع أخذ ظروف ذلك الوقت بنظر الاعتبار ذكر جواز ذلك في زمن السلم وقال: «[ويحرم] عمل السلاح، مساعدةً ومعونة لأعداء الدين، وبيعه لهم، إذا كانت الحرب قائمة بيننا

وبينهم؛ فإذا لم يكن ذلك، وكان زمان هدنة، فلا بأس بحمله إليهم وبيعه عليهم، على ما روي في الأخبار عن الأئمّة الأطهار»[٥٠].

إنّ منشأ كلامه في وصف ظروف عصره هو إدراكه لحقيقة أنّ الظروف الزمانيّة أو المكانيّة كان لها تأثيرها في الآراء الفقهيّة للشيخ الطوسي، وما يريد إيصاله هي دعوته للكفّ عن تقليد الماضين واتّباعهم، وأنّ على كلّ فقيه أن يراجع المصادر الفقهيّة ويستخرج منها ما يحتاجه المجتمع من المسائل.

وفي خاتمة كتابه يقول ابن إدريس: «ونقسم بالله تعالى على مَن تأمّله أن لا يقلّدنا في شيءٍ منه بل ينظر في كلّ شيء منه نظر المستفتح المبتدي، مطرحًا للأهواء المزيّنة للباطل بزينة الحقّ، وحبّ المنشي والتقليد، فداؤهما لا يُحسن علاجه جالينوس، وتعظيم الكبراء وتقليد الأسلاف والأُنس بما لا يعرف الإنسان غيره يحتاج إلى علاجٍ شديد... فالعاقل يكون غرضه الوصول إلى الحقّ من طريقه، والظفر به من وجهه وتحقيقه، ولا يكون غرضه نصرة الرجال، فإنّ الذين ينحون هذا النحو قد خسروا ما ربحه المقلّد من الراحة والدِّعة، ولم يسلموا من هجمة التقليد، وفقد الثقة بهم، فهم لذلك أسوأ حالًا من المصرّح بالتقليد، وبئست الحال حال مَن أهمل دينه، وشغل معظم دهره في نصرة غيره، لا في طلب الحقّ ومعرفته»[٥١].

وفي أكثر الموارد يشير ابن إدريس إلى آراء الشيخ الطوسي وينتقدها. وعند التأمّل في إيرادات ابن إدريس على كتابات الشيخ الطوسي يظهر لنا بوضوح مدى حذره من التقليد والأخذ بأقوال الماضين وترغيبه في مراجعة الآراء من منظار عصره. وعلى هذا فإنّ على كلّ فقيه أن يراجع المصادر ويقوم باستنباط الأحكام بعيدًا من تأثير أقوال الماضين. وما أكثر ما يشتكيه ابن إدريس من ابتعاد الناس عن الفقه، ومن غفلة وجهل الشيوخ الذين أضاعوا ميراث الزمان.

٢ـ مكانة أقسام العُرف في فقه ابن إدريس

قـد تتعارض الأعراف المختلفة مع بعضهـا أحيانًا. ومن أمثلة ذلك أن يوضع لفـظٌ مـا في اللغـة لمعنىً خـاصّ، ولكنّه يُسـتعمل في الـشرع لمعنىً آخـر، مثل لفظ (الصـلاة) الـذي يُسـتعمل في اللغة بمعنى الدعـاء، وفي المصطلح الفقهـي يُراد به أعـمال خاصـة بطريقة معيّنة. ففي مثل هذه الموارد، مـا الذي يجب عمله إذا لم تكن هناك قرينة تساعد على تعيين أحد هذه المعاني المتعدّدة للعرف؟

أـ تعارض عُرف الشرع مع عُرف العادة وعُرف اللغة

إذا كانـت الألفـاظ الواردة في كلام الشـارع بصـورةٍ مطلقة لها معـانٍ شرعيّة وعرفيّـة ولغويّة، فإنّ المعنـى الشرعي يكون مقدّمًا على معانيهـا العرفيّة واللغويّة، وفي حالة انعدام المعنى الشرعي فعُرف العادة مقدّم على عُرف اللغة.

وعنـد بحث ابن إدريس عن مهر المرأة التي تُطلّـق قبل مقاربتها ولم يتمّ تعيين مهرهـا، تمسّـكَ بآيـة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٥٢] وقـال: «فالمرجـع في ذلـك إلى العـرف؛ لأنّ الخطـاب إذا أُطلق، رجـع في تقييـده إلى عُرف الشرع إن وُجـد، وإلا يرجع إلى عـرف العادة إن وجد، وإلا يرجع إلى عرف اللغة، فالمتقدّم عُرف الشرع»[٥٣]. ويذكر ابن إدريس أنّ تقدّم عُـرف الشرع على القسـمين الآخرَين للعرف هو أمرٌ إجماعـيّ بين الأُصوليّين[٥٤]؛ لأنّ عُرف الشرع هو الطارئ على عُرف اللغة والناسخ له[٥٥].

ب ـ تعارض عُرف العادة مع عُرف اللغة

عندما يُسألُ الفقهاء والأُصوليّون عمّا هو المقدّم عند تعارض الحقيقتين العرفيّة واللغويّـة ؟ فإنّهـم يرون أنّ العـرف هو المقدّم، إلا إذا وُجـدت قرينة تدلّ على غير ذلـك، مثـل الروايات في بـاب الوصيّة على السـيف التي تبيّن أنّها تشـمل الغلاف أيضًا[٥٦].

أمّا كلام ابن إدريس في هذه المسألة فهو مختلف، إذ يجعل عُرف العادة هو المقدّم حينًا، وعرف اللغة هو المقدّم حينًا آخر.

وفي بحث إحياء الأراضي الموات جعل عرف اللغة هو المقدّم على عُرف العادة، وقال: «إذا قال النبيّ ﷺ: من أحيا أرضًا ميتة فهي له، ولم يوجد في اللغة معنى ذلك، فالمرجع فيه إلى العُرف والعادة، فما عرفه الناس إحياءً في العادة، كان إحياءً ومُلكَ به المَوات»[٥٧]، أمّا عند كون الحال كما سبق ذكره فقد جعل عُرف العادة مقدّمًا على عُرف اللغة.

لقد استند ابن إدريس إلى العرف في موارد كثيرة[٥٨]. وعند تفسيره للفظة «كثير» ذهب إلى عُرف الزمان، حيث رأى أن الشخص لو نذر أن يتصدّق بالكثير من أمواله وترك المقدار مطلقًا، فإنّه استنادًا إلى مضمون الآية ٢٥ من سورة التوبة يجب حمل ذلك على الثمانين. ثمّ تمسّك بعُرف الزمان وعُرف أهل البلد واختار التفصيل بعد ذلك بأنه لو كانت المعاملة بالدرهم في عرف زمان الناذر وبلده فالمراد ثمانون درهمًا، وإن كانت المعاملة بالدينار فالمراد ثمانون دينارًا[٥٩].

ويلاحظ من هذا الكلام أنّ ابن إدريس يرى أنّ الحكم لا يؤخذ من العُرف، لكنّ الذي يقع على عاتق العُرف هو تعيين الموضوع. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أيّ عُرفٍ هو المراد من بين أنواع العُرف؟

المراد من العُرف هو العُرف الصحيح لا العُرف الفاسد، ويكون المراد أحيانًا العرف العامّ وأحيانًا أُخرى العرف الخاصّ تبعًا لموارد العُرف. ومثال ذلك في بحث الإهانات اللفظيّة حيث يكون الملاك هو العُرف العامّ، في حين أنّ الأمر يختلف في المحادثات السياسيّة أو البحوث الفنّيّة أو سائر الأُمور التخصّصيّة، فتشخيص الإهانة من عدمها منوط بالعرف الخاصّ بذلك التخصص.

وهنا يجب الانتباه إلى انتفاء الفرق بين العُرف القولي والعُرف الفعلي، فأيّهما

وُجد كان كافيًا لصدق الحكم. ومن هنا أتى اتّخاذ ابن إدريس العُرف في بعض الأحيان بديلًا عن القول، كما في مسألة نقد البلد في المعاملات.

الثاني: استعمالات العُرف

يتّضح من مراجعة فقه ابن إدريس أنّه يرى للعرف استعمالات مختلفة:

١ـ كشف الحُكم

في رأي ابن إدريس أنّه متى ما لم توجد الأدلّة الأربعة فحينئذٍ يصبح العرف من الأدلّة ومصدرًا لكشف الأحكام، وإن لم يصرّح بهذا المطلب. مثال ذلك ما ذُكر عند البحث عن نجاسة الإناء الذي مسّه الخنزير، فقد حكم البعض بوجوب غسله كما يُغسل الوعاء الذي مسّه الكلب كشرط لطهارته؛ وذلك لأنّ الخنزير في عرف اللغة يطلق عليه اسم الكلب؛ لكن ابن إدريس قال في تفنيد هذا الكلام: «فالدعوى عليهم دعوى عَريّة من برهان، والعُرف خالٍ منه»[٦٠].

ويعتقد البعض أنّه يمكننا افتراض أنّ العرف وإن كان القبول به يقتصر في مجال العبادات والأُمور التوقيفيّة على التحكيم في تحقّق وعدم تحقّق المصداق والموضوع، إلا أنّه في مجال المعاملات والأُمور غير العباديّة وغير التوقيفيّة يمكن أن يؤسّس لحكمٍ جديد يكون مقبولًا في الفقه[٦١]. وعلى هذا فإنّ الاطّلاع على عرف الزمان يؤدّي بالفقيه إلى أن يزن حكمه على أساسه ومن ثمّ يصدر فتواه، وذلك كما في مثال عدم انحصار حرمة الاحتكار بالحنطة والشعير والزبيب والسمن والتمر وتعدّيه إلى ما سواها من الأقوات[٦٢]، وعدم اختصاص الذبح بالحديد[٦٣].

وانسجامًا مع مقتضيات زمانه اعتقد ابن إدريس بعدم جواز غنيمة أموال أهل البغي ولا يجوز قسمتها[٦٤]. كما أنّه كان يرى أنّ تطبيق وتنفيذ الأحكام إنّما هو من مسؤولية الإمام وفي حال الغيبة أو عدم القدرة فإنّها تقع على عاتق الشخص

الأعلـم والمنصوب من جانبهم. ومتـى توافرت هذه الشروط لدى أحدٍ ما فحينئذٍ يفـوّض إليـه أمر الحكومـة ، وإن كان تعيينه عـلى الظاهر من قبل السـلطان الجائر الغالب. إذن متى ما عُرضت عليه إحدى المسؤوليّات فيجب عليه القبول بها؛ لأنّ الحكومة متعيّنة عليه[٦٥].

ومـن خـلال ما سـبق يمكـن القول بـأنّ بعـض الأعـراف هي نتـاج الوضع السياسي في عصرٍ معيّن من قبيل حاكميّة الحكّام من غير الشيعة كما في طرح نظريّة التقيّـة[٦٦]، وبعضها ذو علاقة بسـيرة العقـلاء كبيع المعاطـاة[٦٧]، وبعضها له أبعاد شخصيّة كعدم جواز شرب المسكر والزواج بالمحارم[٦٨].

وعـلى هذا فإنّ العرف يسـتعمل في الفقه عندما تكون النصوص سـاكتة عنه، ففي هذه الموارد يمكن للفقيه أن يسـتعين بالعرف للكشـف عن الحكم، ومن هذا المنطلق عدّ ابن إدريس العرف ضمن الأدلّة الشرعيّة، وأشار في جميع بحوثه الفقهيّة إلى مرجعيّـة العـرف في فهم الموضوعات العرفيّة؛ لأنّ الشـارع تحدّث بلغة العرف عندما كان يريد بيان مقاصده.

٢ـ تشخيص موضوعات الأحكام ومصاديقها

لـكلّ حكمٍ شرعيّ موضوعه الخاصّ به، وفي الكثير من الموارد يكون التعرّف على هذا الموضوع وتشخيصه على عاتق العرف. فعلى سبيل المثال إنّ صلاة المسافر يجـب أن تكـون قصرًا، أمّا تشـخيص مَن هو الـذي يُطلق عليه عنوان المسـافر كي تكـون صلاته قـصرًا؟ فإنّه يقع عـلى عاتق العُـرف[٦٩]. كما أنّ السـجود جائز على مـا ينبت مـن الأرض ما لم يكن مأكولًا أو ملبوسًـا، وتعيـين مصاديق هذا المطلب موكول إلى العرف[٧٠].

وبالطبـع هناك مـن الفقهاء من جعل تشـخيص الموضوع عـلى عاتق العُرف، وتشـخيص المصاديـق على عاتق العقـل[٧١]. وقد انتقد الإمـام الخميني هذا الرأي

فقال بإنّ هذا الكلام «محلّ نظرٍ وتأمّل؛ ضرورة أنّ الشارع لا يكون في خطاباته إلا كواحد من العُرف. ولا يمكن الالتزام بما يقال من اتّباع العرف في فهم موضوع الأحكام، وعدم اتّباعه ـ بل اتّباع العقل ـ في فهم المصاديق؛ لأنّه غير ممكن»[٧٢].

وبناء على هذا فإنّ الموارد التي أوكل الشارع تعيين حدود موضوعات أحكامها الشرعيّة إلى العرف ولم يذكر فيها أيّ رأي إنّما تشتمل على أكثر موضوعات الأحكام الشرعيّة، مثل المؤونة المستثناة من الخمس التي أوكل تعيينها إلى العرف[٧٣].

٣ـ تعرّف معاني الألفاظ

لا يقتصر العُرف الذي تمسّك ابن إدريس به على الجانب العملي، بل إنّه يشتمل على الألفاظ أيضًا. مثال ذلك حمله لفظ الجمع على العدد ثلاثة؛ لأنّ مَن يتولّى تشخيص ذلك هو العرف، ولا دلالة للغة عليه[٧٤].

وبناءً على ذلك، وكما يرى ابن إدريس، فحيثما لم يقم الشارع المقدّس ببيان الموضوع، أُوكلت مهمّة تعيين المعنى والمفهوم إلى العرف، وإذا تعارض العرف مع اللغة فالعرف هو المقدّم.

٤ـ توضيح أدلّة المتكلّم ومراده

قال ابن إدريس بإنّه كلّما كان الحكم معلّقًا على اسمٍ عامّ، فإنّه يُحمل على العموم، وهو حقيقة في هذا المعنى[٧٥].

وفي بعض الموارد خصّص العامّ بالعرف. مثال ذلك ما لو أقسم أحدهم بعبارة «لا أكلت البيض» فإنّ لفظ «البيض» هو عامّ يشمل بيض الدجاج وبيض النعّام وبيض السمك وبيض الجراد، إلا أنّ عرف اللغة هنا خصّص ذلك فلا يشمل بيض السمك ولا بيض الجراد[٧٦].

وكذلك كلّما استُعمل لفظ عامّ في اللغة بمعنى معيّن وفي عرف الشرع بمعنى آخر، خصصه عرفُ الشرع، وحُمل على المعنى الشرعي كلفظ «الصلاة» و«الصوم»[٧٧].

ومتى تعارض دليلان مع بعضهما، فيجب الجمع بينهما، وهذا الجمع موكول إلى العُرف. مثال ذلك إذا كان أحد الدليلين عامًّا والآخر خاصًّا، ففي هذه الحالة يكون العمل بالدليل الخاصّ، كي يحصل الجمع بين هذين الدليلين؛ لأنّ الجمع بين الدليلين أفضل من تركهما[٧٨].

الثالث: آثار ونتائج منهج ابن إدريس

كلّما تسارعت وتيرة نموّ المجتمعات وتطوّرها، تبدّلت الموضوعات أيضًا وتغيّرت الأحكام تبعًا لذلك. ومن خلال التأمّل الدقيق في فقه ابن إدريس يمكن القول بأنّ الأجواء الاجتماعيّة والسياسيّة والأوضاع الخاصّة لعصر ابن إدريس قد دفعته كي يخطو في مسيرٍ لم يسبق تجربته من قبل، وقد أدّى ذلك إلى بعض الآثار التي يمكن الإشارة إلى بعضها في ما يلي:

١ـ وصف الحالة الاجتماعيّة وتحليلها

كان ابن إدريس يعاني من حالة الركود العلمي التي يشهدها العصر الذي يعيش فيه، وكان يديم الإشارة إلى ذلك في كلامه. ولم يقبل مجتمعه الأفكار الجديدة متذرّعًا بأنّ القدماء لم يقولوا بها، أمّا المتصدّين للفقه فلا يبدر منهم أيّ اعتراض على أفكار الشيخ الطوسي ، وبدلًا من الالتفات إلى (ما قال) التفتوا إلى (مَن قال).

أمّا ابن إدريس فإنّه كان رافضًا لهذه الحالة، ولا يوافق على تقليد العلماء لمجرّد كونهم متقدّمين زمانيًّا.

٢ـ إحياء روحيّة الاجتهاد في الفقه

كانت العظمة العلميّة للشيخ الطوسي في تلك العصور تنشر خيمتها الممتدّة على عموم المجتمع إلى الحدّ الذي أفقدت مَن أتى بعده من الفقهاء قدرتهم على التفكير والاستنباط الجديد، وقد أدّى تقليدهم لأفكاره واستنباطاته إلى حصول حالة من الركود العميق في الأوساط العلميّة لذلك العصر.

ومع ظهور ابن إدريس، وضمن احترامه للماضين، استأنفت الحركة العلميّة مسيرها انطلاقًا من الفهم الدقيق لظروف العصر وبدأت معالجة المسائل الفقهيّة باستنباطات جديدة وتحقيقاتٍ مبتكرة.

٣ـ محاربة المبالغة في التقديس

يحتاج فقه الشيعة إلى الحيويّة والتطوّر في كلّ زمان، وإذا ابتلي بالتوقّف في أيّ مرحلة لأيّ سببٍ كان، فيجب فسح المجال أمام إبداعات الفقهاء المجدّدين.

إنّ فقه الإماميّة ـ قبل ظهور ابن إدريس ـ كان يعاني من حالة ركود شديدة، وأحد أسباب هذه الحالة هو الاعتقاد بقداسة الفقهاء الماضين، لكنّ الذي يجب الانتباه إليه هو أنّ الفقهاء العِظام أيضًا ليسوا مصونين من الاشتباه.

وكان ابن إدريس يؤكّد على أنّ كلام العلماء قابل للنقد أيضًا، وأنّ هذا العمل لا يمتاز بخلوّه من الضرر على الدين فقط، بل إنّه يؤدّي إلى تطوّره وازدهاره وإلى ظهور فقهاء لامعين كالعلاّمة الحلّيّ والمحقّق الحلّيّ والشهيدين الأوّل والثاني.

نتيجة البحث

يغطّي العرف مساحتي العمل والقول، وهو عبارة عن العمل الشائع بين الناس، وشرط تحقّق العرف هو تكرار واستمرار ذلك العمل.

يأتي التعبير عن العرف في فقه ابن إدريس بعبارات مختلفة، هي: العرف والعادة، عادة القوم، عرف الزمان، عرف الاستعمال.

في حالة تعارض العرف الشرعي مع العادة وعُرف اللغة، يُحمل الكلام على

معناه الشرعي. والعرف الشرعي مقدّم على العرفَين الآخرين. وعند انعدام العرف الشرعي فعرف العادة هو المقدّم على عرف اللغة.

وردت الإشـارة في فقه ابن إدريس إلى وظيفتين: اسـتقلاليّة (كشف الحكم)، وآليّة (تعيين موضوعات ومصاديق الأحكام، وبيان ومعرفة معاني الألفاظ).

وعلى هذا فإنّ العرف أحد أدلّة الاستنباط إذا كان منسجمًا مع مصالح المجتمع ولا يتعارض مع المباني الشرعيّة ويحظى بتأييد الشارع، فيمكن الاستناد إليه.

الهوامش

(١) فقه سياسى (الفقه السياسي)٢: ٢١٦ ـ ٢١٧.
(٢) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ٢: ١٧٠؛ عـدّة الأُصـول ٢: ٤١٩؛ الذريعـة إلى أُصول الشريعة٢: ٦٣٦.
(٣) المعالم الجديدة للأُصول:٣٩ـ ٤٢.
(٤) معارج الأُصول: ١٧٩.
(٥) الاجتهاد والتقليد: ٧٠.
(٦) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ٣: ٥٧٥.
(٧) المصدر نفسه ٢: ١٧٠.
(٨) الكافي ١: ٢٧.
(٩) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ٢: ١٥٤.
(١٠) المصدر نفسه ١: ٤٦.
(١١) حاشية الكفاية ٢: ٢٠٦.
(١٢) نهاية الأفكار ٣: ١٣٧ ـ ١٣٨.
(١٣) أُصول الفقه ٢: ١٤٢.
(١٤) الرسائل ٢: ١٢٩؛ كتاب البيع التذييل: ٥٠.
(١٥) لسان العرب ٩: ٢٣٩.
(١٦) معجـم المصطلحات والألفـاظ الفقهيّة ٢: ٤٩٣.
(١٧) المصدر نفسه.
(١٨) الأُصـول العامّـة للفقه المقـارن: ٤٠٥ ـ ٤٠٨.
(١٩) فقه الإمام الصادق عليه السلام ٦: ١١٦.
(٢٠) مصـادر الفقـه الإسـلامي ومنابعـه: ١٨٩.
(٢١) الميزان في تفسير القرآن٨: ٣٨٠.
(٢٢) أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية ١: ١٠٥.
(٢٣) المعالم الجديدة للأُصول ١: ٢١٠.
(٢٤) مصـادر الفقـه الإسـلامي ومنابعـه: ١٩٣.
(٢٥) السرائـر الحـاوي لتحريـر الفتـاوي٣: ٨٣.
(٢٦) تسهيل المسـالك إلى المدارك في رؤوس القواعد الفقهيّة: ٩.
(٢٧) الأُصـول العامّة للفقـه المقارن: ٤٠٥ ـ ٤٠٨.
(٢٨) فقه الإمام الصادق عليه السلام ٦: ١١٦.
(٢٩) فقه و عرف (الفقه والعرف): ١٣٥.
(٣٠) المقنعة: ٦١٦ و ٦٤٩.
(٣١) الذريعة إلى أُصول الشريعة ١: ٣٥٢.
(٣٢) المهذّب ١: ٣٦٣.
(٣٣) التذكرة بأُصول الفقه: ٣٩.
(٣٤) القواعد والفوائد١: ١٥١.
(٣٥) فقـه و حقـوق (الفقـه والحقـوق) ٢: ١٨١.
(٣٦) اقتصادنا: ٣٨٤.
(٣٧) الرعد (١٣): ١١.
(٣٨) فاطر (٣٥): ٤٣.

(٣٩) عدّة الأُصول ١: ١٨٦.
(٤٠) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ١: ٩١.
(٤١) المصدر نفسه ٢: ٢٠٢.
(٤٢) المصدر نفسه: ٢٥٠.
(٤٣) المصدر نفسه: ٦.
(٤٤) المصدر نفسه١: ٣٣٩، و٣: ٦١.
(٤٥) المصدر نفسه ١: ٤١.
(٤٦) المصدر نفسه: ٤٤.
(٤٧) المصدر نفسه ٢: ٤.
(٤٨) المصدر نفسه: ٢٦ و ٢٠٣.
(٤٩) المصدر نفسه: ٢١٤.
(٥٠) المصدر نفسه: ٢١٦.
(٥١) المصدر نفسه ٣: ٦٥٢.
(٥٢) البقرة (٢): ٢٣٦.
(٥٣) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ٢: ٥٨٣.
(٥٤) المصدر نفسه ٣: ٤٩.
(٥٥) المصدر نفسه ٢: ٥٢٤، و٣: ٥٤.
(٥٦) البرهان في تفسير القرآن ١٣: ٣٨٢.
(٥٧) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ٢: ٣٨٢.
(٥٨) راجع المصدر نفسه: ٣٣٩، ٣٨٢، ٤٤٣، ٥٨٣.
(٥٩) المصدر نفسه ٣: ٦١.
(٦٠) المصدر نفسه ١: ٩١.
(٦١) فقه و مصالح عرفى (الفقه والمصالح العرفيّة): ١١٤.
(٦٢) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ٢: ٢٣٨.
(٦٣) المصدر نفسه ٣: ١٠٧.
(٦٤) المصدر نفسه ٣: ٢١٩.
(٦٥) المصدر نفسه ٣: ٥٣٧ ـ ٥٣٩.
(٦٦) المصدر نفسه ٢: ٢٠٢.
(٦٧) المصدر نفسه: ٢٥٠.
(٦٨) المصدر نفسه: ٦.
(٦٩) المصدر نفسه ١: ٣٣٩.
(٧٠) المصدر نفسه: ٢٦٨.
(٧١) طريق الوصول إلى كفاية الأُصول ٤: ٢٢٥.
(٧٢) الاستصحاب: ١٥٩.
(٧٣) السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي ١: ٤٨٩.
(٧٤) المصدر نفسه ٣: ٤٥٤.
(٧٥) المصدر نفسه ٢: ٥٨٣.
(٧٦) المصدر نفسه ٣: ٥٣.
(٧٧) المصدر نفسه: ٥٤.
(٧٨) المصدر نفسه ١: ٧٤.

المصادرُ والمراجعُ

* القرآن الكريم.

١. الاجتهاد والتقليد، روح الله الخميني (ت١٤٠٩هـ)، طهران، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٤١٨هـ.

٢. الاستصحاب، روح الله الخميني (ت١٤٠٩هـ)، طهران، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٣٨١هـ.

٣. الأُصول العامّة للفقه المقارن، السيّد محمّد تقي الحكيم (ت١٤١٣هـ)، المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، ط٣، ١٤١٨هـ.

٤. أُصول الفقه، محمّد رضا المظفّر (ت١٣٨٣هـ)، قم، إنتشارات إسماعيليّان، ط٥، ١٣٧٥ش.

٥. اقتصادنا، السيّد محمّد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٧هـ.

٦. أنوار الهداية في التعليقة على الكفاية، روح الله الخميني (ت١٤٠٩هـ)، طهران، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

٧. البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني (ت١١٠٧هـ)، طهران، مؤسّسة بعثت، ١٤١٦هـ.

٨. التذكرة بأُصول الفقه، الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ)، بيروت، دار المفيد، ط٢، ١٤١٤هـ.

٩. تسهيل المسالك إلى المدارك في رؤوس القواعد الفقهيّة، حبيب الله الشريف الكاشاني (ت١٣٤٠هـ)، قم، المطبعة العلميّة، ١٤٠٤هـ.

١٠. حاشية الكفاية، محمّد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، قم، مؤسّسة العلامة الطباطبائي العلميّة والفكريّة.

١١. الذريعة إلى أُصول الشريعة، علم الهدى السيّد المرتضى (ت ٤٣٦ هـ)، طهران، انتشارات جامعة طهران.

١٢. الرسائل، روح الله الخميني (ت١٤٠٩هـ)، قم، مؤسّسة إسماعيليان، ١٤١٠هـ.

١٣. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ابن إدريس محمّد بن أحمد (ت٥٩٨هـ)، قم، مكتب النشر الإسلامي، ط٢، ١٤١٠هـ.

١٤. طريق الوصول إلى كفاية الأُصول، محمّد كرمي، قم، مطبعة قم، ١٣٨٦هـ.

١٥. عدّة الأُصول، الطوسي محمّد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، تحقيق محمّد رضا الأنصاري، قم، انتشارات ستاره، ١٤١٧هـ.

١٦. فقه الإمام الصادق عليه السلام، محمّد جواد

مغنية (ت١٤٠٠هـ)، قم ، مؤسّسة أنصاريان، ط٢، ١٤٢١هـ.
١٧. فقه سياسى (الفقه السياسي)، عبّاس علي عميد زنجاني (ت١٤٣٢ هـ)، طهران، أمير كبير، ط٤، ١٤٢١هـ.
١٨. فقه و حقوق (الفقه والحقوق)، ج ٢ من مجموعة المؤلّفات، مرتضى المطهّري (ت١٣٣٨هـ)، قم.
١٩. فقه و عرف (الفقه والعرف)، أبو القاسم عليدوست، طهران، مؤسّسة العلم والفكر المعاصر الثقافيّة، ١٣٨١ش.
٢٠. فقه و مصالح عرفى (الفقه والمصالح العرفيّة)، حسين صابري، قم، بستان الكتب، ١٣٨٤ش.
٢١. القواعد والفوائد، الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي، قم، مكتبة المفيد.
٢٢. الكافي، الكليني محمّد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ)، تحقيق علي أكبر الغفّاري، طهران، دار الكتب الإسلاميّة، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٢٣. كتاب البيع (التذييل)، حجت كوه‌كمري السيّد محمّد بن علي (ت١٣٧٢هـ)، قم، مكتب الانتشارات الإسلاميّة، ط٢، ١٤٠٩هـ.
٢٤. لسان العرب، ابن منظور محمّد بن مكرم (ت٧١١هـ)، بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢٥. مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه، جعفر السبحاني، بيروت، دار الأضواء، ١٤١٩هـ.
٢٦. معارج الأُصول، المحقّق الحلّي جعفر بن الحسن (ت٦٧٦هـ)، قم ، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٣هـ.
٢٧. المعالم الجديدة للأُصول، السيّد محمّد باقر الصدر (ت١٤٠٠هـ)، قم ، مؤتمر الشهيد الصدر، ط٢، ١٣٧٩ش.
٢٨. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضلية، القاهرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٢٩. المقنعة، الشيخ المفيدمحمّد بن محمّد بن النعمان العكبري (ت٤١٣هـ)، قم، المؤتمر العالمي لألفيّة الشيخ المفيد، ١٤١٣هـ.
٣٠. المهذّب، ابن البرّاج القاضي عبد العزيز (ت٤٨١هـ)، قم ، مكتب الانتشارات الإسلاميّة، ١٤٠٦هـ.
٣١. الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، قم ، مؤسّسة النشر الإسلامي، ط٥، ١٤١٧هـ.
٣٢. نهاية الأفكار، الأغا ضياء الدين العراقي (ت١٣٦١هـ)، قم ، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥هـ.

المفاهيمُ الاعتباريةُ

عند العلَّامة الحلّيّ

أ.م.د. محسن دريابيكي
المجلس الأعلى للثورة الثقافية، طهران
alsari.ayad@gmail.com

سعيد أعلمي
طالب علوم دينية، طهران

د. صقر صبوح
مركز العلَّامة الحلّيّ، قسم الترجمة

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v11i29.421

الملخص

إنّ تاريخ المفاهيم الخاصة بعلم الكلام والفلسفة يسبب تشويشًا كبيرًا في المجال الفكري، والغموض الذي يُلاحظ في مثل هذه المفاهيم يعقّد فهم وتفسير النص على القارئ، ومن بين تلك المفاهيم: مفهوم «الاعتباريات» وهو في مقابل الحقائق، وكان يستعمل في نصوص العصور الوسطى، وفيما تلاها على نطاق واسع، والعلَّامة الحلّيّ (ت٧٢٦هـ) وعندما استعمل مفاهيم الوجود أو السببية أو الوحدة، كان يعبّر عنها بالأمر الاعتباري. ونسعى في هذا البحث إلى كشف غموض هذا المفهوم، والإشارة إلى بعض فروعه من خلال استكشاف نصوص هذا العالم الشيعي.

الكلمات المفتاحية:

المعقولات الثانية، الاعتباريات، العلَّامة الحلّيّ، صفات الباري، قاعدة الواحد.

Posited Concepts in the Thought of Allama al-Hilli

Asst. Prof. Dr. Mohsen Daryabeyki, Supreme Council of the Cultural Revolution, Tehran

alsari.ayad@gmail.com

Saeed Alami, Religious Studies Student, Tehran

Dr. Saqr Sabouh, Allama al-Hilli Center, Translation Department.

Abstract

The historical development of concepts pertaining to theology and philosophy has caused considerable confusion within the intellectual sphere. The ambiguity associated with such concepts makes the understanding and interpretation of texts more difficult for the reader. Among these concepts is "posited concepts," which stands in contrast to realities. The term was widely used in the texts of the medieval period and in subsequent periods.

The renowned Shi'i scholar Allama al-Hilli (d. 726 AH) referred to concepts such as existence, causality, and unity as posited concepts. This study seeks to clarify the ambiguity surrounding this concept and to shed light on some of its ramifications by examining the writings of this prominent Shi'i scholar.

Keywords:

Second Intelligibles, Posited Concepts, Allama al-Hilli, Divine Attributes, the Principle of the One.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

مصطلح (الاعتباري) له استعمالات كثيرة، إذ يستعمل بمعانٍ مختلفة وتعادل الوضع[١] والثنائيّات المتباينة، بحيث يجعل المخاطب يقع في فخ المغالطة بسبب الاشتراك اللفظيّ[٢]، ويمكن القول: إنه لم يفتح أحدٌ غير الشيخ شهاب الدين السهروردي (من المتقدمين) والعلامة محمد حسين الطباطبائي (من المتأخرين) فصلًا مستقلًا في بيان الاعتباريات وتمييزها عن سائر المفاهيم الأخرى[٣].

يرتبط معنى مفهوم (الاعتبار) في الاستعمال الشائع للفكر الفلسفي الإسلامي المعاصر بحضور الشخص المعتبِر في هذا المفهوم وجعله من أجزائه الأصلية، ووفق هذه النظرة فإن التعيين الواضح لهذا الحدّ يمكنه أن يحررّنا من الكثير من المغالطات، ويميّز أحكام العقل الثابتة عن الأحكام المتغيرة.

كتبَ الشهيدُ مرتضى مطهري عن أهمية هذه النظرية: «إن تمييز وتفكيك الإدراكات الحقيقية عن الإدراكات الاعتبارية واجب وضروريٌّ جدًّا، وعدم تفكيك بعضها عن بعض مضرٌّ وخطر للغاية، وعدم التفكيك هذا هو الذي أوهن كثيرًا من العلماء الذين قاموا بقياس بعض الاعتباريات بالحقائق، وساروا في الاعتباريات بأساليب عقلانيةٍ خاصةٍ بالحقائق، والبعض الآخر على العكس، عمّم نتائج دراساته للاعتباريات على الحقائق، وعدّ الحقائق مثل الاعتباريات: مفاهيم نسبيةً ومتغيرةً تخضع للحاجات الطبيعية»[٤].

ومن وجهة النظر هذه تكون الإدراكات الاعتبارية في مقابل الإدراكات الحقيقية التي هي انكشافات وانعكاسات ذهنية للواقع ونفس الأمر، لكن الإدراكات الاعتبارية فرضياتٌ يضعها الذهن من أجل تلبية احتياجات حياتية

أو ضرورة اضطر إليها العقل في إدراكاته، ولها جانبٌ وضعي وتعاقديٌّ وافتراضيٌّ واعتباريٌّ، ليس لها علاقة تامة بالواقع ونفس الأمر.

والإدراكات الاعتبارية على عكس الإدراكات الحقيقية، تابعة للاحتياجات الحياتية والعوامل الخاصة بالبيئة، وتتغير بتغيرها[٥].

والعلوم الاعتبارية علوم ترتبط بالعلاقة بين الإنسان وحركاته الفعلية، ويُنتج الإنسان هذه العلوم بإعمال قواه الفعالة، ولذا هذه العلوم والإدراكات لا مطابق بحذائها بل لها منشأ انتزاع إن كانت انتزاعية.

ربما يبدو الاهتمام بهذا الحدّ أمرًا يسيرًا، لكن عدم الفهم الصحيح لإبداعات العقل عبر التاريخ من أجل تلبية احتياجاته ودوره البارز في خلق المفاهيم، أدى إلى استنتاجاتٍ خاطئةٍ في الفكر الإسلامي، فالعديد من جهود علم الأصول من وجهة نظر العلامة محمد حسين الطباطبائي (تعسفات) ناجمة عن الخلط بين الاعتبار والحقيقة[٦].

قال المرحوم الشهيد مطهري قائلاً: «... عدم تمييز وتفكيك الاعتباريات عن الحقائق أمر خطر ومضرٌّ للغاية من الناحية المنطقية، والأدلة التي لم تراع فيها الأمور المذكورة آنفًا، لا قيمة منطقية لها، سواء كانت مبنيةً على مقدمات تتكون من أمور اعتبارية لإثبات الحقائق، مثل معظم أدلة المتكلمين الذين غالبًا ما اتخذوا الحسن والقبح أو غيرها من المفاهيم الاعتبارية ذريعة وأرادوا الحصول على نتائج في باب المبدأ والمعاد من هذا الطريق، ومثل الكثير من أدلة الماديين التي تكون فيها الأحكام وخواص الاعتباريات مبنيةً على أصول وقواعد من خصائص الحقائق... مثل معظم الأدلة التي تستخدم عادة في علم الأصول»[٧].

تجاوز نطاق البحث في فكر العلامة الطباطبائي الاعتباريات النظرية، فانتقل

إلى الاعتباريات العملية (القانونية والأخلاقية والفقهية)[٨]، ورغم أنها بُحثت باختصار في النصوص الإسلامية سابقًا، إلا أن العلامة الطباطبائي تناولها من وجهة نظر فلسفية، وقد كُتب العديد من المقالات بناءً على هذا الامتياز في مجال الفكر وفي مقولات مختلفة، وطرحت من المواضيع المتعلقة بالفلسفة المضافة، خاصة فلسفة الحق، وفلسفة السياسة، وفلسفة القانون، وفلسفة الأخلاق.

من أهم المباحث التي كانت محور الاهتمام في بحث الاعتباريات: حقيقة الاعتبار والأمور الاعتبارية، والتمييز بين معانيه المختلفة، وضرورة الاعتبار، وأول اعتبار، وأنواع الاعتباريات، وأخيرًا العلاقة بين الاعتباريات والصدق والكذب.

كما استُعمِلت اليوم معان مختلفة عما يرتبط بالعقل الأداتي، في النصوص الفلسفية والكلامية للمتقدمين، منذ ابن سينا وحتى الآن، وقبل التطرّق إلى المفاهيم الاعتبارية عند العلامة الحلّيّ، ومن أجل توضيح تطوّر هذا المصطلح، من الضروري إلقاء نظرة موجزة عليه عند السهروردي وآية الله الطباطبائيّ.

المفهوم الاعتباري عند السهروردي

لقد حاول السهرورديُّ في كتبه (التلويحات) و(المشارع والمطارحات) و(حكمة الإشراق) أن يبين بأدلة عديدة أن الصفات على قسمين: «١ـ صفةٌ عينيّةٌ ولها صورةٌ في العقل، كالسواد والبياض والحركة، ٢ـ صفةٌ وجودها في العين ليس إلاّ نفس وجودها في الذهن، وليس لها في غير الذهن وجودٌ، فالكون في الذهن لها في مرتبة كون غيرها في الأعيان، مثل الإمكان والجوهريّة واللونيّة والوجود وغيرها ممّا ذكرنا»[٩].

يقدم شيخ الإشراق قاعدةً لتمييز الأمر الاعتباري عن غير الاعتباري،

تتضمن البرهان على اعتبارية الأوصاف الاعتبارية (أي كونها ذهنيةً وغير زائدةٍ عن الشيء)، كما تؤدّي إلى معرفتها وتمييزها عن غيرها: «وفي الجملة كون الشيء ـ الذي يقال عليه: إنه صورةٌ ـ صورةً ومفهوم الذات والحقيقة والماهيّة والعرضيّة كلّها أوصافٌ اعتباريةٌ، وجميع ما يشبهها، وكلّ ما يقتضي وقوعه تكرّر نوعه عليه، وكلّ ما يقتضي وقوع تكرّر شيء واحدٍ عليه مرارًا بلا نهاية، فإن جميع هذا من الصفات العقليّة التي لا صورة لها في الأعيان»[١٠].

على سبيل المثال، إذا كان (الإمكان) نفسه وصفًا وعرضًا منفصلًا، وزائدًا على ذات الممكن (ليس أمرًا اعتباريًّا)، ففي هذه الحالة سيكون لدينا أمران: أحدهما هو الشيء ممكن الوجود، والآخر هو إمكانه.

والآن نتساءل عن هذا الإمكان كشيء مستقلٍ هل هو ممكنٌ أم لا؟ فإن لم يكن ممكنًا، يلزم المحال؛ لأنه سيكون إما محالًا أو واجبًا؛ وهذا هو التناقض بعينه؛ وإذا كان ممكنًا، نسأل مرةً أخرى هل هو وإمكانه (الإمكان وإمكان الإمكان) شيئان أم شيء واحد؟ فإذا كانا شيئًا واحدًا فهو إقرارٌ بأن الإمكان ليس زائدًا عن ذات الممكن، وإذا كانا شيئين، سنسأل عن الإمكان الثاني، وستستمر هذه الأسئلة وبتبعها هذه الإمكانات إلى ما لانهاية، وهذا الأمر يكشف أن الإمكان أمرٌ اعتباري؛ لأن (الإمكان) نفسه يشمل نوعه عدّة مرّات، ويُحمل (نوعه على نفسه) أو (نفسه على نفسه مرارًا)، وهذا علامة على الاعتبارية، وكذلك برهانٌ على بطلان أنه زائدٌ عن الذات؛ لأنه يؤدي إلى التسلسل المستحيل، وكذلك الوحدة إذا كانت منفصلةً عن الشيء فإن الوحدة نفسها تصير إما واحدًا (حمل الشيء على نفسه والتسلسل محال)، وإما كثيرة (تناقضها محال)، وهكذا العرضية إذا كانت زائدةً عن العرض، فحينئذٍ ستكون بنفسها مشمولة بالعرضية، وعرضيتها أيضًا مشمولة بعرضية أخرى إلى ما لا نهاية[١١].

مفهوم الاعتباريات عند العلَّامة الطباطبائي

حـاول المرحوم الطباطبائي – بناءً على المباحث الفلسـفية في عصره، وبحوث أصـول الفقـه لأسـتاذه الغـروي الأصفهـاني في موضـوع الاعتبـاري[١٢]– إجابة السـؤال عـن علاقـة الفاعـل بالفعل حين القيـام به، أي إنـه يـشرح في الواقع آلية الاعتبـار البشري، بغض النظر عن أي اعتبار مبرر ومقبول، ولهذا السـبب يعدّون هذا البحث من مواضيع علم النفس بناء على تصريح العلامة[١٣].

وقد ناقش العلامة بحث حسـن الفعل وقبحه في ذاته ـ وهو في الحقيقة جانبٌ مشـتركٌ في نقاشه مع الأشاعرة والمعتزلة ـ في تفسير الميزان بأن الأفعال التي تصدر عن الله ﷻ هل هي حسنة أوقبيحة[١٤]؟

وتـولى العلامة الطباطبائي توضيح الإدراكات الاعتبارية في مؤلفيه: (رسـالة الاعتباريات) و(المقالة السادسة من كتاب أصول الفلسفة والمنهج الواقعي) بنحو خاص، وتطرّق إلى هذا البحث في رسالة (الاعتباريات) ببيانٍ برهاني، وفي (المقالة السادسـة) ببيانٍ واضح وعام، ولم يشر إلى تقسـيمات المتقدمين الذين قسموا العلم إلى نظري وعملي، وبناءً على قول الشـهيد مطهري، فقد جعل هذا التقسيم مكان ذلك التقسيم[١٥].

بدأ العلامة بحثه بالمجازات والاسـتعارات، ثم تناول أفكارًا اعتباريةً أخرى، ومـن ناحيـةٍ أخـرى، ومـن هنا حيـث طرح إعطـاء حـدّ شيءٍ إلى آخـر في تعريف الإدراكات الاعتباريـة، وتبنـى مفهوم الإسـناد في تعريف الاعتبـار، كلّ هذا يدل عـلى أنهـا من جنس التصديقات وليسـت مـن جنس التصورات، كـما أنه لا يعتقد بالعلاقة السنخيّة بين القضايا الحقيقية والاعتبارية[١٦].

وباختصـار يجـب القـول: إن الإنسـان ـ من وجهة نظـر العلامـة الطباطبائي

ـ يقوم بإعداد سلسلةٍ من المفاهيم والأفكار الاعتبارية عبر استعمال قواه الفعالة، وملاك وضابطة اعتبار مفهوم ما، هو ارتباطه بنحو ما بالقوى الفاعلة، فإذا قلنا: إن التفاحة ثمرة شجرةٍ، فستكون فكرة حقيقية، وإذا قلنا: إن هذه التفاحة يجب أن تؤكل، وهذا الكأس مُلكي، فستكون اعتباريةً.... وبعض هذه الاعتبارات هي قبل الاجتماع وبعضها بعد الاجتماع[١٧].

وهذا القدر من الاختلاف بين القدماء والمتأخرين في الاصطلاح والاستعمال، يعود من جهةٍ إلى توضيح وتحديد المفاهيم المعقولة الثانية الفلسفية والمنطقية، وقد كان للملا صدرا دورٌ بارز في هذا التوضيح[١٨]، ويعود من جهةٍ أخرى إلى الاهتمام ببحوث المعرفة وصدق القضايا المختلفة في الأفكار الجديدة.

المفاهيم الاعتبارية عند الخواجه نصير الدين الطوسي

عاش شيخ الإشراق في القرن السادس وعاش الخواجة نصير الدين في القرن السابع، وهو معاصرٌ للشهرزوريّ شارح (حكمة الإشراق).

ومن جهةٍ أخرى فإن الملا قطب الدين الشيرازي – وهو شارح آخر لحكمة الإشراق – هو من تلاميذ الخواجة نصير الدين، ولذلك فإنهم جميعًا عاشوا في العصر نفسه، في القرن السابع، أي بعد شيخ الإشراق بحوالي مائة عام.

أضحى بحث المعقول الثاني بعد شيخ الإشراق جديًّا للغاية، وهو في الواقع يعود سببه إلى شيخ الإشراق نفسه؛ لأنه أثار هذا المناقشة بشكلٍ مكثفٍ وجذريّ للغاية، وكان يرى أن كل هذه المفاهيم ذهنيةٌ ولا وجود لها في الخارج، ولا ينبغي الخلط بين الذهن والواقع.

وفي هذا البحث تأثر الخواجة تأثرًا كاملًا بشيخ الإشراق، وكان لذلك تأثيرٌ كبيرٌ في مصير المباحث الفلسفية؛ لأن كتاب تجريد الاعتقاد الذي يحتوي على آراء

الخواجة كان مصدرًا ومرجعًا للمباحث الكلامية خلال فترة من الزمن، خاصةً منذ شرح العلامة الحلّيّ هذا الكتاب، ومنذ ذلك الحين، كُتبت شروحاتٌ مختلفةٌ لهذا الكتاب، وفي مرحلة من المراحل دارت جميع الأعمال الفلسفية حول محور مواضيع تجريد الاعتقاد[١٩].

ويعتقد البعض أن الخواجة نصير الدين يصرح في كتاب (تجريد الاعتقاد) عن معتقداته وآرائه ويقول: «فإني مجيب إلى ما سئلت من تحرير مسائل الكلام، وترتيبها على أبلغ نظام مشيرًا إلى غرر فوائد الاعتقاد ونكت مسائل الاجتهاد مما قادني الدليل إليه وقوي اعتقادي عليه» هذا فيما يؤكد في شرح الإشارات أنه يريد فقط الدفاع عن آراء المشاء؛ لذلك يعدّ نفسه مضطرًّا إلى عدم الإفصاح عن آرائه[٢٠].

ومن ناحية أخرى، يرى بعضهمُ الآخر أن كتاب (تجريد الاعتقاد) تم إعداده على طريقة المتكلمين؛ لفهم آراء الخواجة نصير الدين الفلسفية، ينبغي الرجوع إلى مؤلفاته وكتبه الفلسفية[٢١].

وعلى أيّ حال فلا شك أن لكتاب (التجريد) أثرًا كبيرًا في الفكر بعده، وقد حاول الخواجه نصير الدين في التجريد أن يتقدم على شيخ الإشراق، فجعل جميع المفاهيم الفلسفية ـ سواء التي ذكرها شيخ الإشراق أو التي لم يذكرها شيخ الإشراق ـ من المعقولات الثانية والاعتبارات العقلية.

ومن الحالات التي لم يذكرها السهروردي وجعلها الخواجة نصير من المعقولات الثانية، هي: التشخّص، العليّة والمعلولية، التناهي وعدم التناهي، والحدوث والقدم، ولذلك يمكن القول إن جميع المفاهيم الفلسفية عند الخواجة نصيرالدين، من حيث الهوية ذهنيةٌ ومحل تعيينها هو الذهن[٢٢].

المفهوم الاعتباري عند العلَّامة الحلّيّ

يعـدّ العلامـة الحلّيّ مـن أكبر عباقـرة العالم الإسـلاميّ، وكان متبحـرًا في جلّ العلوم معقولًا ومنقولًا، تشـهد بذلك مآثر آثاره[٢٣] التي تبلغ مائة عنوان في شـتى العلوم، حيث نرى العلامة في تصانيفه الحكمية والكلامية قد اهتمّ كثيرًا بأسـتاذه الخواجـة نصير، وحـين ينقل أقواله يقول فيه «بعض المحققين» و« الشـيخ الذي كان أفضـل أهل عصره في العلـوم العقلية وله مصنفات كثـيرة في العلوم الحكمية والشرعيـة على مذهـب الإمامية»[٢٤]، ولذا تجـده يؤيّد آراء الطـوسي ويدافع عنها غالبًا، وينعت الفخر الرازي الذي هو خصم الفلاسـفة بأنه لايحقق شيئًا ولايدقق فيها. على أن تأثره بأستاذه الطوسي لم يمنعه من مناقشة أفكاره ونقضها، فالعالم ابن الدليل كمايقولون[٢٥]، وكما تشهد بذلك موارد عديدة من كتبه[٢٦].

نـرى أنَّ العلَّامـة الحلّيَّ قد اقتفى أثـر المحقق الطوسي في عديد مـن كتبه فيعبّر حـين يعبّر عن بعض المفاهيم بأنها اعتبارية، والـذي نحن بصدده أن نحدّد مفهوم الاعتباريّ عند العلامة ونشـير إلى موارد مـن الاعتباريات عنده، وبعض ما يتفرع عنها.

المفهوم الاعتباري والمعقول الثاني في إطار فكر العلَّامة

نجـد العلامة الحلّيّ يعبّر في بعض الأحيان عن مفهوم واحد تارة بأنه اعتباري وأخرى بأنه من المعقولات الثانية.

كما يقول في موضع من (الأسرار): «حقيقة الشيء وذاته و ماهيته ـ من حيث هي حقائق وذوات وماهيات من المعقولات الثانية لا من حيث إنّها إنسان وفرس ـ فهي من الاعتبارات الذهنية»[٢٧].

فهل يكون الاصطلاحان مترادفين، أو مع اختلافهما متساويين، هنا نقول:

إن للمعقول الثاني في الحكمة دورًا تكامليًّا، إذ كان في أول نشأته اصطلاحاً بسيطًا يعبّر عن موضوع علم المنطق، حيث لاحظوا أنّ المعقولات التي يبحث عنها المنطقي لها صفة مميزة تمتاز بها عما يصدق على أعيان الموجودات، فاقترحوا قسماً آخر للمعقول وهو المعقول الثاني الذي لايصدق على الأعيان في قبال المعقول الأولي الذي يحكي ويصدق على الأعيان.

وقال المحقق الطوسي عند تبيين قول ابن سينا: «والمعقولات الثانية التي تلحق المعقولات الأولى التي هي حقائق الموجودات وأحكامها المعقولة»[٢٨]، والأحكام المعقولة هي ما أفاده الشيخ الرئيس بقوله: «إن الأمور التي في الذهن إما أمور تصوّرت في الذهن مستفادة من خارج وأما أمور تعرض لها من حيث هي في الذهن لايحاذي بها أمر في الخارج»[٢٩]، وبإزائه ماقاله العلامة عند سرد طائفة من المصطلحات المنطقية: «وهذه اللواحق إنّما تلحق الماهيّة عند لحوظ كونها في التصوّر، فإنّه ليس في الموجودات الخارجيّة ذاتيّة ولا عرضيّة ولا كون الشيء موضوعًا و محمولًا ولا مقدّمةً ولا قياسًا، بل هذه تلحق الماهيّة إذا قيست إلى الوجود الذهني، أمّا إذا لحظت الماهيّة من حيث هي هي، لم يلحقها شيء من ذلك؛ بل تكون لها اعتبارات تخصّها»[٣٠].

كان الأمر على ماذكر حتى نشأ مصطلح جديد وهو التفصيل بين المعقول الثاني المنطقي والمعقول الثاني الفلسفي، حيث كان الفاضل القوشجي من معاصري الخواجة، وفي طبقة تلامذته، وأيضًا من شارحي كتابه، فقد تنبّه القوشجي إلى أن بعض ما ذكره الخواجة من المفاهيم، وتبعه بذلك العلامة، بأن المعقولات الثانية ليست منها بشيء، فقال في شأن الوحدة والكثرة: «في كونهما من المعقولات الثانية نظر؛ لأنها (المعقولات الثانية) عبارة عن عوارض الوجود الذهني على ماسبق وهما يعرضان للموجودات في الخارج»، فالتفت إلى أنّ هناك أمورًا يصح حملهاعلى

الخارج، واتصافه بها، وإن لم يوجد فيه، فيقول في موضع: «انتفاء مبدأ المحمول لا يقتضي انتفاء الحمل الخارجي»، وهذا هو الذي اصطلح في عصرنا بالعروض الذهني مع الاتصاف الخارجي، وهو أحد أركان المعقول الثاني عند الحكيم الفلسفي[٣١].

فلذلك مانجده في عبارات العلامة من المعقول الثاني، يحمل على المصطلح البسيط الذي ينطبق على المفهوم المنطقي الآنف ذكره.

أما الاعتبار، فمصطلح كثير الاستعمال على ألسنة الحكماء والمتكلمين، فيعبّرون عن الحيثيات بالاعتبارات، ثم إنّ ابن سينا ذكر ثلاثة اعتبارات للماهية، فقال: «ماهيات الأشياء قد تكون في أعيان الأشياء، وقد تكون في التصور، فيكون لها اعتبارات ثلاثة: اعتبار الماهية بما هي تلك الماهية غير مضافة إلى أحد الوجودين، وما يلحقها من حيث هي كذلك، واعتبار لها من حيث هي في الأعيان، فيلحقها حينئذ أعراض تخص وجودها ذلك، واعتبار لها من حيث هي في التصور، فيلحقها حينئذ أعراض تخص وجودها ذلك، مثل الوضع والحمل، ومثل الكلية والجزئية في الحمل، والذاتية والعرضية في الحمل، وغير ذلك مما ستعلمه، فإنه ليس في الموجودات الخارجة ذاتية ولا عرضية حملًا، ولا كون الشيء مبتدًا ولا كونه خبرًا، ولا مقدمةً ولا قياسًا، ولا غير ذلك»[٣٢]، فذكر أن هناك أعراضًا واعتبارات للماهية تلحقها من حيث إنها في التصور، والموجودات الخارجية أي الماهية من حيث إنها في الخارج لاتتصف بها، وبعبارة أخرى، فإن هناك اعتبارات عقلية لايحاذيها أمر في الخارج، كما بحث في الشفاء عن مفهوم المضاف: هل هو أمر موجود في الأعيان أو لا؟ أي هل هو من الاعتبارات العقلية أو لا؟ فقسّم المضاف، فأفاد أن هنا أمرين، أحدهما حيثية المضاف نفسه، وثانيهما حيثية أنها معقولة والإشكلات على موجوديتها في الأعيان ترجع بالحقيقة إلى الحيثية المعقولة: «وإذ قد عرفت هذا فقد

عرفت أن المضاف في الوجود موجود بمعنى أن له هذا الحد، وهذا الحد لا يوجب أن يكون المضاف في الوجود إلا عرضًا إذا عقل كان بالصفة المذكورة، ولا يوجب أن يكون أمرًا قائم الذات واحدًا واصلًا بين الشيئين، وأما القول بالقياس فإنما يحدث في العقل، فيكون ذلك هو بالإضافة العقلية والإضافة الوجودية ما بيّناه، وهو كونه بحيث إذا عقل كان معقول الماهية بالقياس، وأما كونه في العقل فأن يكون عقل بالقياس إلى غيره، فله في الوجود حكم، وله في العقل حكم، من حيث هو في العقل لا من حيث الإضافة، ويجوز في العقل إضافات مخترعة إنما يفعلها العقل بسبب الخاصية التي للعقل منها»[٣٣].

كما يقول بعد ذلك في شأن التقدم والتأخُّر:

«وأما المتقدم والمتأخر في الزمان، وأحدهما معدوم، وما أشبه ذلك، فإن التقدم والتأخر متضايفان بين الوجود إذا عقل، وبين المعقول الذي ليس مأخوذًا عن الوجود الخاص، فاعلمه،

فإن الشيء في نفسه ليس بمتقدم إلا بشيء موجود معه، وهذا النوع من المتقدم والمتأخر موجود للطرفين معًا في الذهن، فإنه إذا أحضرت في الذهن صورة المتقدم وصورة المتأخر عقلت النفس هذه المقايسة واقعة بين موجودين فيه، إذ كانت هذه المقايسة بين الموجودين في العقل، وأما قبل ذلك فلا يكون الشيء في نفسه متقدمًا، فكيف يتقدم على لا شيء موجود؟ فما كان من المضافات على هذه السبيل فإنما تضايفها في العقل وحده، وليس في الوجود لها معنى قائم من حيث هذا التقدم والتأخر، بل هذا المتقدم والمتأخر بالحقيقة من المعاني العقلية والمناسبات التي يفرضها العقل والاعتبارات التي تحصل للأشياء إذا قايس بينها العقل وأشار إليها»[٣٤].

وقد عقد الشيخ الإشراقي بابًا في غير واحد من كتبه للاعتبارات العقلية

كما ذكرناه في صدر البحث، حتى انتهى الأمرُ إلى العلامة، «والعلامة أيضًا من شارحي الإشراق، حيث بحث عن مشكلات التلويحات في كتاب سماه (حل المشكلات من كتاب التلويحات) لم يصل إلينا بعد[٣٥]، وأستاذه الخواجة فذكروا عدة من المفاهيم أنها اعتبارية أو اعتبارات عقلية:

«قال: ووصفاهما اعتباريان متنافيان وقد يتضايفان فيتعاكسان في العموم والخصوص مع اعتبارهما بما مضى، أقول: يعني أن وصف البساطة والتركيب اعتباريان عقليان عارضان لغيرهما من الماهيات إذ لا موجود هو بسيط أو مركب محض فالبساطة والتركيب لا يعقلان إلا عارضين فهما من ثواني المعقولات ولو كانا موجودين لزم التسلسل»[٣٦].

«قال: والثلاثة اعتبارية لصدقها على المعدوم واستحالة التسلسل، أقول: هذه الجهات الثلاث أعني الوجوب والإمكان والامتناع، أمور اعتبارية يعتبرها العقل عند نسبة الوجود إلى الماهية، وليس لها تحقق في الأعيان»[٣٧]، وغير ذلك من العبارات.

فتحصّل أن ما نحن بصدده من تحديد مفهوم الاعتباري هو الاعتبار العقلي الذي هو من افتراضات الذهن، ولا يحاذيه شيء في الخارج ، فهو موجود في الأذهان معدوم في الأعيان فحقيق أن يُعبّر عنه بالأمر العدميّ كما قال العلامة:

«أنّا قد بينا أن الإمكان عدمي؛ لأنه لو كان ثبوتيًّا، لكان ممكنًا فيكون له إمكان، ويلزم التسلسل، والزمان يتقدم أجزاؤه بعضها على بعض هذا النوع من التقدم فيكون للزمان زمان هذا خلف»[٣٨].

أو غير ثبوتي كقوله: «الحدوث كيفية اعتبارية نسبتها إلى الوجود والعدم واحدة، ولهذا يصحّ وصف الوجود والعدم بها، فليس أمرًا ثابتًا في الأعيان »[٣٩]،

فـإذا قال العلَّامة مفهوم كذا اعتباري أو اعتبار عقلي، فإنما يريد به شـيئًا واحدًا هو ماذكرنا.

والـذي يقتضيه التدقيـق فيما ذكرنا من بيان الاصطلاحـين، أنهما وإن كانا بعد التسـاوي صدقًـا، قريبي المأخـذ مفهومًا أيضًـا، إلا أن كلّ واحـدٍ منهما يحكي عن حيثيـة تخصه، فمفهوم الكلية مثلًا اعتباري ومعقول ثانٍ، فالاعتبارية يشـير إلى أنه من افتراضات الذهن وأنه ليس بحذائه شيء في الخارج وثانويته، وتدل مسـبوقيته بالمعقـول الأولي الـذي يحكي عـن متن الأعيـان، فالمعقولات الثانيـة هي أعراض وأحكام ذهنية للمعقولات الأولى.

لزوم التفكيك بين الحقيقة والاعتبار

الأمـر الذي ذكره العلامة مرارًا، لـزوم التفكيك بين الحقيقة والاعتبار وعدم الخلط بينهما،يقول العلامة في موضع من (الأسرار):

«و اعلـم أنّ فسـاد هـذه الحجّة ظاهر، و سـببه أخـذ الأمـور الاعتبارية مكان العينيـة، وتحقيـق هـذا أن نقـول: الصفات تنقسـم إلى صفات موجـودة في الذهن والعـين، وإلى صفات توجد في الذهن لا غير، ووجودها العينيّ هو أنّها في الذهن: كالنوعيـة المحمولـة عـلى الإنسـان، والجزئيـة المحمولـة عـلى زيـد، وكذلك جميع المعقولات الثانية كالشـيئية على رأيهم، فكما لا يلزم من «كون الشيء ليس يجري في الأعيان» أن تكون الكلّيّة ثابتة في الأعيان، وكذلك لا يلزم من «كون الإمكان ليس بثابت في الأعيان أن يكون الوجوب والامتناع ثابتين فيه، وكونه هو نفس العدم لا ينافي أن يكون عدميًّا»[٤٠].

وموضـع من (الإيضاح): «وإنما نشـأ هذا البحث من عـدم تحقيق الفرق بين الامور الاعتبارية والماهيات الخارجية»[٤١]، وفي موضع آخر منه: « وهذا كله خبط

نشأ من عدم التحقيق وقياس الأمور الذهنية على الأمور الخارجية»[٤٢].

فالتحقيق أن هذا الخلط يقتضي الخروج عن شروط البرهان بإسناد محمول يختص بالعدميات، إلى أمر ثبوتي ومختص بالثبوتيات، إلى أمر عدمي يلزمهما إسناد عارض إلى غير معروضه، ومحمول إلى غير موضوعه، فيختل شرط الذاتية من شروط مقدمات البرهان، بل الوقوع في المغالطة من جهة التفكيك بين وعائي الموضوع والمحمول وهو ينافي الاتحاد الذي هو مقتضى الحمل.

ماهو ملاك الصدق للمحمولات الاعتبارية؟

من المهم في التصديقات التمييز بين صادقها وكاذبها، والملاك كلّ الملاك في ذلك مطابقة القضية أو عدم مطابقتها للواقع، فما تطابق صدق، وما لم يطابق كذب، كما أن من اللازم التفرقة بين الاعتبار الذي هو من دعابات الوهم والافتراضات الصرفة كأنياب الأغوال، وما ليس كذلك بل له شأنية الصدق والكذب، فيرجع الأمر بالآخرة إلى مسألة مهمة: ما هي الواقعية للمحمولات الاعتبارية؟

يقول العلامة في ذلك: « الأحكام الذهنية قد تؤخذ بالقياس إلى ما في الخارج، وقد تؤخذ لا بهذا الاعتبار، فإذا حكم الذهن على الأشياء الخارجية بأشياء خارجية مثلها كقولنا: الإنسان حيوان في الخارج، وجب أن يكون مطابقًا لما في الخارج، حتى يكون حكم الذهن حقًّا، وإلا لكان باطلًا، وإن حكم على أشياء خارجية بأمور معقولة كقولنا الإنسان ممكن، أو حكم على الأمور الذهنية بأحكام ذهنية كقولنا الإمكان مقابل للامتناع، لم تجب مطابقته لما في الخارج، إذ ليس في الخارج إمكان وامتناع متقابلان، ولا في الخارج إنسان ممكن، إذا تقرر هذا (فنقول): الحكم الصحيح في هذين القسمين لا يمكن أن يكون باعتبار مطابقته لما في الخارج لما تقدم من أن الحكم ليس مأخوذًا بالقياس إلى الخارج، ولا باعتبار مطابقته لما في الذهن؛ لأن الذهن قد يتصور الكواذب فإنا قد نتصور كون الإنسان واجبًا مع

أنـه ممكـن فلو كان صدق الحكم باعتبار مطابقته لما في الذهن لكان الحكم بوجوب الإنسـان صادقًا؛ لأن له صورة ذهنية مطابقة لهذا الحكم بل يكون باعتبار مطابقته لما في نفس الأمر»[٤٣].

فأفاد العلامة تبعًا لأستاذه الطوسي أن الشأن في المحمولات الاعتبارية ليس المطابقـة للخارج؛ لأنها لاتتحقق في الخارج حتـى تطابقه، ولا للذهن، إذ إنه وعاء للدعابـات الخياليـة أيضًا التـي تخلو عن الصدق والكذب، بل الشـأن في مطابقتها لنفـس الأمر، أي مطابقتهـا لما يقتضيه الموضوع نفسـه دون أن تؤخذ فيه الخارجية حتى لايكون ذهنيًّا، أو الذهنية الصرفة حتى يشـمل كل ماتشـملها، بل ما يقتضيه الموضوع نفسـه في وعاء الذهن من جهة كونه ذهنيًّا ويخرج بالاقتضاء ما لايلاحظ فيه الاقتضاء والصلوح، فيكون جزافيًّا من قبيل الدعابات.

وعليـه يحمل قوله: « قـال: وحكم الذهن على الممكن بالإمكان، اعتبار عقلي، فيجـب أن تعتـبر مطابقتـه لما في العقـل، أقول: قـد تقـدم مواضع اعتبـار المطابقة وعدمهـا، والإمـكان إذا اعتبر فيـه المطابقة فيجـب أن يكون مطابقًا لمـا في العقل؛ لأنـه اعتبـار عقلي على ما تقدم»[٤٤]، كما يقول في موضـع آخر:«وأمّا قولهم: لو كان الإمكان ذهنيًّا، لجاز لحوقه بجميع الماهيّات» فملازمة فاسـدة، فإنّه ليس من شرط الأمر الذهنيّ أن تتسـاوى نسـبته إلى جميع الماهيّات كما في سائر الاعتبارات الذهنيّة مـن: الجزئية، و الكلّيّة، و الامتناع، فـإنّ الذهن لا يلحقها إلاّ بما يلاحظ صلوحها له»[٤٥].

كيف يمكن لحاظ الأمر الاعتباري في الخارج؟

قد تقدم أن الاعتباري لايكون في الخارج، لكن هل يمكن إسـناده إلى الخارج فيحمـل عـلى الأمـور الخارجية؟ يمكـن أن نجيب عن ذلـك بأنّ الاعتبـاري وإن لم يكـن موجـودًا بنفسـه في الخارج، إلا أنه بواسـطة اتصاف الماهية بـه، يعد وصفًا

للأمـر الخارجي، فإن الماهية لاتأبى عن الذهنية والخارجية، فتكون واسـطة العقد بينهـما، فـإذا عرفت ذلك فنقول: أن للعقل أن يلاحظ ماهية من الماهيات، فيحكم عليهـا بلحوق اعتبار عقلي في الخارج «إذا قضى العقل بكون الاعتبارات يسـتحيل أن يلحقهـا العقـل بالماهيّة إلا عند وجود تلك الماهيّة في الأعيان، كان الاسـتدلال بلحـوق ذلـك الاعتبار بتلك الماهية عـلى وجود الماهية صحيحًـا، كما في الوجوب الـذي هـو اعتبار عقـلي، إذا لحظه العقل بالنسـبة إلى ماهية ما مـن الماهيات، كانت تلك الماهيّة ثابتة في الأعيان، وهذا تحقيق هذا الموضع»[٤٦].

القول باعتباريّة بعض المفاهيم مع التفسـير المذكور، أصلٌ عقليّ عند العلامّة خصّص له فروعًا عدّة في كتاباته، نشير إلى موارد منها كنماذج:

اعتبار صفات الباري

ببيانٍ يذكر المرحوم العلامة مسألة اعتباريّة هذه المفاهيم في تطرّقه لصفات الباري وما يتبعها من مشـاكل، أن أوصاف الواجب عند الحكماء والمتكلمين هي في الحقيقة محمولـةٌ عـلى موضوعها وهو واجب الوجـود، ومن المواضيع المذكـورة فيما يتعلق: المحمولات السابقة هل يمكن اعتبار صفات الباري زائدةٌ عن ماهيته أم لا؟[٤٧].

كتب في الأسرار الخفية: «سرّ هل يجوز أن يكون لواجب الوجود صفاتٌ زائدةٌ على ماهيته أم لا؟ المشـهور عند الجماهير اسـتحالة ذلك، واستدلّوا بأنّ تلك الماهية ممكنةٌ؛ لافتقارها إلى الموصوف، فالمؤثّر فيها لا يجوز أن يكون غير واجب الوجود؛ لأنّ وجـود واجب الوجـود متوقّفٌ على وجـود تلك الصفة أو عدمهـا، المتوقّف عـلى الغـير، فيكون متوقّفًا فبقي أن يكـون واجب الوجود، فيكـون قابلًا وفاعلًا، وهـذه الحجّة لا تخلو من وهـنٍ؛ لأنّه لا يلزم من كون واجب الوجود لا ينفكّ عن وجود الصفة أو عدمها، توقّفه عليه، وعلى تقدير التسليم فقولهم: «القابل لا يكون فاعلًا» قد عرفت ضعفه».

ويردّ العلامة استدلال من لا يعتقد بزيادة الصفات على الذات، كما يعدّ جهة الضعف على هذا النحو؛ أن الحجّة المذكورة مبنيّةٌ على مقدمةٍ فاسدةٍ، وهي: «إذا لم ينفكّ الواجب عن وجود أو عدم صفة، فإنه يتوقف على تلك الصفة أو عدمها» (وهذا ينافي وجوب الوجود)، ويظهر فساد القول السابق من كلامه الآخر الذي يقول فيه: «المعقول من الله تعالى كونه قادرًا فاعلًا عالمًا، ليس بجسم، إلى غير ذلك من الصفات السلبية، والإضافية وهي أمورٌ مغايرةٌ للذات اعتبارًا»[٤٨].

أو يقول في موضعٍ آخر: «إن علمه زائدٌ على ذاته في اعتبار المعتبرين، وليس له تحققٌ منفصلٌ عن تحقق ذاته»[٤٩].

لأن التوقف على الغير يلزم عندما يكون المتوقف على الغير المفروض حقيقةً غير متوقف، إلا أن صفات واجب الوجود ليس لها تغاير حقيقيّ معه، وهذا التغاير يمكن فرضه في حالة اعتبار العقل فقط؛ لأن العلية كنسبةٍ هي في حدّ ذاتها أمرٌ اعتباريٌّ[٥٠]، يقبل الاستناد خارجًا إذا كان لطرفيه تحقّق خارجيٌّ، وفي الجزء الأخير من عبارته، وبعد قبول التوقف المذكور آنفًا، يشير العلامة إلى نقطة ضعف أخرى في تلك الحجة، وهي القول بأن الفاعل لا يكون قابلًا، وبيان الضعف المذكور جاء في فقرةٍ أخرى من (الأسرار الخفية) المذكور آنفا: «سرّ، منعوا من كون البسيط الفاعل قابلًا لفعله؛ فإنّه من حيث هو فاعل، يجب له المفعول، ومن حيث هو قابل، يمكن عنه، ولأنّ استناد القابلية والمؤثّريّة إلى أمر واحد، يقتضي جواز صدور الكثرة عن البسيط، وهذان رديئان جدًّا... والقابلية والمؤثّرية من الصفات الاعتبارية، على أنّ صدور الكثير من الواحد ليس بمحال على ما بَيّن»[٥١].

وهنا يرى العلامة أيضًا أن اجتماع الفاعلية والقابلية صحيحتان من حيث اعتباريتهما دون أي إشكال، وبسبب كون مفهوم الصدور والعلية اعتباريين، فإنه لا يرى استحالة في صدور الكثير من الواحد، وفي (معراج الفهم) بعد أن

نسب الزيادة إلى جماعة من الأشاعرة وجماعة من المعتزلة، والقول بعدم الزيادة إلى الفلاسفة وجماعة أخرى من المعتزلة، يقول بالتفصيل ويختار القول بالزيادة الذهنية: «والحقّ عندي أنّ هذه الصفات أمورٌ زائدةٌ على ذاته في التعقّل، وأمّا في الخارج فلا»[٥٢].

وبعدما ذكر أربعة أدلة من أدلة الزيادة قال: «وهذه الوجوه بأسرها ضعيفةٌ، فإنّها إنّما تدلّ على الزيادة ذهنًا»[٥٣].

يقول العلامة عن أحد المحمولات الاعتبارية للماهية، أي عنوان الماهية نفسها، هو وصف للماهية: «الماهية أيضًا من المعقولات الثانية... فإن كون الإنسان ماهيةً، أمرٌ زائدٌ على حقيقة الإنسانية »[٥٤]؛ لذلك يفهم أن المحمول الاعتباري يتصف بالزيادة مقارنةً بالأمر الحقيقي، ولا فرق في هذا الصدد بين الواجب والممكن.

وهناك نقطةٌ جديرةٌ بالاهتمام، وهي أن العلامة في المعارج اختار القول بوجود أوصاف الواجب، بعد طرحه عدم أو وجود أوصاف الواجب، ونسبته القول الأول إلى الفلاسفة وأبي الحسين البصري، والقول الثاني إلى أبي الحسن الأشعري وجماعةٍ من المعتزلة[٥٥].

ويجمع العلامة بهذا الوصف بين وجود صفات الواجب وزيادتها في التعقل، والأمر الثاني يدل على أنها اعتباريةٌ. هذا على الرغم من أنه يعتبر لقب واجب الوجود، الذي يدل على الحيثيّة الذاتيّة لواجب الوجود، اعتباريًّا[٥٦].

العلّامة الحلّيّ وشبهة ابن كمونة

لقد ذكر الحكماء والمتكلمون براهين مختلفةً تثبت توحيد ذات واجب الوجود[٥٧] أحدها: الدليل على وجوب تركب الواجب من ما به الاشتراك، وما به الامتياز في حالة تعدد الواجب، وفي هذه الحالة يكون واجب الوجود أمرًا مشتركًا

بينهـا، ولكل واجبٍ من الواجبـات المفروضة صفةٌ امتيازيةٌ تبرّر تعددها: «لو كان هنـاك موجـودان واجبا الوجود لكانا قد اشـتركا في كون كلّ واحـد منهما واجب الوجود، فإمّا أن يتميّزا بعد الاشتراك بشيء، أو لا يتميّزا، والثاني باطلٌ، وإلا لكانا واحدًا، والأوّل باطل: أمّا أوّلًا: فلاستحالة التركيب في واجب الوجود»[٥٨].

وهنا توجد مشكلةٌ منسوبةٌ إلى ابن كمونة[٥٩] في كون وجوب الوجود اعتباريًّا، والتي انتبه إليها المرحوم العلامة: «واعلم أنّ أشكل ما يرد على هذه الحجّة أن يقال: الوجوب أمرٌ اعتباريٌّ نسـبته إلى الوجود والعدم على السـواء كالإمكان، وليس له حـظّ من الوجود، بل يحصل نوعًا من الحصول في الذهن عند مقايسـة الوجود إلى الماهيّـة، ولا يلـزم مـن الاشـتراك في مثل هذه الصفـات وقوع التركيـب»[٦٠]، أما الجملـة الأخـيرة فهي لبيـان أن التركيـب الحقيقي يلـزم عندما يكـون تحقق الجزء المشـترك وتمييـزه عن ما به الامتياز حقيقيًّا، أما مـا نتحدث عنه هنا بأن تحقق الجزء المذكور ومن ثَمّ تمييزه، اعتباريٌّ، فلا يستلزم التركيب.

وفي موضـعٍ آخـر يقـول في إثبـات اعتبـار الوجـوب: «هذه خاصيّةٌ خامسـة لواجـب الوجود، وهـي أنّ وجوبه أمر ذهنـيّ واعتبار عقليّ ليس في الخارج شـيئًا ثابتًا موجودًا، و يدلّ عليه أنّه لو كان موجودًا في الخارج لكان إمّا أن يكون واجب الوجود أو ممكن الوجود؛ والأوّل باطل: أمّا أوّلًا: فلاستحالة التعدّد في الواجب؛ وأمّا ثانيًا: فلأنّه يلزم التسلسل وأمّا ثالثًا: فلأنّه صفة لا يعقل قيامه بانفراده، والثاني باطل؛ لأنّه إذا كان الوجوب ممكن الوجود أمكن زواله، والواجب إنّما هو واجب باعتبار هذا الوجوب، فعلى تقدير زواله يخرج الواجب عن كونه واجبًا»[٦١].

ويذكـر العلامة الجـواب عن هذا الإشـكال نقلًا عن بعـض الباحثين لتفادي الإشـكال المذكور: «وقد أجاب عن هذا بعض المحقّقين بأنّ الوجوب لا شـكّ في كونه أمرًا اعتباريًّا، إلا أنّ واجب الوجود يسـتحيل أن يكون أمرًا اعتباريًّا، ونحن

إنّما بحثنا في مفهوم واجب الوجود وقلنا: إنّه يستحيل حمله على شيئين»[٦٢] [٦٣].

لكنه في النهاية لا يقبله؛ لأن مفهوم واجب الوجود يتم تحليله بحسب اشتقاقه إلى ما له وجوب الوجود الذي يتألف من عدة مفاهيم اعتبارية، والأمر الحقيقيّ لا يحصل من جمع الأمور الاعتبارية: « وهذا الجواب عندي ضعيف، فإنّ مفهوم واجب الوجود شيءٌ ما، له وجوب الوجود، والشيئيّة والوجوب من المعقولات الثانية اللاحقة للمعقولات الأولى، ولا يلزم من الاشتراك فيها الاشتراك في الذوات، كما أنّه لا يلزم من اشتراك ممكنين في حمل هذا المعنى عليهما، تركّبهما من هذا المفهوم ومن فصل آخر، فهذا ما عندي في هذه الحجّة» [٦٤].

وبهذا يكون البرهان المذكور ناقصًا بقبول الإشكال السابق، ونوكل إثبات مسألة التوحيد إلى براهين أخرى.

سريان مفهوم الاعتبار في قاعدة الواحد عند العلّامة الحلّيّ

قاعدة الواحد[٦٥] هي من الأصول متعددة الفروع[٦٦] التي حظيت باهتمام وعنايةٍ في كتب الحكمة، وهي مهمةٌ في طريقة تقرير أفعال الباري وترتيبها؛ لأنه عند قبوله وجريانه في الباري تعالى، سيكون واجب الوجود كواحدٍ حقيقيّ وبسيط محض، ليس له إلا معلول واحد فقط بشكل مباشر، وتحقق المعاليل الأخرى سيكون من خلال المعلول الواحد.

وبالطبع فإنَّ تقريرَ الحكماء لسير هذه القاعدة في فعل الباري بنحوٍ لا يستوجب النقص في قدرته تعالى اللامتناهيّة؛ لأنهم بحسب أحكام هذه القاعدة يعدّون صدور أمور كثيرة بشكلٍ غير مباشر من العلَّةِ الواحد أمرًا غير ممكن.

والسر في عدم تعلق قدرة الواجب بهذه الأمور هو الامتناع المذكور ودون أن يستوجب هذا الأمر نقصًا أو خللًا في فاعلية الفاعل[٦٧].

وقد ذكر الخواجة نصير الدين الطوسي في تقريره لبرهان هذه القاعدة: «يريد بيان أنّ الواحد الحقيقيّ لا يوجب من حيث هو واحد إلاّ شيئًا واحدًا بالعدد، وكأنّ هذا الحكم قريب من الوضوح، ولذلك وسم (يعني الشيخ ابن سينا) الفصل بالتنبيه، وإنّما كثرت مدافعة الناس إيّاه؛ لإغفالهم عن معنى الوحدة الحقيقيّة، وتقريره أن يقال: مفهوم كون الشيء بحيث يجب عنه «أ» غير مفهوم كونه بحيث يجب عنه «ب»، أي علّيته لأحدهما غير علّيته للآخر وتغاير المفهومين يدلّ على تغاير حقيقتيهما. فإذن المفروض ليس شيئًا واحدًا، بل هو شيئان أو شيء موصوف بصفتين متغايرتين، وقد فرضناه واحدًا. هذا خلف»[٦٨].

وفي القول السابق يرى الخواجة أن كثرة المعاليل مرتبطٌ بكثرة العلل؛ لأن كل معلولٍ يتحقق بموجب حيثيّته التعليليّة، وحيثية إيجاب كل معلولٍ تختلف عن حيثية إيجاب المعلول الآخر؛ لذلك فإن إسناد معلولين إلى علةٍ واحدةٍ يقتضي عدم واقعية وحدة العلة، وشائبة تكثرها؛ لأن اجتماع الحيثيتين في أمرٍ واحدٍ مخالفٌ للوحدة الحقيقية لذلك الأمر: «الواحد بالصّفة المذكورة لا يمكن أن يصدر عنه إلا واحد، بلا اعتبار غير ذاته؛ لأنّه إذا صدر عنه شيئان؛ كان اعتبار صدورهما عنه متغايرين وحيثيّتا صدورهما مختلفين، فيكون معه اعتباران أو حيثيّتان، وقد فرضنا نفيهما، هذا خلف، وهذا معنى قول الحكماء: «لا يصدر عن الواحد باعتبار واحد إلا واحد»[٦٩].

وقال المرحوم العلَّامة في (شرح حكمة العين)، بعدما ذكر البرهان السابق بتفصيلٍ أكثر حيث يوجد أيضًا في كلام الشيخ الرئيس والخواجة نصير، حيث امتنعنا عن نقله من أجل تجنب الإطالة في الكلام: «وهذا الاستدلال ضعيفٌ جدًّا؛ لأنه مبني على كون الصدور أمرًا ثبوتيًّا في الأعيان، و هو باطلٌ وإلَّا لزم التسلسل، وإنما هو أمرٌ اعتباري عقلي لا تحقق له في الخارج»[٧٠]. وقال في كشف المراد: «وهي عندي ضعيفةٌ؛ لأن نسبة التأثير والصدور تستحيل أن تكون وجوديةً وإلا لزم

التسلسل وإذا كانت من الأمور الاعتبارية استحالت هذه القسمة عليها»[٧١].

وبهذا يضع المرحوم العلامة اعتبارية الصدور والعلية حدًّا وسطًا لعدم التغاير الحقيقي بين الحيثيتين المذكورتين، وبهذا التقرير لا يرى اجتماع الحيثيتين بملاك اعتباريتهما مخالفًا للوحدة الحقيقية للعلة.

كما أنه بهذا الاستدلال ـ أيّ اعتباريّة هذه الجهات ـ لا يقبل كلام الحكماء في بيان الجهات الكثيرة والحيثيات المختلفة في الصادر الأول، كمسوّغ لصدور معاليل متعددةٍ: «قالوا: لأن المعلول الأول بالنظر إلى ذاته ممكن، وبالنظر إلى علته واجب، وله ماهية ووجود مستفاد من فاعله، وهو يعقل ذاته لتجرده، ويعقل مبدأه وهذه جهات كثيرة إضافية يقع بها التكثر، ولا تثلم وحدته ويصدر عنه باعتبار كل جهة شيء، وهذا الكلام عندنا في غاية السقوط؛ لأن هذه الجهات لا تصلح للتأثير لأنها أمور اعتبارية»[٧٢].

النتيجة

إن عدم التحديد الدقيق للمفاهيم الفلسفية في عصر العلَّامة الحلّيّ، وسريان هذا الأمر في مجال علم الكلام أدى إلى مشاكل فكريةٍ، وعدم الفصل بين المعقولات الثانية الفلسفية والمنطقية من جهة، وتسمية كل ما في العالم الخارجي بالأمر الواقعيّ، ومقابله بالأمر الاعتباري من جهةٍ أخرى، رافقته مشكلاتٌ كلاميةٌ في مجال صفات الباري، والمواضيع الفلسفية مثل قاعدة الواحد و...

وقد حاولنا في هذا البحث أن نوضح تفسيرات هذا المصطلح للمفسرين من خلال الفهم الصحيح لمفهوم الاعتباري، والمعقولات الثانية في مؤلفات العلامة، والنصوص التي سبقته أو التي جاءت بعده.

الهوامش

(١) وضع اللفظ لأي معنى بتوسط الواضع.

(٢) اموزش فلسفه «تعليم الفلسفة» ٢: ١٨٦.

(٣) دائره المعارف بزرگ اسلامي: اعتباريات (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى: الاعتباريات).

(٤) مجموعه آثار (مجموعة الآثار) ٦: ٣٧٢.

(٥) لمزيد من التفصيل يراجع: اصول فلسفه وروش رئاليسم (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي) الموجود في المجلد ٦ من مجموعة الآثار في المقالة السادسة.

(٦) حاشية الكفاية ١: ١٠٧.

(٧) اصول فلسفه و روش رئاليسم(أصول الفلسفة والمنهج الواقعي): ٢٩٣، الهامش؛ لكن للشهيد مطهري إشكالات على رأي العلامة، يراجع: جاودانگي واخلاق ، يادنامه شهيد مطهري (الخلود والأخلاق، في ذكرى الشهيد مطهري) ١.

(٨) دائره المعارف بزرگ إسلامي (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى) ٩ : ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

(٩) اعتباريات دائرة المعارف بزرگ اسلامي: اعتباريات (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى: الاعتباريات) ٢: ٧٢.

(١٠) المشارع والمطارحات ٢: ٣٦٤؛ لتوضيح أكثر لرأي شيخ الإشراق يراجع؛ المعقولات والاعتباريات ١: ٢٢٥ـ ٢٧٨.

(١١) اعتباريات دائرة المعارف بزرگ اسلامي: اعتباريات. (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى: الاعتباريات).

(١٢) يراجع نهاية الدراية ٣: ٢٨ ـ ٣٠ و٣٣٤ ـ ٣٣٧.

(١٣) الرسائل السبعة: ١٢٤.

(١٤) الميزان ٥: ١٠ـ ١٣و٣٦٨ـ ٣٨٠.

(١٥) مقالات فلسفي (مقالات فلسفية)٢: ٢٠٢، دائره المعارف بزرگ اسلامي: اعتباريات (دائرة المعارف الإسلامية الكبرى: الاعتباريات).

(١٦) بحث تطبيقي درباره ادراكات اعتباري (بحث مقارن عن الإدراكات الاعتبارية) ٣٤٢ـ ٣٥٧؛ على الرغم من أن بعضهم نقد آراء العلامة؛ يراجع جزوه درس فلسفه اخلاق (محاضرات في درس فلسفة الأخلاق).

(١٧) المصدر نفسه، مجلةپژوهشاي فلسفي

كلامي (بحوث فلسفية كلامية)، سنة ١٣٨٤ش/ ٢٠٠٤م ، العدد٢، مقالة استدلال در اعتباريات (الاستدلال في الاعتباريات): ٣ـ٤٠ ؛ يراجع أصول فلسفه وروش رئاليسم (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي): ٣١٥ وما بعدها؛ رسائل سبعه (الرسائل السبعة): ١٢٧ وما بعدها.

(١٨) يراجع حكمت اشراق (حكمة الإشراق) ١: ٢٢٥ـ٢٧٨.

(١٩) المصدر نفسه ١: ٢٦٣.

(٢٠) المصدر نفسه ١: ٢٦٤.

(٢١) عين نضاخ ١: ٢٥٤ـ٢٥٦.

(٢٢) حكمت اشراق (حكمة الإشراق) ١: ٢٦٤.

(٢٣) للاطلاع على كلمات العلماء في حقه وعناوين آثاره يراجع؛ (القواعد الجلية)، مقدمة المحقق.

(٢٤) الأسرارالخفية: ٢٦ و ٢٢.

(٢٥) المصدر نفسه: ٢٧.

(٢٦) للاطلاع على موارد مشابهة، يراجع علامه حلي متكلم يا فيلسوف (العلامة الحلّيّ متكلّم أو فيلسوف).

(٢٧) الأسرار الخفية: ٥٠٣.

(٢٨) حكمة الإشراق ١: ٢٣٣. (نقلاً عن شرح الإشارات).

(٢٩) حكمة الإشراق ١: ٢٢٩. (نقلاً عن مدخل منطق الشفاء).

(٣٠) الأسرار الخفية في العلوم العقلية:١.

(٣١) حكمة الإشراق ١: ٢٧٢. (بتلخيص).

(٣٢) منطق الشفاء ١: ١٥.

(٣٣) إلهيات الشفاء: ١٦٢.

(٣٤) المصدر نفسه.

(٣٥) القواعد الجلية: ٧٥.

(٣٦) كشف المراد: ٨٨.

(٣٧) المصدر نفسه: ٤٩.

(٣٨) المصدر نفسه: ٨٣.

(٣٩) إيضاح المقاصد:٩١.

(٤٠) الأسرار الخفية: ٤٩١.

(٤١) إيضاح المقاصد: ٩١.

(٤٢) إيضاح المقاصد: ٧٣.

(٤٣) كشف المراد: ٦٩.

(٤٤) كشف المراد: ٧٧.

(٤٥) المصدر نفسه: ٤٩١.

(٤٦) المصدر نفسه: ٢٥٩.

(٤٧) كشف المراد : ٥٢٤.

(٤٨) المصدر نفسه:٥٣١.

(٤٩) مناهج اليقين: ٢٦٨.

(٥٠) كشف المراد: ١١٤.

(٥١) الأسرار الخفية: ٥١٤.

(٥٢) معارج الفهم:٤٩٠.

(٥٣) المصدر نفسه:٤٩٠.

(٥٤) كشف المراد: ٦٦.

(٥٥) معارج الفهم: ٤٨٦.

(٥٦) المصدر نفسه: ٤٦٩ -٤٧٠.

(٥٧) لمزيد من الاطلاع على بعض البراهين التوحيديّة؛ يراجع (اللمعات العرشية) لمولى مهدي النراقي.

(٥٨) معارج الفهم: ٤٦٨.

(٥٩) يراجع بداية الحكمة: ١٩٥و١٩٦، تعليقة ٣.

(٦٠) معارج الفهم في شرح النظم: ٤٦٩.

(٦١) المصدر نفسه:٤٦٩.

(٦٢) المصدر نفسه: ٤٦٩.

(٦٣) يقول الخواجة في شرح مقام آخر: (والحق، أنّ الوجوب والإمكان والامتناع أوصاف اعتباريّة عقليّة حكمها في الثبوت والانتفاء واحد، والاشتغال بذلك هاهنا ليس بنافع ولا ضارّ؛ لأنّ الشيخ لم يتكلّم في وجوب الوجود، بل تكلّم في واجب الوجود الذي لا يمكن أن يقال: إنّه سلبي شرح) شرح الإشارات والتنبيهات ٢: ٥٨٤.

(٦٤) معارج الفهم: ٤٦٩-٤٧٠.

(٦٥) لمزيد من الاطلاع على مفاد قاعدة الواحد وتقريراتها كذلك يراجع؛ (أساس التوحيد).

(٦٦) أساس التوحيد: ١١٢.

(٦٧) جذوات ومواقيت: ٥٠.

(٦٨) شرح الإشارات والتنبيهات ٣: ٦٨٤.

(٦٩) أجوبة المسائل النصيرية: ٤٢.

(٧٠) إيضاح المقاصد: ١١٤.

(٧١) كشف المراد: ١١٥.

(٧٢) المصدر نفسه: ١١٦.

المصادرُ والمراجعُ

١. آموزش فلسفه (تعليم الفلسفة): محمد تقي مصباح يزدي، طبع ونشر بين الملل، ١٤٠٠ش/ ٢٠٢١م.

٢. أجوبة المسائل النصيرية: محمد بن محمد نصير الدين الطوسيّ، طهران، مركز أبحاث العلوم الإنسانيّة والدراسات الثقافيّة، ١٣٨٣ش/ ٢٠٠٣م.

٣. أساس التوحيد: مهدي آشتياني، طهران، أمير كبير ١٣٧٧ش/ ١٩٩٨م.

٤. الأسرار الخفية في العلوم العقلية، الحسن بن يوسف الحليّ، قم مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي لحوزة قم العلم، ١٣٩٨ش/ ٢٠٢٠م.

٥. أصول فلسفه و روش رئاليسم (أصول الفلسفة والمنهج الواقعي): محمد حسين طباطبائي، شركة افست.

٦. إلهيات الشفاء، حسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق حسن زاده آملي، قم، مركز نشر مكتب الإعلام الإسلامي لحوزة قم العلميّة، ١٣٧٦ش/ ١٩٩٧م.

٧. إيضاح المقاصد في شرح حكمة عين القواعد، الحسن بن يوسف الحلّيّ، ١٩٥٩م.

٨. بداية الحكمة، محمد حسين طباطبائي، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٨م.

٩. تجريد الاعتقاد، محمد بن محمد نصير الدين الطوسيّ، مركز الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٠. جذوات ومواقيت: محمد باقر بن محمد ميرداماد، طهران، ميراث مكتوب، ١٣٨٠ش/ ٢٠٠٠م.

١١. جزوه درس فلسفه اخلاق (محاضرات في فلسفة الأخلاق): صادق لاريجاني، مؤسسة تحقيقات وتعليمات الإمام الصادق عليه السلام.

١٢. حاشية الكفاية، محمد حسين طباطبائي، بنياد علمي وفكري علامة طباطبائي.

١٣. حكمة الإشراق (مجموعة مصنفات شيخ الإشراق): يحيي السهروردي، تحرير هنري كوربن، طهران، ١٣٧٢ش/ ١٩٩٣م.

١٤. دائرة المعارف الإسلاميّة الكبرى.

١٥. رسائل سبعه (الرسائل السبعة): محمد حسين طباطبائي، بنياد علمي وفكري علامة طباطبائي، ١٣٦٢ ش/ ١٩٨٣م.

١٦. شرح الإشارات والنبيهات، محمد بن محمد نصير الدين الطوسي، قم، بوستان كتاب، ١٣٨٦ش/ ٢٠٠٧م.

١٧. عين نضاخ، جوادي آملي، قم ، مؤسسة نشر إسراء، ١٣٨٧هـ/ ٢٠٠٧م.
١٨. القواعد الجلية في شرح رسالة الشمسية: الحسن بن يوسف الحلّيّ، تحقيق فارس حسون تبريزيان، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٩م.
١٩. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد الحسن بن يوسف الحلّيّ، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٥م.
٢٠. اللمعات العرشية، مهدي بن أبي ذر نراقي، كرج ، عهد ، ١٣٨١ش/ ٢٠٠١م.
٢١. المشارع والمطارحات (مجموعة مصنفات شيخ الإشراق)، يحيي السهروردي، تحرير هنري كوربن، طهران،١٣٧٢ش/ ١٩٩٣م.
٢٢. معارج الفهم في شرح النظم، الحسن بن يوسف الحلّيّ، (٧٢٦هـ) تحقيق: حميد أحمد الجلفائي، راجعه وضبطه ووضع فهارسه مركز العلّامة الحلّيّ لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية، ط١، ٢٠٢٢م.
٢٣. مناهج اليقين في أصول الدين، الحسن بن يوسف الحلّيّ، طهران، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٧م.
٢٤. منطق الشفاء، حسين بن عبد الله بن سينا، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
٢٥. نهاية الدراية في شرح الكفاية، محمد حسين الأصفهاني، قم، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
٢٦. يادنامه استاد شهيد مرتضى مطهري) في ذكرى الأستاذ الشهيد مرتضى مطهّريّ (جاودانگي واخلاق) الخلود والأخلاق، مرتضى مطهري، طهران، ١٣٦٣ش/ ١٩٨٤م.

الدوريات:

١. علامه حلّيّ متكلم يا فيلسوف (العلّامة الحلّيّ متكلّم أو فيلسوف) : مرتضي بويان، پژوهش هايى فلسفي (تحقيقات فلسفيّة)، ربيع وصيف، عدد ٣و٤، ١٣٨٩ش/ ٢٠٠٩م.

الأثر المحوري للمدرسة الحليَّة

في صياغة الفكر العرفاني الإمامي (ق هـ ٧-٩)

علي حسن أحمد القطان البستاني

النجف الأشرف

Aliqattan2025@gmail.com

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v11i29.422

الملخص

يستعرضُ البحثُ الأثرَ المحوريَّ الذي اضطلعتْ بهِ المدرسةُ الحليَّةُ في إعادةِ صياغةِ الفكرِ العرفانيِّ الإماميِّ خلالَ القرنينِ السَّابعِ والتَّاسعِ الهجريين، ويسلطُ الضوءَ على الدورِ الريادِيِّ لأقطابِها كالسيدِ حيدرِ الآمليِّ، وابنِ فهدٍ الحليِّ، وابنِ طاووسٍ، والشّيخ نصيرِ الدّين الكاشاني الحلّي في جسرِ الهوةِ بينَ الفقهِ والشهودِ الباطنيِّ، وتحويلِ العرفانِ من نزعاتٍ فرديةٍ إلى منهجٍ علميٍّ متكاملٍ ومنضبطٍ بالضوابطِ الشرعيَّةِ، ويحللُ البحثُ كيفَ إسهامِ هذهِ المدرسةُ في استيعابِ التراثِ الصوفيِّ (مدرسةِ ابنِ عربيٍّ) وإعادةِ صياغتهِ ضمنَ القالبِ العَقَديِّ الإماميِّ، ممَّا أدى إلى ولادةِ «عرفانٍ مُتَشَرعيٍّ» شكَّلَ الهويةَ المعرفيَّةَ والروحيَّةَ لعلماءِ الإماميَّةِ في القرونِ اللَّاحقةِ.

الكلماتُ المفتاحيَّة :

المدرسةُ الحليَّةُ، العرفانُ الشيعي، السير والسلوك، عرفاء الشيعة.

The Pivotal Role of the Hilla School in Shaping Imami Gnostic Thought (7th–9th Centuries AH)

Ali Hassan Ahmed al-Qattan al-Bustani
Najaf al-Ashraf
Aliqattan2025@gmail.com

Abstract

This study examines the pivotal role played by the Hilla School in reshaping and restructuring Imami gnostic thought during the seventh to ninth centuries AH. It highlights the pioneering role of its leading figures, including Sayyid Haydar al-Amuli, Ibn Fahd al-Hilli, Ibn Tawus, and Shaykh Nasir al-Din al-Kashani al-Hilli, in bridging the gap between Islamic jurisprudence and inner spiritual experience, and in transforming gnostic thought from individual spiritual inclinations into a comprehensive and systematic intellectual approach governed by the principles of Islamic law.

The study analyzes how this school contributed to assimilating the Sufi intellectual heritage, particularly the school of Ibn Arabi, and reformulating it within the doctrinal framework of Imami Shiʿism. This process ultimately gave rise to a form of Sharia-compliant Gnosticism, which came to shape the intellectual and spiritual identity of Imami scholars in subsequent centuries.

Keywords:

Hilla School, Shiʿi Gnosticism, Spiritual Wayfaring and Self-Discipline, Shiʿi Gnostics.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة

يُعَـدُّ العِرْفانُ الإِسْـلاميُّ ، بنَوْعَيْـهِ النَّظَريِّ والعَمَـلِيِّ، أَحَدَ أَبْـرَزِ رَوافِدِ الفِكْرِ الإِسْـلاميِّ وَأَعْمَقِها تَأْثيرًا في صياغَةِ الرُّؤْيَةِ الكَوْنيَّةِ الإِسْلاميَّةِ، وَفي سِياقِ التُّراثِ الشّـيعيِّ الإماميِّ شَكَّلَتْ القُرُونُ الوُسْطى (لَا سيَّمَا مَا بَيْنَ القَرْنَيْنِ السّابعِ والتّاسعِ الهِجْريَّيْنِ) مَرْحَلَةً مِفْصَليَّةً لَمْ تَقْتَصِرْ عَلَى ازْدِهارِ الفِقْهِ والأُصولِ، بَلْ شَهِدَتْ تَبَلْورًا وَتَأْصيلًا لِلْمَسائِلِ العِرْفانيَّةِ، والفَلْسَفيَّةِ عَلَى يَدِ فُحولٍ مِنَ العُلَماءِ، وَفي هَذَا الإِطارِ الزَّمَنيِّ وَالمَكانيِّ بَرَزَتِ المَدْرَسَـةُ الحِلّيَّةُ كَمَرْكَزِ إِشْـعاعٍ فِكْـريٍّ وَعَقْلِيٍّ ورحي تَمَكَّنَ مِنَ الجَمْعِ بَيْنَ النَّقْدِ لِلْعَقْلانيَّةِ الكَلاميَّةِ وَبَيْنَ الاسْتِقْبالِ لِلْحَقائِقِ العِرْفانيَّةِ.

تَكْمُنُ مُشْـكِلَةُ هَذَا البَحْثِ في أَنَّ الدَّوْرَ المِحْوَريَّ لِلْمَدْرَسَةِ الحِلّيَّةِ، الَّتي قادَهَا أَعْـلامٌ مِثْلُ الخَواجَـةِ الطّوسيِّ، والسَّـيِّدِ ابْنِ طَـاوُوس، والمُحَقِّقِ الحِلّـيِّ، والعَلَّامَةِ الحِلّـيِّ، وابْنِ فَهْـدٍ الحِلّيِّ، غالِبًا مَا يَخْتَـزِلُ في إِنْجازاتِها الفِقْهيَّـةِ وَالأُصُوليَّةِ، في حين يَظَـلُّ أَثَرُهـا المَنْهَجيُّ في تَطْويرِ عِلْمِ العِرْفانِ الشّـيعيِّ وَتَأْصيلِه، لَا سـيَّمَا في مَفاهيمِ «الولايَةِ» وَ«الإِنْسـانِ الكامِلِ» وَ «السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ»، بِحاجَةٍ إِلَى تَحْليلٍ مُعَمَّقٍ يُحَدِّدُ طَبيعَةَ مُساهَمَتِها قَبْلَ ظُهورِ مَدْرَسَةِ الحِكْمَةِ المُتَعاليَةِ في أَصْفَهان.

فَعِلْمُ العِرْفانِ مِنْ العُلُومِ الَّتي أَثارَتْ جَدَلًا وَاسِـعًا في الوَسَـطِ العِلْميِّ والعالَمِ الإِسْلاميِّ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَبِلَهُ، وَمَدَحَهُ، وَعَمِلَ بِه، وَمِنْهُمْ مَنْ رَفَضَهُ، وَانْتَقَدَهُ، وَكَفَّرَهُ، وَمِـن ضِمْنِ هَؤُلَاءِ العُلَماءِ، عُلَماءُ مَدينَةِ الحِلَّةِ الَّتي كَانَتْ في عَصْرِها الذَّهَبيِّ زاخِرَةً بِالعِلْمِ وَكِبارِ العُلَماءِ ، وَمَحَطَّ رِحالِ طَلَبَةِ العِلْمِ، لِهَذَا السَّبَبِ ارْتَأَيْنَا أَنْ نَخوضَ غِمارَ هَذَا البَحْثِ لِنَتَعَرَّفَ إِلى آرَاءِ عُلَماءِ الحِلَّةِ في هَذَا العِلْمِ، وَخَاصَّةً إِنَّ الحِلَّةَ كَانَتْ تُعَدُّ

إِحْـدَى المُدُنِ الَّتِي احْتَلَّتْ مَكانَةً محْوَرِيَّةً وَاسْـتِثْنائِيَّةً فِي تَارِيخِ التَّشَـيُّعِ، فِي (القَرْنَيْنِ السَّـابِعِ والثَّامِنِ الهِجْرِيَّـيْنِ)، إذ كَانَتْ المَرْكَزَ الأَبْـرَزَ لِلْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَمُنَافِسَـةً قَوِيَّةً لِلنَّجَفِ الأَشْرَفِ وَكَرْبَلاءَ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ.

وَاكْتَسَـبَ عُلَمَاءُ الحِلَّـةِ مَكَانَتَهُمُ البَارِزَةَ التـي جَعَلَتْهُمْ قَادَةَ الفِكْرِ الشِّـيعِيِّ لِقُـرُونٍ، فَقَـدْ كَانَـتِ المَرْجِعِيَّـةُ بِيَدِهِمْ، وَهُمُ المَسْـؤُولُونَ عَـنْ تَأْصِيـلِ وَتَنْظِيمِ المَذْهَبِ الشِّـيعِيِّ الإِمَامِيِّ بَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الفُتُورِ النِّسْـبِيِّ، وَالمُؤَسِّسُـونَ لِلْمَدْرَسَةِ الأُصُولِيَّةِ؛ فقد أَدْخَلُوا المَنْطِقَ، وَالفَلْسَـفَةَ، وَعِلْمَ الكَلَامِ كَأَدَوَاتٍ فِي اسْـتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ، وَجَمَعُوا بَيْنَ عُلُومِ الفِقْهِ، وَالأُصُولِ، وَالكَلَامِ، وَالفَلْسَـفَةِ، وَأَدْخَلُوا عِلْـمَ العِرْفَانِ لِمَدْرَسَـةِ الحِلَّةِ بَعْدَ تَأَثُّرِهِـمْ بِهِ مِمَّا أَثْرَى المُحْتَوَى العِلْمِيَّ الشِّـيعِيَّ وَجَعَلُـوهُ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَى المُنَاظَـرَةِ وَالمُحَاجَجَةِ، أَمَّا عَلَى صَعِيـدِ تَصْنِيفِ الكُتُبِ فَلَا تَزَالُ مُؤَلَّفَاتُهُمْ، مِثْلُ شَرَائِعِ الإِسْـلامِ لِلْمُحَقِّقِ، وَ تَذْكِرَةِ الفُقَهَاءِ، وَ قَوَاعِدِ الأَحْـكَامِ لِلْعَلَّامَـةِ، المَرَاجِعَ الأَسَاسِـيَّةَ فِي الحَوْزَاتِ العِلْمِيَّـةِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى اسْـتِمْرَارِ سُـلْطَتِهِمُ العِلْمِيَّةِ.

الأَهَمِّيَّةُ وَالأَهْدَافُ: يسـعى هذا البحثُ إِلَى تَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى الفَتْرَةِ الانْتِقَالِيَّةِ الَّتِي شَهِدَتْ دَمْجَ المَنْهَجِ البُرْهَانِيِّ (العَقْلِيِّ) بِالمَضَامِينِ الحَدسِيَّةِ (العِرْفَانِيَّةِ)، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَحْصِـينِ العِرْفَانِ الإِمَامِـيِّ مِنَ الانْزِلَاقِ إِلَى التَّطَرُّفِ الغُنُـوصِيِّ[1]، وَإِخْرَاجِهِ فِي قَالَبٍ روحيٍّ مُتَوَازِنٍ.

يَهْدُفُ البَحْثُ إِلَى تَحْقِيقِ مَا يَأتي:

١ - تَحْدِيـدُ الإِطَـارِ المَنْهَجِـيِّ الَّـذِي اسـتَعْمَلَهُ عُلَـمَاءُ الحِلَّـةِ فِي تَنَـاوُلِ القَضَايَا العِرْفَانِيَّةِ، وَالكَشْفُ عَنْ أَثَرِهِمْ فِي مَنْهَجِيَّةِ البَحْثِ العِرْفَانِيِّ.

٢- تِبْيَانُ كَيْفَ أَسْهَمَتِ المَدْرَسَةُ الحِلِّيَّةُ فِي تَأْصِيلِ مَفَاهِيمِ العِرْفَانِ الإِمَامِيِّ ضِمْنَ مَصَادِرِهَا الكَلَامِيَّةِ وَالفَلْسَفِيَّةِ.

٣- الكَشْفُ عَنِ العَلَاقَةِ الجَدَلِيَّةِ بَيْنَ العَقْلَانِيَّةِ الحِلِّيَّةِ وَالذَّوْقِ العِرْفَانِيِّ فِي هَذِهِ الحِقْبَةِ، وَتَأْثِيرِ ذَلِكَ عَلَى مَدَارِسِ الفِكْرِ الشِّيعِيِّ اللَّاحِقَةِ.

الخَصَائِصُ الفِكْرِيَّةُ وَالمَنْهَجِيَّةُ لِمَدْرَسَةِ الحِلَّة

تَمَيَّزَتْ مَدْرَسَةُ الحِلَّةِ بِخَصَائِصَ فَرِيدَةٍ أَحْدَثَتْ تَغْيِيرًا جَذْرِيًّا فِي المَنْهَجِ الشِّيعِيِّ، خَاصَّةً فِي الكَلَامِ وَالفِقْهِ وَالحَدِيثِ وَالعِرْفَانِ، وَمِنْ هَذِهِ الخَصَائِصِ مَا يَلِي:

١- التَّحَرُّرُ مِنَ التَّقْلِيدِ الفِقْهِيِّ: وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى يَدِ ابْنِ إِدْرِيسَ الحِلِّيِّ (ت ٥٩٨هـ)[٢]، حَيْثُ بَدَأَتْ مَدْرَسَةُ الحِلَّةِ بِالخُرُوجِ مِنْ هَيْمَنَةِ آرَاءِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ (ت ٤٦٠ هـ) فِي الفِقْهِ، مِمَّا أَطْلَقَ رُوحَ النَّقْدِ وَالاجْتِهَادِ.

٢- النَّزْعَةُ العَقْلِيَّةُ وَالفَلْسَفِيَّةُ: شَهِدَ عِلْمُ الكَلَامِ فِي الحِلَّةِ مَرْحَلَةً جَدِيدَةً بِالِاسْتِعَانَةِ بِالأَدَبِيَّاتِ وَالمَنْطِقِ الأَرِسْطِيِّ وَالفَلْسَفَةِ المَشَّائِيَّةِ.

وَكَانَ الخَوَاجَةُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ (ت ٦٧٢ هـ) وَالعَلَّامَةُ الحِلِّيُّ (ت ٧٢٦هـ) الأَبْرَزَ فِي دَمْجِ الفَلْسَفَةِ ضِمْنَ النِّظَامِ الكَلَامِيِّ الشِّيعِيِّ.

٣- ظُهُورُ تَيَّارِ العِرْفَانِ: ظَهَرَ تَيَّارٌ عِرْفَانِيٌّ مُؤَثِّرٌ (النَّظَرِيَّةُ وَالسُّلُوكُ)، فَتَأَثَّرَ بِهِ بَعْضُ الأَعْلَامِ الكِبَارِ، حَيْثُ آمَنُوا بِوُجُودِ «مَعْرِفَةٍ أَسْمَى»[٣] إِلَى جَانِبِ المَعْرِفَةِ العَقْلِيَّةِ وَالكَلَامِيَّةِ وَمِنْ أَبْرَزِ المُتَأَثِّرِينَ بِهِ: الخَوَاجَةُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ (فَكَتَبَ أَوْصَافَ الأَشْرَافِ) وَشَرَحَ الأَنْمَاطَ الأَخِيرَةَ مِنْ كِتَابِ الإِشَارَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ لِابْنِ سِينَا، وَهِيَ الأَنْمَاطُ المُخَصَّصَةُ لِصِفَاتِ العَارِفِينَ وَمَقَامَاتِهِمْ، وَكَتَبَ السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوسٍ (ت ٦٦٤ هـ)، (إِقْبَالَ الأَعْمَالِ، فَتْحَ الأَبْوَابِ) وَصَنَّفَ ابْنُ فَهْدٍ

الحِلِّيُّ كُتُبًا فِي العِرْفَانِ العَمَلِيِّ (أَسْرَار الصَّلَاة) وَ (عُدَّة الدَّاعِي وَنَجَاح السَّاعِي).

عِلْمُ العِرْفَانِ فِي مَدْرَسَةِ الحِلَّة، نَظْرَةٌ عَامَّةٌ: اهْتَمَّ عَدَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الحِلَّة بِعِلْمِ العِرْفَانِ، وَعدُّوهُ مَرْتَبَةً أَسْمَى مِنَ العُلُومِ العقليَّة كَالكَلَامِ وَالفَلْسَفَة، وَتُكْتَسَبُ عَنْ طَرِيقِ المُجَاهَدَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَلَيْسَ فَقَطْ بِالعَقْلِ وَالنَّظَرِ، فَمَا هُوَ عِلْمُ العِرْفَانِ؟

العرفان في اللغة مشتقّ من «عَرَفَ»، ويُعْنى به المعرفة، يقول ابن منظور: «عرف، العرفان: العلم... عَرَفَه، يَعْرِفُهُ، عِرْفَة وعِرْفاناً وعِرِفَّاناً وَمَعْرِفَةً واعترفه... ورجل عروفٌ: وعَروفة: عارف يعرف الأمور، ولا ينكر أحداً رآه مرة... والعريف والعارف بمعنى عليم وعالم... والجمع عرفاء»[٤].

وَ يُعَرَّفُ العِرْفَانُ (فِي الاصْطِلَاح) بِأَنَّهُ «العلمُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ، مِنْ حَيْثُ أَسْمَاؤُهُ وصِفَاتُهُ ومَظَاهِرُهُ وأَحْوَالُ المَبْدَأ والمَعَاد، والعِلْمُ بِحَقَائِقِ العَالَمِ وبِكَيْفِيَّةِ رُجُوعِهَا إِلَى حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ الذَّاتُ الأَحَدِيَّةُ، ومَعْرِفَةُ طَرِيقِ السُّلُوكِ والمُجَاهَدَة، لِتَخْلِيصِ النَّفْسِ عَنْ مَضَايِقِ القُيُودِ الجُزْئِيَّةِ واتِّصَالِهَا إِلَى مَبْدَئِهَا واتِّصَافِهَا بِنَعْتِ الإِطْلَاقِ والكُلِّيَّة»[٥].

وَيَظْهَرُ مِنَ التَّعْرِيفِ المُتَقَدِّمِ أَنَّ العِرْفَانَ يُقَسَّمُ على قِسْمَيْنِ: العِرْفَانَ النَّظَرِيَّ، والعِرْفَانَ العَمَلِيَّ.

أَمَّا العِرْفَانُ النَّظَرِيُّ، فَهُوَ العِلْمُ بِاللهِ تَعَالَى وأَسْمَائِهِ وصِفَاتِهِ وتَجَلِّيَاتِه. ويُرَادُ مِنْهُ إِعْطَاءُ رُؤْيَةٍ كَوْنِيَّةٍ عَنِ المَحَاوِرِ الأَسَاسِيَّةِ فِي عَالَمِ الوُجُود، وَهِيَ «الله» و«الإِنْسَانُ» و«العَالَم»..

وَالعِرْفَانُ العَمَلِيُّ عِبَارَةٌ عَنِ العِلْمِ بِطَرِيقِ السَّيرِ والسُّلُوك، فَمِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ، وَإِلَى

أَيـنَ يَنْتَهي، وَمَا هِيَ المَنَازِلُ والمَقَامَاتُ الَّتي يَجِبُ أَنْ يَسْـلُكَهَا العَارِفُ لِلْوُصُولِ إِلَى اللهِ تَعَـالَى، وكَيْفِيَّـةُ مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى مِيُولِهَـا وتَحْرِيرِهَا مِنْ عَلَائِقِهَا، حَتَّى تَسْتَطِيعَ طَيَّ المَرَاحِلِ والجَدَّ فِي سَيْرِهَا إِلَى اللهِ تَعَالى[٦].

أَمَّا القِسْمُ الأَوَّلُ مِنَ العِرْفَانِ: فَهُوَ يُشْبِهُ عِلْمَ الفَلْسَفَةِ لِجِهَةِ مُحَاوَلَتِهِ تَقْدِيمَ تَفْسِيرٍ لِلْوُجُودِ، يُرَادُ مِنْهُ تَقْدِيمُ رُؤْيَةٍ كَوْنِيَّةٍ عِرْفَانِيَّةٍ يَكُونُ للهِ فِيهَا الأَصَالَةُ الأَسَاسِيَّةُ، وكُلُّ مَا سِـوَى اللهِ مَا هُـوَ إِلَّا مَظْهَرٌ وتَجَلٍّ لِتِلْـكَ الحَقِيقَةِ الوَاحِدَةِ، وَإِذَا كَانَ الفَيْلَسُـوفُ يُحَاوِلُ تَقْدِيمَ رُؤْيَةٍ تَرْتَكِزُ عَلَى مِحْوَرِيَّةِ اللهِ كَوَاجِبٍ لِلْوُجُودِ، وتَكْوِينِ صُورَةٍ جَامِعَةٍ عَـنِ اللهِ وعَلَاقَتِـهِ بِالكَوْنِ، فَقَدِ اسْـتَعْمَلَ الفَيْلَسُـوفُ لِذَلِكَ الدَّلِيـلَ والبُرْهَانَ، أَمَّا العَـارِفُ فِي مُحَاوَلَتِهِ تَقْدِيمَ رُؤْيَتِـهِ الكَوْنِيَّةِ هَذِهِ، فَهُوَ غَيْرُ مُهْتَـمٍّ بِالعَقْلِ والفَهْمِ، بَلِ العَارِفُ يُقَدِّمُ رُؤْيَتَهُ لِيَصِلَ إِلَى كُنْهِ وحَقِيقَةِ الوُجُودِ[٧].

نَقْدُ العِرْفَانِ مِنْ قِبَلِ بَعْضِ عُلَمَاءِ المَذْهَبِ الإِمَامِيِّ: تُوجَدُ العَدِيدُ مِنَ الأَصْوَاتِ النَّقْدِيَّةِ دَاخِلَ المَذْهَبِ الشِّيعِيِّ الإِمَامِيِّ الَّتِي وَجَّهَتْ انْتِقَادَاتٍ حَادَّةً لِلرُّؤْيَةِ العِرْفَانِيَّةِ الَّتِـي تَتَبَنَّى إِهْمَالَ العَقْلِ وَالفَهْمِ وَالاعْتِمَادَ كُلِّيًّا عَلَى الكَشْـفِ وَالذَّوْقِ لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَـةِ الوُجُـودِ، هَذَا النَّقْدُ لَمْ يَنْبَعْ فَقَـطْ مِنَ الفُقَهَاءِ وَالأُصُولِيِّينَ، بَلْ شَـمِلَ فِئَاتٍ مِنَ المُحَدِّثِينَ وَالمُفَكِّرِينَ الَّذِينَ رَأَوْا فِي المَنْهَجِ العِرْفَانِيِّ المُتَطَرِّفِ خُرُوجًا عَلَى أُصُولِ المَذْهَبِ.

مَصَادِرُ النَّقْدِ الشِّـيعِيِّ الإِمَامِيِّ لِلْعِرْفَانِ: يَنْقَسِـمُ النَّقْدُ المُوَجَّهُ لِلْمَنْهَجِ العِرْفَانِيِّ إِلَى ثَلَاثِ مَدَارِسَ رَئِيسَةٍ:

١ - مَدْرَسَـةُ المُحَدِّثِينَ (الأَخْبَارِيَّةُ): تُعَدُّ هَذِهِ المَدْرَسَـةُ هِـيَ الأَكْثَرَ حِدَّةً فِي نَقْدِ المَنْهَجِ العِرْفَانِيِّ الَّذِي يعتَبِرِ العَقْلَ وَالظَّاهِرَ مقدِّمة لعلم العرفان، وَتَتَّسِمُ بِالآتِي:

أ- التَّرْكِيزُ عَلى النَّص: يَرَى المُحَدِّثُونَ أَنَّ سَبِيلَ المَعْرِفَةِ الوَحِيدَ هُوَ النَّصُّ القُرْآنِيُّ وَالرِّوَائِيُّ (أَخْبَارُ الأَئِمَّة).

ب- نَقْدُ الكَشْفِ وَالذَّوْق: يَرْفُضُونَ تَمَامًا الاعْتِمَادَ عَلَى الكَشْفِ البَاطِنِيِّ وَالذَّوْقِ الصُّوفِيِّ كَطَرِيقٍ لِلْمَعْرِفَة، وَيعدُّونَهُ مَدْخَلًا لِلشَّيْطَانِ أَوِ الأَوْهَامِ الفَرْدِيَّةِ غَيْرِ المَوْثُوقَة، مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى مُخَالَفَةِ صَرِيحِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّة.

أَبْرَزُ رُمُوزِ النَّقْد: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ أَمِين الأَسْتَرَابَادِيُّ (ت. ١٠٣٣ هـ): مُؤَسِّسُ الحَرَكَةِ الأَخْبَارِيَّة، انْتَقَدَ بِشِدَّةٍ المَنْهَجَ العَقْلِيَّ عُمُومًا، وَبِالأَخَصِّ المَنْهَجَ الذَّوْقِيَّ العِرْفَانِيَّ، وَدَعَا إِلَى التَّمَسُّكِ بِحَرْفِيَّةِ النَّصّ.

مَدْرَسَةُ الفُقَهَاءِ وَالأُصُولِيِّينَ: يَرَى فُقَهَاءُ وَأُصُولِيُّو الشِّيعَةِ أَنَّ إِهْمَالَ العَقْلِ يُخَالِفُ صَرِيحَ الأُصُولِ المُعْتَمَدَةِ فِي المَذْهَب، وَأَبْرَزُ نِقَاطِ نَقْدِهِمْ:

١- العَقْلَانِيَّةُ الإِمَامِيَّة: المَذْهَبُ الإِمَامِيُّ يُعْطِي لِلْعَقْلِ دَوْرًا رَئِيسًا كَـ «حُجَّةٍ بَاطِنِيَّة» (كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيث: «مَا عُبِدَ بِهِ الرَّحْمَنُ وَاكْتُسِبَ بِهِ الجِنَانُ»)، وَفِي اسْتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ (بِمَا يُعْرَفُ بِـ «المُلَازَمَةِ العَقْلِيَّة»).

٢- خَطَرُ فِكْرَةِ "الوُصُولِ إِلَى الكُنْه": يَنْتَقِدُونَ نَظَرِيَّةَ العَارِفِين حول وحدة الوجود، وأَنَّ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ تُخَالِفُ مَبْدَأَ العَقِيدَةِ الثَّابِتَةِ فِي عِلْمِ الكَلَامِ الإِمَامِيِّ.

أَبْرَزُ رُمُوزِ النَّقْد: الشَّيْخُ مُحَمَّدُ حَسَن النَّجَفِيُّ (صَاحِبُ الجَوَاهِر، ت. ١٢٦٦هـ): فِي مُؤَلَّفَاتِهِ الفِقْهِيَّة، يُرَكِّزُ عَلَى ضَرُورَةِ الاسْتِدْلَالِ العَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ المَنْطِقِيِّ، وَيَنْتَقِدُ بِشِدَّةٍ كُلَّ مَا يُخَالِفُ الظَّاهِرَ المَوْثُوقَ بِه.

اعتراضات المَدْرَسَةِ الكَلَامِيَّة: يعترضُ المُتَكَلِّمُونَ الشِّيعَةُ الفِكْرَةَ العِرْفَانِيَّةَ بِنَقْدٍ مَنْطِقِيٍّ وَعَقْلِيٍّ من خلال أمرين:

١ – نَقْدُ التَّنَاقُـض: يَنْتَقِدُونَ التَّنَاقُضَاتِ الظَّاهِرَةَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَقْوَالِ العِرْفَانِيَّةِ (مِثْلَ بَعْضِ تَفْسِيرَاتِ وَحْدَةِ الوُجُودِ) الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَبْرِيرُهَا بِالمَنْطِقِ العَقْلِيِّ السَّلِيمِ.

٢ – الحَاجَةُ إِلَى البُرْهَانِ: يُصِرُّونَ عَلَى أَنَّ مَسَائِلَ العَقِيدَةِ يَجِبُ أَنْ تُثْبَتَ بِالبُرْهَانِ وَالمَنْطِقِ (كَمَا فِي مَنْهَجِ الخواجة الطُّوسِيِّ وَالعَلَّامَةِ الحِلِّيِّ)، وَلَيْسَ بِالحَالَةِ النَّفْسِـيَّةِ أَوِ التَّجْرِبَةِ الشَّخْصِيَّةِ (الَّتِي هِيَ أَسَاسُ الكَشْفِ العِرْفَانِيِّ).

وعليـه الفِكْرَةُ الَّتِي تَقُولُ إِنَّ العَـارِفَ غَيْرُ مُهْتَمٍّ بِالعَقْلِ وَيُقَدِّمُ رُؤْيَتَهُ لِلْوُصُولِ إِلَى كُنْـهِ الوُجُودِ هِيَ فِكْـرَةٌ مَرْفُوضَةٌ مِـنَ الغَالِبِيَّةِ العُظْمَى مِـنَ المُتَكَلِّمِينَ وَالفُقَهَاءِ وَالمُحَدِّثِـينَ فِي المَذْهَبِ الشِّـيعِيِّ الإِمَامِيِّ، الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ الطَّرِيـقَ الوَحِيدَ لِلْمَعْرِفَةِ الصَّحِيحَةِ هُوَ عَبْرَ النَّصِّ (الوَحْيِ) وَالعَقْلِ (البُرْهَانِ)

أَمَّا القِسْـمُ الثَّانِي مِنَ العِرْفَانِ: أَيِ العِرْفَانِ العَمَلِيِّ، فَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ ذَاكَ الجَانِبِ الَّذِي يُبَيِّنُ العَلَاقَاتِ والوَاجِبَاتِ المَفْرُوضَةَ عَلَى الإِنْسَـانِ مَعَ نَفْسِـهِ ومَعَ العَالَمِ ومَعَ اللهِ، فَيُوَضِّـحُ فِيهِ لِلسَّـالِكِ، مِنْ أَيْنَ يَجِبُ أَنْ يَبْـدَأَ، وإِلَى أَيْنَ يَجِبُ أَنْ يَنْتَهِيَ، وكَيْفَ يَسْـلُكُ لِيَصِلَ إِلَى تِلْكَ الحَقِيقَةِ الوَاحِدَةِ، ويَتَطَلَّبُ الأَمْرُ تَوْضِيحَ المَقَامَاتِ والمَنَازِلِ الَّتِي يَجِبُ قَطْعُهَا لِلْوُصُولِ[٨].

عَلَاقَتُهُ بِالعُلُومِ الأُخْرَى: كَانَ عُلَمَاءُ الحِلَّةِ الأَوَائِلُ يَجْمَعُونَ بَيْنَ العُلُومِ المُخْتَلِفَةِ (فِقْـهٍ، وأُصُولٍ، وكَلَامٍ، وفَلْسَـفَةٍ)، وَبَعْضُهُمْ أَشَـارَ إِلَى العِرْفَانِ كَأَعْلَى مُسْـتَوَيَاتِ المَعْرِفَةِ الدِّينِيَّةِ، كَالخَوَاجَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ كَمَا أَسْلَفْنَا.

دَلَالَاتُ الاهْتِمَامِ بِالعِرْفَانِ فِي مَدْرَسَةِ الحِلّة

ظَهَرَ الاهْتِمَامُ بِعِلْمِ العِرْفَانِ عِنْدَ بَعْضِ عُلَمَاءِ الحِلَّةِ وَذَلِكَ لِعِدَّةِ دَلَالَاتٍ مِنْهَا:

١- شُمُولِيَّةُ الحَرَكَةِ العِلْمِيَّةِ: لَمْ تَقْتَصِرِ الحَوْزَةُ العِلْمِيَّةُ فِي الحِلَّةِ عَلَى الفِقْهِ وَالأُصُولِ وَالكَلَامِ، بَلْ شَمِلَتْ أَيْضًا الاهْتِمَامَ بِالجَوَانِبِ البَاطِنِيَّةِ وَالمَعْرِفِيَّةِ العُلْيَا مُتَمَثِّلَةً بِالعِرْفَانِ.

٢- التَّأَثُّرُ بِالمَدَارِسِ المَعْرِفِيَّةِ: يُشِيرُ تَدَاوُلُ مُصْطَلَحِ العِرْفَانِ وَمَفَاهِيمِهِ إِلَى وُجُودِ تَأَثُّرٍ بِالحَرَكَةِ المَعْرِفِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ الأَشْمَلِ الَّتِي كَانَتْ تَشْهَدُ ازْدِهَارًا فِي الفَلْسَفَةِ وَالكَلَامِ.

٣- العِرْفَانُ العَمَلِيُّ: يَتَجَلَّى الاهْتِمَامُ بِالعِرْفَانِ العَمَلِيِّ فِي تَأْلِيفِ كُتُبٍ حَوْلَ الأَدْعِيَةِ، وَالمُجَاهَدَةِ، وَالسُّلُوكِ، مِثْلِ كِتَابِ ابْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ (فِي أَسْرَارِ الصَّلَاةِ)، وَالَّذِي يَهْدُفُ إِلَى تَحْقِيقِ مَرْتَبَةٍ أَسْمَى مِنَ المَعْرِفَةِ.

المبحث الثّاني: العَلاقَةُ بَيْنَ عِلْمِ العِرْفانِ وَعِلْمِ الكَلامِ في مَدْرَسَةِ الحِلّة

تَمَيَّزَت العَلاقَةُ بَيْنَ عِلْمِ العِرْفانِ وَعِلْمِ الكَلامِ في مَدْرَسَةِ الحِلَّة (في القَرْنَيْنِ السَّابِعِ وَالثَّامِنِ الهِجْرِيَّيْنِ بِشَكْلٍ خاصٍّ) بِكَوْنِها عَلاقَةَ تَأَثُّرٍ وَتَداخُلٍ إِلَى حَدٍّ كَبيرٍ، وَخُصُوصًا بَعْدَ دُخُولِ الفَلْسَفَةِ المَشّائِيَّةِ (المَدْرَسِيَّةِ) بِقُوَّةٍ إِلَى الحَوْزَةِ الحِلِّيَّةِ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ تَيّارٍ كَلامِيٍّ تَقْلِيدِيٍّ كانَ يَنْتَقِدُ الأَفْكارَ العِرْفانِيَّةَ -سَوْفَ نَتَطَرَّقُ لَهُ لاحِقًا-، إِلّا أَنَّ تَيّارًا آخَرَ مِنْ كِبارِ عُلَماءِ المَدْرَسَةِ قَدْ تَأَثَّرَ بِالاتِّجاهاتِ العِرْفانِيَّةِ، مِمّا أَدّى إِلَى ظُهُورِ النَّظَرِيَّةِ العِرْفانِيَّةِ الكَلامِيَّةِ في مَدْرَسَةِ الحِلَّة.

جَوانِبُ التَّأَثُّرِ وَالتَّداخُلِ: يُمْكِنُ تَلْخِيصُ العَلاقَةِ بَيْنَ العِلْمَيْنِ في مَدْرَسَةِ الحِلَّةِ في النِّقاطِ الآتية:

أ- تَأَثُّرُ بَعْضِ الأَعْلامِ البارِزينَ: تَأَثَّرَ بَعْضُ أَهَمِّ شَخْصِيّاتِ أساتذة بعض علماء الحِلَّةِ بِالعُرْفانِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ أستاذ العلّامة الحلّي الخَواجَةُ نَصيرُ الدِّينِ الطُّوسيُّ (ت ٦٧٢ هـ): الَّذي يُعَدُّ رائِدَ إِدْخالِ المَنْهَجِ الفَلْسَفِيِّ إِلَى الكَلامِ الشِّيعِيِّ، رَغْمَ أَنَّ كُتُبَهُ الكَلامِيَّةَ كانَتْ عَقْلِيَّةً، إِلّا أَنَّهُ كانَ يَعْتَقِدُ بِوُجُودِ «نَوْعٍ أَسْمَى مِنَ المَعْرِفَةِ وَهِيَ المَعْرِفَةُ العِرْفانِيَّةُ» (٩).

وَأَيْضًا الشَّيْخُ مَيْثَمُ البَحْرانِيُّ (ت ٦٧٩ هـ) وهو أيضًا أستاذ العلّامة الحلّي: الَّذي تَأَثَّرَ بِالعِرْفانِ إِلَى جانِبِ تَأَثُّرِهِ بِالفَلْسَفَةِ المَشّائِيَّةِ.

أهميَّة التّلمذة: تُعد دراسة العلّامة الحلّي على يد ابن ميثم البحراني نقطة تحوّل مهمَّة في تاريخ الفكر الشّيعيّ، إذ أسهمت في نقل المنهج العقليّ (علم الكلام والفلسفة) الذي تميزت به مدرسة البحرين إلى المدرسة الحلّيَّة التي ركزت على الفقه والأصول.

ب- تأثّر علماء الحلّة بعلم العرفان: كالسَّيِّد ابْن طَاوُوس (ت ٦٦٤ هـ) الَّذي كَانَ مِنْ أَبْرَز مُمَثِّلِي التَّيَّار الكَلَامِيِّ الحَدِيثِيِّ، وَالَّذِي ظَهَرَتْ فِي آثَارِهِ بَعْضُ الأَفْكَارِ العِرْفَانِيَّة [١٠]، وكذلك العَلَّامَةُ ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ (ت ٨٤١ هـ) الفَقِيهُ العَارِفُ الزَّاهِد، حيثُ اشْتُهِرَ بِكَوْنِهِ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الفِقْهِ الاسْتِدْلَالِيِّ العَمِيقِ وَالزُّهْدِ وَالسُّلُوكِ العِرْفَانِيِّ، فَكَانَ قُطْبًا عِلْمِيًّا وَرُوحِيًّا فِي عَصرِه [١١]، وكذلك العلّامة الحلّي، إذْ كان مَوْقِفُهُ مِنْ «طَرِيقِ العِرْفَانِ وَمُرَاقَبَةِ النَّفْسِ» (الجَانِبِ العَمَلِيِّ أَوِ السُّلُوكِيِّ) مقبُولًا عنده، حَيْثُ لَمْ يُنْكِرِ المَنْهَجَ السُّلُوكِيَّ فِي أَصْلِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ يُشَدِّدُ عَلَى الانْضِبَاطِ بِالشَّرْعِ [١٢]، كما سوف نبيّنه لاحقًا، كذلك السَّيّد حيدر الآملي الحلّي (ت. بعد ٧٨٧ هـ) تأثر تأثرًا عميقًا بعلم العرفان، خصوصًا العرفان النظري لكن تأثيره لم يكن مجرد تبنٍّ، بل كان عملية دمج وتشييع لهذا الفكر ليصبح جزءًا أصيلًا من المنظومة العقائديَّة الشّيعيَّة [١٣]، وهذا ما سوف نبيّنه في البحث من خلال آرائهم التي طرحوها في مصنَّفاتهم.

خُلَاصَةُ العَلَاقَة: إِنَّ مَدْرَسَةَ الحِلَّةِ الكَلَامِيَّةَ، ولا سيَّما فِي المَرَاحِلِ المُتَأَخِّرَةِ، مَثَّلَت مِنْطَقَةَ عُبُورٍ فِكْرِيٍّ حَيْثُ تَزَاوَجَتْ فِيهَا مَنَاهِجُ مُخْتَلِفَةٌ، فَتَحَوَّلَ عِلْمُ الكَلَامِ فِيهَا إِلَى «كَلَامٍ فَلْسَفِيٍّ» مُتَأَثِّرًا بِالفَلْسَفَةِ المَشَّائِيَّةِ بَعْدَ الخَوَاجَةِ الطُّوسِيِّ، وَبِدَوْرِهَا سَمَحَتْ هَذِهِ النَّقْلَةُ بِدُخُولِ التَّأْثِيرَاتِ العِرْفَانِيَّةِ، التي اعْتَرَفَ كِبَارُ المُتَكَلِّمِينَ فِيهَا بِضَرُورَةِ وَأَهَمِّيَّةِ المَعْرِفَةِ العِرْفَانِيَّةِ (الشُّهُودِيَّةِ) بِجَانِبِ المَعْرِفَةِ العَقْلِيَّةِ (النَّظَرِيَّةِ).

تَدَاخُلُ مَنَاهِجِ المَعْرِفَةِ فِي مَدْرَسَةِ الحِلَّةِ وَمِنْ ضِمْنِهَا:

١- عِلْمُ الكَلَامِ (المَنْهَجُ العَقْلِيُّ): يَعْتَمِدُ عَلَى الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ وَالحِجَاجِ وَالجَدَلِ لِإِثْبَاتِ العَقَائِدِ، وَقَدْ تَدَاخَلَ فِي مَدْرَسَةِ الحِلَّةِ مَعَ المَبَانِي الفَلْسَفِيَّةِ.

٢- عِلْمُ العِرْفَانِ (المَنْهَجُ الشُّهُودِيُّ): يَعْتَمِدُ عَلَى الكَشْفِ وَالشُّهُودِ وَالسَّيْرِ

وَالسُّلُوكِ (تَزْكِيَةِ النَّفْسِ) كَوَسِيلَةٍ لِلْوُصُولِ إِلَى حَقَائِقِ الأَشْيَاءِ وَ«المَعْرِفَةِ الأَسْمَى» بِاللهِ[١٤].

٣- التَّوْفِيقُ الجُزْئِيُّ: بَعْضُ عُلَمَاءِ الكَلَامِ المُتَأَثِّرِينَ بِالعِرْفَانِ جَمَعُوا بَيْنَ المَنْهَجَيْنِ، حَيْثُ اسْتَمَرُّوا فِي اسْتِخْدَامِ الأَدِلَّةِ العَقْلِيَّةِ الكَلَامِيَّةِ فِي كُتُبِهِمْ، لَكِنَّهُمُ اعْتَرَفُوا بِأَفْضَلِيَّةِ الطَّرِيقِ العِرْفَانِيِّ كَأَعْلَى مَرَاتِبِ المَعْرِفَةِ[١٥].

عِلْمُ العِرْفَانِ بَيْنَ القَبُولِ وَالرَّفْضِ: كَانَتْ مَكَانَةُ العِرْفَانِ فِي مَدْرَسَةِ الحِلَّةِ مَحَلَّ نِقَاشٍ وَتَفَاوُتٍ فِي القَبُولِ فَوُجِدَ تَيَّارٌ نَاقِدٌ -مع وجود تأثُّر مِنْ كِبَارِ الأَعْلَامِ-، وَهُوَ التَّيَّارُ الكَلَامِيُّ الَّذِي كَانَ يُوَجِّهُ سِهَامَ النَّقْدِ إِلَى الأَفْكَارِ العِرْفَانِيَّةِ وَالصُّوفِيَّةِ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ العَلَاقَةَ كَانَتْ جَدَلِيَّةً وَلَمْ تَكُنْ إِجْمَاعًا كَامِلًا، وَمِنْ ضِمْنِ هَذِهِ الشَّخْصِيَّاتِ النَّاقِدَةِ العَلَّامَةُ الحَسَنُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ المُطَهَّرِ الحِلِّيُّ (ت ٧٢٦ هـ)، الذي اتَّسَمَ رأْيُهُ تُجَاهَ عِلْمِ العِرْفَانِ، وَخَاصَّةً الجَانِبَ النَّظَرِيَّ مِنْهُ المُتَعَلِّقَ بِعَقَائِدِ الحُلُولِ وَالاتِّحَادِ وَوَحْدَةِ الوُجُودِ، بِالرَّفْضِ الشَّدِيدِ وَالتَّحْذِيرِ القَاطِعِ، عَادًّا هَذِهِ الأَقْوَالَ كُفْرًا وَإِلْحَادًا يَتَعَارَضُ مَعَ الأُصُولِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ لِلْإِسْلَامِ.

مَوْقِفُ العَلَّامَةِ الحِلِّيِّ مِنْ عَقَائِدِ العِرْفَانِ النَّظَرِيِّ: كَانَ العَلَّامَةُ الحِلِّيُّ مِنْ أَبْرَزِ المُتَكَلِّمِينَ وَالفَلَاسِفَةِ الَّذِينَ تَبَنَّوْا مَنْهَجًا عَقْلِيًّا صَارِمًا، وَأَشَارَ فِي مُؤَلَّفَاتِهِ بِوُضُوحٍ إِلَى بُطْلَانِ عَقَائِدِ الصُّوفِيَّةِ الَّتِي تُخَالِفُ التَّوْحِيدَ الخَالِصَ، مِثْلَ:

١- وَحْدَةِ الوُجُودِ وَالحُلُولِ وَالاتِّحَادِ: صَرَّحَ العَلَّامَةُ الحِلِّيُّ بِأَنَّ القَوْلَ بِأَنَّ «اللهَ تَعَالَى يَتَّحِدُ مَعَ أَبْدَانِ العَارِفِينَ» أَوْ «أَنَّهُ تَعَالَى نَفْسُ الوُجُودِ وَكُلُّ مَوْجُودٍ هُوَ اللهُ تَعَالَى «هُوَ» عَيْنُ الكُفْرِ وَالإِلْحَادِ، وَدَلِيلُهُ العَقْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ هو أَنَّ الضَّرُورَةَ العَقْلِيَّةَ تَقْضِي بِبُطْلَانِ الاتِّحَادِ، إِذْ «لَا يُعْقَلُ صَيْرُورَةُ الشَّيْئَيْنِ شَيْئًا وَاحِدًا»[١٦].

٢- الزَّنْدَقَةُ وَالإِلْحَادُ: وَصَفَ العَلَّامَةُ الحِلِّيُّ فِي بَعْضِ كُتُبِهِ، مِثْلَ (نَهْجِ الحَقِّ

وَكَشْـفِ الصِّدْقِ)[١٧]، مَشَـايِخَ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي هَذِهِ الأَقْوَالِ بِأَنَّهُمْ يَكَادُونَ يُزَاحِمُونَ مَقَامَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَأَنَّ هَذِهِ المَقَالَاتِ تُسَبِّبُ «الزَّنْدَقَةَ وَالإِلحَادَ» وَظَاهِرَةَ الفَسَادِ.

رَأْيُهُ فِي التَّصَوُّفِ (العِرْفَانِ العَمَلِيِّ): عَلَى الرَّغْمِ مِنْ نَقْدِهِ القَاطِعِ لِعَقَائِدِ العِرْفَانِ النَّظَـرِيِّ، إِلَّا أَنَّ مَوْقِفَـهُ مِـنَ «طَرِيقِ العِرْفَـانِ وَمُرَاقَبَةِ النَّفْسِ» (الجَانِـبِ العَمَلِيِّ أَوِ السُّلُوكِيِّ) كَانَ أَكْثَرَ قَبُولًا، حَيْثُ لَمْ يُنْكِرِ المَنْهَجَ السُّلُوكِيَّ فِي أَصْلِهِ، لَكِنَّهُ كَانَ يُشَدِّدُ عَـلَى الانْضِبَاطِ بِالـشَّرْعِ، وَنَقْدِ الانْحِرَافَـاتِ، فقد كَانَ يُحَذِّرُ مِنْ مَشَـايِخِ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ يَقَعُونَ فِي الغُرُورِ، أَوْ يَسْـتَخْدِمُونَ العِرْفَانَ لِتَحْقِيقِ الذَّاتِ وَالشُّهْرَةِ وَكَسْبِ المَالِ، مُشِـيرًا إِلَى أَنَّ طَرِيقَ العِرْفَانِ «حَقٌّ» فِي أَصْلِهِ، لَكِنَّ التَّطْبِيقَ وَالتَّجَاوُزَاتِ مِنْ بَعْضِ المُدَّعِينَ هُوَ المُشْـكِلُ، وَنَقَلَ العَلَّامَةُ الحِلِّيُّ فِي كِتَابِهِ (مِنْهَاجِ الكَرَامَةِ)[١٨] قِصَّةً تَدُلُّ عَلَى تَوْبَةِ بِشْرٍ الحَافِي، وَرُجُوعِهِ إِلَى اللهِ عَلَى يَدِ الإِمَامِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام، مِمَّا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ العِبْرَةَ هِيَ بِتَصْحِيحِ المَسَارِ وَالالتِزَامِ بِالشَّرْعِ، وَهَذَا هُوَ العِرْفَانُ العَمَلِيُّ الصَّحِيحُ عِنْدَهُ.

بِاخْتِصَـارٍ، يُمْكِنُ تَلْخِيـصُ مَوْقِفِهِ بِأَنَّهُ يَرْفُضُ بِشِـدَّةٍ أَيَّ عَقَائِدَ عِرْفَانِيَّةٍ تُؤَدِّي إِلَى الحُلُـولِ وَالاتِّحَادِ وَوَحْـدَةِ الوُجُودِ، وَيعدُّها خُرُوجًا عَنْ أَسَـاسِ التَّوْحِيدِ، بَيْنَمَا يَرَى أَنَّ المَنْهَجَ الرُّوحِيَّ وَالسُّلُوكِيَّ (مُرَاقَبَةَ النَّفْسِ وَالزُّهْدَ) هُوَ أَسَاسٌ إِسْلَامِيٌّ إِذَا انْضَبَطَ بِضَوَابِطِ الشَّرِيعَةِ وَالعَقْلِ.

آرَاءُ أساتذة العلَّامة الحلّي في عِلْمِ العِرْفَانِ:

١ - الخَوَاجَةُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسيُّ:

العَـالِمُ الفَلَكِيُّ وَالرِّيَاضِيُّ وَالفَيْلَسُـوفُ وَالمُتَكَلِّمُ الشَّـهِيرُ، أَبُو جَعْفَـرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَسَنِ الطُّوسيُّ، المَعْرُوفُ بِـ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسيِّ (ت ٦٧٢ هـ) وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِالخَوَاجَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسيِّ، أَوِ المُحَقِّقِ الطُّوسيِّ.

كَانَ الطُّوسيُّ مَوْسُـوعَةً عِلْمِيَّةً شَمِلَتْ عُلُومَ عَصْرِهِ، وَلَهُ دَوْرٌ مِحْوَرِيٌّ فِي حِفْظِ وَنَشْرِ العُلُومِ خِلَالَ فَتْرَةِ الغَزْوِ المَغُولِيِّ[١٩].

أثـره على مَدْرَسَـةِ الحِلَّة: فِي سِـيَاقِ مَدْرَسَـةِ الحِلَّةِ، يُمَثِّلُ الخَوَاجَـةُ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّـوسيُّ الرَّائِـدَ الأَوَّلَ الَّذِي عَزَّزَ مَكَانَةَ الفَلْسَـفَةِ وَالمَنْهَجِ العَقْـلِيِّ فِي عِلْمِ الكَلَامِ، وَلَكِنَّـهُ فِي الوَقْـتِ نَفْسِـهِ، تَرَكَ البَـابَ مَفْتُوحًا بَلْ وَأَشَـادَ بِالمَنْهَجِ العِرْفَـانِيِّ كَـأَعْلَى مَرَاتِـبِ التَّحْقِيقِ، مِمَّا مَهَّدَ الطَّرِيقَ لِعُلَمَاءَ لَاحِقِينَ فِي الحِلَّةِ لِدَمْجِ هَذِهِ العُلُومِ، حَيْثُ كَانَ دَوْرُهُ الرَّئِيسِ هُوَ الجَمْعَ بَيْنَ الحِكْمَةِ (الفَلْسَـفَةِ) وَعِلْمِ الكَلَامِ وَالعِرْفَانِ، وَهِيَ رُؤْيَـةٌ اتَّضَحَتْ أَكْثَرَ لَاحِقًا فِي فِكْرِ عُلَمَاءَ كِبَارٍ مِثْلِ صَدْرِ المُتَأَلِّهِينَ الشِّـيرَازِيِّ، الَّذِي بَنَى مَدْرَسَتَهُ عَلَى هَذَا الأَسَاسِ المُتَكَامِلِ.

كَـمَا يُشِـيرُ الفِكْـرُ الفَلْسَـفِيُّ وَالكَلَامِـيُّ لِـلْخَوَاجَةِ نَصِـيرِ الدِّينِ الطُّـوسيِّ إِلَى اعْتِرَافٍ وَاضِحٍ بِقِيمَةِ عِلْمِ العِرْفَانِ (التَّصَوُّفِ) وَدَوْرِهِ فِي تَحْقِيقِ المَعْرِفَةِ التَّامَّةِ، عادًّا إِيَّاهُ مَرْتَبَةً عُلْيَا تُكَمِّلُ مَا لَا يَسْتَطِيعُ العَقْلُ إِدْرَاكَهُ بِمُفْرَدِهِ.

وَيُعَدُّ الخَوَاجَةُ الطُّوسيُّ أَحَدَ الأَعْلَامِ الَّذِينَ قَامُوا بِـالمَزْجِ بَيْنَ الفَلْسَفَةِ وَالكَلَامِ فِي المَدْرَسَـةِ الشِّـيعِيَّةِ، وَتَجَسَّـدَ رَأْيُـهُ فِي العِرْفَانِ بِشَـكْلٍ أَسَـاسِيٍّ مِنْ خِـلَالِ شَرْحِهِ

لِكتَابِ ابْنِ سِينَا «الإِشَارَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ»، وَتَحْدِيدًا فِي فُصُولِهِ الأَخِيرَةِ المُخَصَّصَةِ لِلْعَارِفِينَ.

مَنْهَجُ الخَوَاجَةِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ فِي العِرْفَانِ: يُمْكِنُ تَلْخِيصُ آرَاءِ الخَوَاجَةِ الطُّوسِيِّ حَوْلَ العِرْفَانِ فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

١- العِرْفَانُ هُوَ كَمَالُ المَعْرِفَةِ: يَنْظُرُ الخَوَاجَةُ نصير الدين الطُّوسِيُّ إِلَى العِرْفَانِ لَيْسَ بوَصْفِهِ بَدِيلًا عَنِ الفَلْسَفَةِ أَوِ الكَلَامِ، بَلْ كَطَوْرٍ وَرَاءَ طَوْرِ العَقْلِ، وَهُوَ المَسَارُ الَّذِي لَا يَكْمُلُ بِهِ الإِنْسَانُ إِلَّا بِالِانْتِقَالِ مِنْ مُجَرَّدِ التَّفْكِيرِ إِلَى الذَّوْقِ وَالشُّهُودِ البَاطِنِيِّ، فَعِلْمُ الكَلَامِ يُثْبِتُ العَقَائِدَ بِالدَّلِيلِ العَقْلِيِّ (البُرْهَانِ)، أَمَّا عِلْمُ العِرْفَانِ يُحَقِّقُ الإِدْرَاكَ الكَامِلَ وَاليَقِينَ التَّامَّ بِهَذِهِ العَقَائِدِ مِنْ خِلَالِ الِاتِّصَالِ الرُّوحِيِّ بِاللهِ، وَالِانْقِطَاعِ عَنِ نزعات النَّفْسِ.

٢- شَرْحُ «الأَنْمَاطِ التِّسْعَةِ» لِابْنِ سِينَا: أَبْرَزُ مَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيرِ الخواجة نصير الدين الطُّوسِيِّ لِلعِرْفَانِ هُوَ شَرْحُهُ المُسْتَفِيضُ لِلْأَنْمَاطِ الأَخِيرَةِ مِنْ كِتَابِ «الإِشَارَاتِ وَالتَّنْبِيهَاتِ» لِابْنِ سِينَا، وَهِيَ الأَنْمَاطُ المُخَصَّصَةُ لِصِفَاتِ العَارِفِينَ وَمَقَامَاتِهِمْ، وَفِي هَذِهِ الشُّرُوحِ يُقَدِّمُ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ وَصْفًا دَقِيقًا لِحَالَةِ العَارِفِ وَسَيْرِهِ الرُّوحِيِّ (السُّلُوكِ)، مُؤَكِّدًا أَنَّ بُلُوغَ هَذِهِ المَقَامَاتِ يَتَطَلَّبُ مُجَاهَدَةً وَرِزْقًا إِلَهِيًّا، وَلَا يَتِمُّ بِالتَّحْصِيلِ العَقْلِيِّ وَحْدَهُ[٢٠].

٣- وَصْفُ حَالِ العَارِفِ: نَقَلَ الشَّيْخُ الطُّوسِيُّ فِي شَرْحِ الإِشَارَاتِ كَلَامًا عَمِيقًا فِي وَصْفِ العَارِفِ وَمَا يَبْلُغُهُ مِنْ وَحْدَةٍ مَعْرِفِيَّةٍ، حَيْثُ يَقُولُ: (إِنَّ العَارِفَ إِذَا انْقَطَعَ عَنْ نَفْسِهِ وَاتَّصَلَ بِالحَقِّ، رَأَى كُلَّ قُدْرَةٍ مُسْتَغْرِقَةً فِي قُدْرَتِهِ المُتَعَلِّقَةِ بِجَمِيعِ المَقْدُورَاتِ، وَكُلَّ عِلْمٍ مُسْتَغْرِقًا فِي عِلْمِهِ الَّذِي لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ المَوْجُودَاتِ وَكُلَّ إِرَادَةٍ مُسْتَغْرِقَةً فِي إِرَادَتِهِ الَّتِي يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْبَى عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنَ المُمْكِنَاتِ، بَلْ

كُلُّ وُجُودٍ وَ كُلُّ كَمَالٍ وجودٍ فَهُوَ صَادِرٌ عَنْهُ فَائِضٌ مِنْ لَدُنْهُ صَارَ الحَقُّ حِينَئِذٍ بَصَرَهُ الَّـذي بِهِ يُبْصِرُ، وَسَـمْعَهُ الَّذي بِهِ يَسْـمَعُ، وَقُدْرَتَهُ الَّتي بِهَا يَفْعَـلُ، وَ عِلْمَهُ الَّذي بِهِ يَعْلَـمُ، وَ وُجُودَهُ الَّـذي بِهِ يُوجَدُ، فَصَارَ العَارِفُ حِينَئِـذٍ مُتَخَلِّقاً بِأَخْلاَقِ اللهِ تَعالى بِالحَقِيقَةِ)[٢١].

هَـذَا المَقْطَعُ يُظْهِرُ قَبُـولَ الخَوَاجَةِ الطُّوسيِّ لِلنَّظْرَةِ العِرْفَانِيَّـةِ الَّتِي تَرَى العَلاَقَةَ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ عَلاَقَةَ اتِّصَالٍ وَشُهُودٍ بَعْدَ تَرْوِيضِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَتِهَا.

٤- كِتَابُهُ فِي الأَخْلاَقِ العِرْفَانِيَّةِ: (أَوْصَافُ الأَشْرَافِ): هَذَا الكِتَابُ مِنْ حَيْثُ الحَجْمُ صَغِيرٌ جِدًّا، إِلَّا أَنَّ مُحْتَوَاهُ رَاقٍ وَمَمْلُوءٌ بِالمَعَارِفِ، دَوَّنَ المُحَقِّقُ الطُّوسيُّ كِتَابَ «أَوْصَـافِ الأَشْرَافِ» فِي سِـتَّةِ أَبْـوَابٍ، كُلُّ بَابٍ مِنْهَا يَحْتَوِي عَلَى سِـتَّةِ فُصُولٍ، عَدَا البَـابَ السَّـادِسَ مِنْهَا، الَّذِي هُـوَ فِي بَيَانِ نِهَايَةِ حَرَكَـةِ الإِنْسَـانِ، وَمَوْضُوعُهُ الفَنَاءُ فِي التَّوْحِيـدِ، لِـذَا لَمْ يُذْكَرْ فِيهِ فُصُولٌ أُخَرُ، يَخْتَصُّ كُلُّ بَابٍ مِنْ هَذِهِ الأَبْوَابِ السِّـتَّةِ وَالفُصُـولِ المُخْتَلِفَـةِ الَّتِي فِيهَـا، بِمَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ السُّـلُوكِ، وَمَرْتَبَـةٍ مِنْ مَرَاتِبِ سَـيْرِ السَّـالِكِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ، وَلَا شَـكَّ فِي أَنَّ السُّـلُوكَ نَوْعُ حَرَكَةٍ، وَهَذِهِ الحَرَكَةُ نَاشِـئَةٌ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِي يُلْهِبُ بَاطِنَ الإِنْسَانِ، وَبِدَايَةُ ظُهُورِ هَذَا الشَّوْقِ هُوَ اطِّلاَعُ الإِنْسَانِ عَلَى نَقْصِهِ وَفَقْرِهِ، فَعِنْدَمَا يَقِفُ الإِنْسَانُ عَلَى نَقْصِهِ يَشْرَعُ بِالسَّيْرِ لِلْوُصُولِ إِلَى الكَـمَالِ، حَيْثُ يَـرَى المُحَقِّقُ الطُّوسيُّ أَنَّ السُّـلُوكَ هُوَ نَوْعُ حَرَكَـةٍ، وَيُبَيِّنُ مَعْنَى هَـذِهِ الحَرَكَـةِ بِالقَوْلِ بِـأَنَّ كُلَّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِـلِ الحَرَكَةِ تَقَعُ بَيْنَ الفِقْدَانِ السَّـابِقِ وَالوُجْدَانِ اللَّاحِقِ؛ حَيْثُ يَتَحَقَّقُ الوُجْدَانُ اللَّاحِقُ بِمُجَرَّدِ الفِقْدَانِ السَّابِقِ، وَبَعْدَ الوُجْـدَانِ اللَّاحِـقِ تَنْتَهِي الحَرَكَةُ، وَعَلَى هَذَا الأَسَـاسِ، فِي كُلِّ مَرْحَلَـةٍ مِنْ مَرَاحِلِ الحَرَكَةِ، أَوْ حَالَةٍ مِنْ حَالَاتِ السَّـالِكِ، إِذَا قِيسَـتْ إِلَى المَرْحَلَةِ السَّـابِقَةِ فَهِيَ كَمَالٌ،

وَأَمَّا إِذَا أُخِذَتْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى المَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ فَتُعَدُّ نَقْصًا، وهُنَا يُشِيرُ المُحَقِّقُ الطُّوسيُّ إِلَى الحَدِيثِ المَأْثُورِ عَنِ النَّبِيِّ الأَكْرَمِ صلى الله عليه وآله الَّذِي يَقُولُ فِيهِ: «مَنِ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ»(٢٢)، وكَذَا إِلَى الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: «حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ المُقَرَّبِينَ»(٢٣)، ويَعْتَقِدُ المُحَقِّقُ الطُّوسيُّ بِأَنَّ الحَرَكَةَ فِي حَالَةِ اشْتِدَادٍ دَائِمٍ، كَمَا يَرَى أَنَّ السُّلُوكَ مُرْتَبِطٌ بِعَمَلِيَّةِ اسْتِكْمَالٍ، ويَتِمُّ فِي هَذَا الاشْتِدَادِ والاسْتِكْمَالِ عَمَلِيَّةُ الانْتِقَالِ مِنَ النَّقْصِ إِلَى الكَمَالِ، ونُلَاحِظُ أَنَّهُ بَعْدَ عِدَّةِ قُرُونٍ مِنْ عَصْرِ المُحَقِّقِ الطُّوسيِّ، أَتَى صَدْرُ المُتَأَلِّهِينَ الشِّيرَازِيُّ لِيُؤَكِّدَ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ، ويرى أَنَّ الحَرَكَةَ الجَوْهَرِيَّةَ تَبْتَنِي عَلَى هَذَا الأَسَاسِ، لَقَدِ اسْتَنَدَ المُحَقِّقُ الطُّوسيُّ فِي تَأْلِيفِهِ كِتَابَ (أَوْصَافِ الأَشْرَافِ) إِلَى الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ والرِّوَايَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَسْعَى دَائِمًا أَنْ لَا يَحْصُرَ نَفْسَهُ فِي دَائِرَةٍ كَلَامِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ يُحْسَبَ عَلَى طَرَفٍ مُحَدَّدٍ، وبِمِقْدَارِ مَا كَانَ عَقْلُهُ النَّظَرِيُّ وَفِيًّا لِلْمَوَازِينِ العَقْلِيَّةِ المُحْكَمَةِ والمُعْتَبَرَةِ، ومُعْتَمِدًا عَلَيْهَا، كَانَ يَرْتَكِزُ عَلَى المُسَلَّمَاتِ العَقْلِيَّةِ فِي مَجَالِ العَقْلِ العَمَلِيِّ أَيْضًا، ولَمْ يَكُنْ يَحِيدُ أَبَدًا عَنِ المُعْطَيَاتِ العَقْلِيَّةِ فِي عَمَلِهِ، اسْتَشْهَدَ المُحَقِّقُ الطُّوسيُّ فِي جَمِيعِ فُصُولِ كِتَابِهِ، وفِي بِدَايَةِ كُلِّ فَصْلٍ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وكَانَ يَسْعَى مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ إِلَى بِنَاءِ مَنْظُومَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ مُسْتَفَادَةٍ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ، وهذا دَلِيلٌ عَمَلِيٌّ عَلَى اهْتِمَامِ نَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسيِّ بِالجَوَانِبِ التَّطْبِيقِيَّةِ لِلْعِرْفَانِ من خلال القرآن الكريم.

٢- الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ مَيْثَمُ البَحْرَانِيُّ أستاذ العلَّامة الحلّي:

يُعْتَبَرُ الشَّيْخُ كَمَالُ الدِّينِ مَيْثَمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ مَيْثَمَ البَحْرَانِيُّ (ت ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م(٢٤) مِنْ أَبْرَزِ الفَلَاسِفَةِ وَالمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ زَاوَجُوا بِبَرَاعَةٍ بَيْنَ العَقْلَانِيَّةِ الفَلْسَفِيَّةِ، وَالمَنْهَجِ الكَلَامِيِّ وَبَيْنَ البُعْدِ العِرْفَانِيِّ الصُّوفِيِّ، وَتَظْهَرُ آرَاؤُهُ فِي النَّفْسِ وَعَلَاقَةِ

العِرْفَانِ بِنَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ بِوُضُوحٍ فِي شُرُوحِهِ، خَاصَّةً فِي «مِصْبَاحِ السَّالِكِينَ» عَلَى نَهْجِ البَلَاغَةِ، وَشَرْحِهِ «مِنْهَاجِ العَارِفِينَ» عَلَى المِائَةِ كَلِمَةٍ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام.

آرَاؤُهُ فِي النَّفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ: يَرَى الشَّيْخُ ابْنُ مَيْثَمٍ البَحْرَانِيُّ النَّفْسَ الإِنْسَانِيَّةَ كِيَانًا مُعَقَّدًا يَمْتَلِكُ قُوَّتَيْنِ أَسَاسِيَّتَيْنِ، وَهُوَ يَتَنَاوَلُهَا مِنْ مَنْظُورٍ فَلْسَفِيٍّ كَلَامِيٍّ يَمِيلُ إِلَى نَهْجِ الفَلَاسِفَةِ الإِسْلَامِيِّينَ (كَابْنِ سِينَا).

قُوَّتَا النَّفْسِ (القُوَّةُ العَامِلَةُ، وَالقُوَّةُ العَالِمَةُ):

القُوَّةُ العَامِلَةُ (العَمَلِيَّةُ): هِيَ القُوَّةُ الَّتِي تُعْنَى بِتَدْبِيرِ البَدَنِ وَتَكْمِيلِهِ، وَهِيَ الأَسَاسُ فِي تَكْوِينِ الأَخْلَاقِ وَالرِّيَاضَةِ الرُّوحِيَّةِ (السُّلُوكِ).

القُوَّةُ العَالِمَةُ (النَّظَرِيَّةُ): هِيَ القُوَّةُ المُتَعَلِّقَةُ بِالإِدْرَاكِ وَالمَعْرِفَةِ، وَهَدَفُهَا تَكْمِيلُ جَوْهَرِ النَّفْسِ لِتُصْبِحَ عَقْلًا بِالفِعْلِ، وَهِيَ الَّتِي تَتَأَثَّرُ عَنِ المَبَادِئِ العُلْوِيَّةِ وَتَتَلَقَّى الكَمَالَاتِ[٢٥].

كَمَالُ النَّفْسِ وَمَعْرِفَةُ اللهِ: يَرْبِطُ ابْنُ مَيْثَمٍ صَرَاحَةً بَيْنَ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَمَعْرِفَةِ الرَّبِّ، مُسْتَنِدًا إِلَى القَوْلِ المَأْثُورِ: (مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ)[٢٦].

وَيَرَى أَنَّ مَعْرِفَةَ النَّفْسِ تَقْتَضِي الاِطِّلَاعَ عَلَى عُيُوبِهَا وَنَقَائِصِهَا وَفَقْرِهَا الذَّاتِيِّ إِلَى الكَمَالَاتِ الخَارِجِيَّةِ الَّتِي تُفَاضُ عَلَيْهَا، هَذَا الاِطِّلَاعُ عَلَى فَقْرِ النَّفْسِ وَنَقْصِهَا يَسْتَلْزِمُ بِالضَّرُورَةِ مَعْرِفَةَ عِلَّتِهَا وَكَمَالِهَا، وَهُوَ اللهُ تَعَالَى.[٢٧]

تَزْكِيَةُ النَّفْسِ (العِرْفَانُ العَمَلِيُّ): شَرْحُهُ لِنَهْجِ البَلَاغَةِ مَمْلُوءٌ بِالمَبَاحِثِ الرُّوحِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي تَهْيِمُنُ عَلَيْهَا فِكْرَةُ العِرْفَانِ العَمَلِيِّ (الرِّيَاضَةِ الرُّوحِيَّةِ)، حَيْثُ يَدْعُو إِلَى تَزْكِيَةِ النَّفْسِ وَتَطْهِيرِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ كَحُبِّ المَالِ المَذْمُومِ، وَالشَّهَوَاتِ؛ لِتَهْيِئَتِهَا لِاسْتِقْبَالِ المَعَارِفِ العُلْيَا[٢٨].

عَلَاقَةُ العِرْفَانِ بِنَظَرِيَّةِ المَعْرِفَةِ: يَتَمَيَّزُ ابْنُ مَيْثَم البَحْرَانِيُّ بِالْمُزَاوَجَةِ بَيْنَ البُرْهَانِ العَقْلِيِّ وَالعِرْفَانِ الذَّوْقِيِّ فِي مَصَادِرِ المَعْرِفَةِ، وَلَا يَرَى تَنَاقُضًا بَيْنَهُمَا، بَلْ يَجْعَلُهُمَا طَرِيقَيْنِ مُتَكَامِلَيْنِ لِلْوُصُولِ إِلَى الحَقِيقَةِ الإِلَهِيَّةِ.

تَكَامُلُ المَعْرِفَةِ: مَعْرِفَةُ النَّفْسِ سَبِيلٌ لِمَعْرِفَةِ الرَّبِّ (ذَوْقًا وَبُرْهَانًا) حيث يُوَضِّحُ ابْنُ مَيْثَم أَنَّ الإِنْسَانَ بَعْدَ أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَلْزِمَ مَعْرِفَةَ رَبِّهِ "إِمَّا بِحَسَبِ ذَوْقِ العِرْفَانِ أَوْ بِحَسَبِ سَوْقِ البُرْهَانِ، وَيُؤَكِّدُ أَنَّ الحَقِيقَةَ وَاحِدَةٌ، وَالوُصُولَ إِلَيْهَا مُمْكِنٌ عَبْرَ طَرِيقَيْنِ، التَّأَمُّلِ العَقْلِيِّ (البُرْهَانِ)، وَالتَّجْرِبَةِ الرُّوحِيَّةِ (العِرْفَانِ)[٢٩].

الجَامِعِيَّةُ المَعْرِفِيَّةُ: يُطْلَقُ عَلَى ابْنِ مَيْثَم لَقَبُ جَامِعِ المَعْقُولِ وَالمَنْقُولِ، وَالحَكِيمِ المُتَأَلِّهِ، وَالعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ[٣٠]، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى تَحْقِيقِ الوَحْدَةِ بَيْنَ هَذِهِ المَنَاهِجِ المُتَنَوِّعَةِ لِخِدْمَةِ هَدَفٍ وَاحِدٍ هُوَ الوُصُولُ إِلَى المَعْرِفَةِ الإِلَهِيَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالكَامِلَةِ.

أثر علماء الحلَّة في تطوّر علم العرفان: كان لبعض علماء الحلَّة تأثير طرح وتطوير التَّيار العرفانيّ في مدرسة الحلَّة، على الرّغم من أنَّ السَّاحة العلميَّة في الحلَّة كانت تتسمُ بوجود تياراتٍ فكريةٍ متعددةٍ منها الكلام والفقه والحديث، وعلى الرّغم من أنَّ بحوثهم في كتبهم العقليَّة على أساس المباني الكلاميَّة والفلسفيَّة، إلَّا أنَّهم كانوا يعتقدون بوجود نوع أسمى من المعرفة وهي المعرفة العرفانيَّة ومن ضمن هؤلاء العلماء:

١ - السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوس (ت ٦٦٤ هـ):

يُعَدُّ السَّيِّدُ رَضِيُّ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ بْنِ طَاوُوس (ت ٦٦٤هـ)[٣١] مِنْ أَبْرَزِ عُلَمَاءِ الشِّيعَةِ فِي القَرْنِ السَّابِعِ الهِجْرِيِّ، وَيُعْرَفُ بِـ «إِمَامِ العَارِفِينَ»[٣٢] وَ«جَمَالِ العَارِفِينَ»[٣٣]، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى المَكَانَةِ الرَّفِيعَةِ لِآرَائِهِ وَسُلُوكِهِ العِرْفَانِيِّ.

تَتَجَلَّى آرَاءُ السَّيِّدِ ابْنِ طَاوُوسٍ العِرْفَانِيَّةُ فِي عِدَّةِ مَحَاوِرَ، أَهَمُّهَا:

١- المَنْهَجُ العِرْفَانِيُّ القَائِمُ عَلَى العِبَادَةِ وَالدُّعَاءِ: يُعَدُّ السَّيِّدُ ابْنُ طَاوُوسٍ أُنْمُوذَجًا لِلْعِرْفَانِ العَمَلِيِّ (السَّيرِ وَالسُّلُوكِ) المُسْتَنِدِ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ إِلَى العِبَادَةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالزِّيَارَاتِ المَأْثُورَةِ عَنْ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام فَتَرْكِيزُهُ عَلَى هَذِهِ الجَوَانِبِ يُمَثِّلُ مَدْرَسَةً عِرْفَانِيَّةً أَصِيلَةً لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الفَلْسَفَةِ العَقْلِيَّةِ أَوِ التَّأْوِيلَاتِ البَعِيدَةِ.

٢- العِبَادَاتُ كَطَرِيقٍ لِلسُّلُوكِ: كَانَ يَرَى فِي العِبَادَاتِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ (كَالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ وَالمُسْتَحَبَّاتِ) أَسَاسًا لِلسَّيْرِ إِلَى اللهِ، وَيَعْتَنِي بِـ"أَسْرَارِ العِبَادَاتِ" الَّتِي تُعَدُّ مِنْ شُؤُونِ العِرْفَانِ.

٣- الدُّعَاءُ وَالزِّيَارَةُ: تُشَكِّلُ مُؤَلَّفَاتُهُ الغَزِيرَةُ فِي الدُّعَاءِ وَالزِّيَارَاتِ، مِثْلِ «مُهَجِ الدَّعَوَاتِ وَمَنْهَجِ العِبَادَاتِ» وَ «الإِقْبَالِ لِصَالِحِ الأَعْمَالِ»، الدَّلِيلَ الأَكْبَرَ عَلَى مَنْهَجِهِ، فَالأَدْعِيَةُ وَالزِّيَارَاتُ فِي نَظَرِهِ هِيَ وَسِيلَةٌ لِلتَّزْكِيَةِ، وَأَدَبِ النَّفْسِ، وَالمُعَامَلَةِ الصَّادِقَةِ مَعَ اللهِ، وَهِيَ خُلَاصَةُ المَعْرِفَةِ الصَّالِحَةِ الهَادِيَةِ.

٤- التَّوَجُّهُ الكَامِلُ إِلَى اللهِ (المُرَاقَبَةُ وَالمُحَاسَبَةُ): يَتَمَيَّزُ فِكْرُهُ بِالتَّرْكِيزِ الشَّدِيدِ عَلَى اليَقَظَةِ الرُّوحِيَّةِ وَدَوَامِ التَّوَجُّهِ إِلَى الخَالِقِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ فِي السُّلُوكِ العِرْفَانِيِّ بِالمُرَاقَبَةِ وَالمُحَاسَبَةِ.

٥- دَوَامُ التَّوَجُّهِ: يُوصَفُ بِأَنَّهُ كَانَ «دَائِمَ التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى» بِشَكْلٍ كَامِلٍ، لَا يَصْرِفُ اهْتِمَامَهُ لِغَيْرِهِ، وَيَسْعَى لِأَنْ يَكُونَ كُلُّ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ[٣٤].

٦- مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ: أَلَّفَ كِتَابًا بِاسْمِ «مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ»، مِمَّا يُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّةَ هَذَا الجَانِبِ كَرِكِيزَةٍ أَسَاسِيَّةٍ فِي السُّلُوكِ العِرْفَانِيِّ لَدَيْهِ.

٧- العُزْلَـةُ وَالزُّهْدُ: عُرِفَ بِزُهْدِهِ وَوَرَعِهِ، وَرَفْضِـهِ لِلْمَنَاصِبِ الحُكُومِيَّةِ الَّتِي عُرِضَتْ عَلَيْهِ (كَالنِّقَابَةِ وَالوِزَارَةِ فِي زَمَنِ العَبَّاسِيِّينَ) تَوَرُّعًا، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَفْضِيلِهِ العُزْلَةَ الرُّوحِيَّةَ وَالانْصِرَافَ إِلَى اللهِ[٣٥].

٨- الوَصَايَـا الأَخْلَاقِيَّةُ وَالعِرْفَانِيَّـةُ: تَظْهَرُ آرَاؤُهُ العِرْفَانِيَّةُ بِوُضُـوحٍ فِي وَصَايَاهُ لِوَلَدِهِ مُحَمَّدٍ، وَالَّتِي جَمَعَهَا فِي كِتَابِهِ «كَشْـفِ المَحَجَّةِ لِثَمَرَةِ المُهْجَةِ»، الَّذِي يُعَدُّ إِرْشَادًا إِلَى السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ، هُوَ فِي الأَسَاسِ وَصَايَا أَخْلَاقِيَّةٌ وَعِرْفَانِيَّةٌ لِوَلَدِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَإِرْشَادٌ لَهُـمْ إِلَى "طَرِيـقِ السَّـيرِ وَالسُّـلُوكِ" عَلَى مَـا ارْتَضَاهُ الشَّـارِعُ لَهُمْ، حَيثُ يَقـولُ: (فِيمَا أَذْكُرُهُ مِنَ العُذْرِ فِي الاقْتِصَارِ فِي الوَصِيَّةِ عَلَى المَوَاهِبِ العَقْلِيَّةِ دُونَ اسْـتِيفَاءِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، اعْلَمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِمَّنْ عَرَفْتُهُ مِنَ المُصَنِّفِينَ اقْتَصَرُوا عَلَى المَعْرُوفِ وَالمَأْلُوفِ مِنْ آدَابٍ وَأَسْـبَابٍ فِي وَصَايَا أَوْلَادِهِمْ يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَرَأَيْتُ أَنَا أَنَّ مُتَابَعَتَهُمْ فِي ذَلِكَ تَضْيِيعٌ لِوَقْتِي، إِذْ كَانَ يَكْفِي أَنْ أَدُلَّهُمْ عَلَى تِلْكَ الكُتُبِ وَمَا فِيهَا مِنَ الآدَابِ، وَمَا كُنْـتُ أَنْ أَحْتَـاجَ إِلَى أَنْ أَتَكَلَّفَ تَصْنِيفَ كِتَابٍ، وَإِنَّمَا أَذْكُرُ مَـا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ أَوْ أَكْثَرُ مِمَّا لَا يُوجَدُ فِي رَسَائِلِ مَنْ ذَكَرْتُ مِنْ أَصْحَابِنَا العُلَمَاءِ فِي تَصَانِيفِهِمْ لِأَوْلَادِهِمْ مِمَّا أَخَافُ أَنَّ أَوْلَادِي لَا يَظْفَرُونَ مِنْ غَيْرِ كِتَابِي هَذَا بِمُرَادِهِمْ لِدُنْيَاهُمْ وَمَعَادِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَتَدَارَكَهُمُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ الَّذِي هُوَ بِهِمْ أَرْحَمُ وَعَلَيْهِمْ أَكْرَمُ مِنْ خِزَانَتِهِ)[٣٦].

٩- الاتِّبَـاعُ وَالمُتَابَعَـةُ: كَانَ يَـرَى أَنَّ وَصَايَـاهُ هِـيَ سَـبِيلٌ مَسْـلُوكٌ لِلْأَنْبِيَـاءِ وَالأَوْصِيَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ وَالعُلَمَاءِ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ فِي المُتَابَعَةِ لَهُمْ، مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ عِرْفَانَهُ يَنْبُعُ مِنْ مَدْرَسَةِ أَهْلِ البَيْتِ عليهم السلام وَيُشَدِّدُ عَلَى ضَرُورَةِ الاتِّبَاعِ الشَّرْعِيِّ[٣٧].

بِاخْتِصَارٍ، يُمْكِنُ وَصْفُ عِرْفَانِ السَّيِّدِ ابْنِ طَاوُوسٍ بِأَنَّهُ عِرْفَانٌ عَمَلِيٌّ شِيعِيٌّ صِرْفٌ، قِوَامُـهُ الالْتِـزَامُ الشَّـدِيدُ بِالشَّرْعِ وَالزُّهْـدِ، وَكَثْرَةُ العِبَادَةِ وَالدُّعَـاءِ المَأْثُورِ، وَالمُرَاقَبَةُ الدَّائِمَةُ لِلنَّفْسِ لِلْوُصُولِ إِلَى المَعْرِفَةِ، وَالوَصْلِ الإِلَهِيِّ.

٢- العَلَّامَةُ ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ (ت ٨٤١ هـ) الفَقِيهُ العَارِفُ الزَّاهِدُ:

ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ فَهْدٍ الأَسَدِيُّ الحِلِّيُّ، المُلَقَّبُ بِجَمَالِ الدِّينِ وَالمُكَنَّى أَبَا العَبَّاسِ، اشْتُهِرَ بِكَوْنِهِ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ الفِقْهِ الاسْتِدْلَالِيِّ العَمِيقِ وَالزُّهْدِ وَالسُّلُوكِ العِرْفَانِيِّ، فَكَانَ قُطْبًا عِلْمِيًّا وَرُوحِيًّا فِي عَصْرِهِ(٣٨).

الجَانِبُ العِرْفَانِيُّ: يَتَجَلَّى الجَانِبُ العِرْفَانِيُّ (السُّلُوكِيُّ وَالأَخْلَاقِيُّ) فِي آرَاءِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ (ت ٨٤١ هـ) مِنْ خِلَالِ اهْتِمَامِهِ بِالزُّهْدِ، وَ العِبَادَةِ، والسَّيْرِ وَالسُّلُوكِ إِلَى اللهِ، وَالأَخْلَاقِ العَالِيَةِ، مَعَ الحِرْصِ عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ العِرْفَانِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ وَالتَّصَوُّفِ المُنْحَرِفِ(٣٩).

مَلَامِحُ آرَاءِ ابْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ العِرْفَانِيَّةِ: يُعَدُّ ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ، الَّذِي كَانَ فَقِيهًا وَمُتَكَلِّمًا وَعَارِفًا زَاهِدًا، مِنْ أَبْرَزِ العُلَمَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ العُلُومِ العَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ وَبَيْنَ الفِقْهِ وَالسُّلُوكِ، وَتَتَلَخَّصُ آرَاؤُهُ العِرْفَانِيَّةُ فِيمَا يَلِي:

١- تَعْرِيفُهُ لِلْعِرْفَانِ: «يَرَى ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ أَنَّ العِرْفَانَ هُوَ المَنْهَجُ الإِسْلَامِيُّ فِي التَّرْبِيَةِ وَالتَّهْذِيبِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ عِبَادَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَنْ حُبٍّ، وَإِخْلَاصٍ، لَا عَنْ رَجَاءٍ وَثَوَابٍ، وَلَا عَنْ خَوْفٍ وَعَذَابٍ، فَالعِرْفَانُ إِذَنْ طَرِيقٌ مِنْ طُرُقِ العِبَادَةِ، عِبَادَةِ الحُبِّ وَالإِخْلَاصِ، لَا عِبَادَةِ الخَوْفِ وَالرَّجَاءِ»(٤٠).

٢- الزُّهْدُ وَالسُّلُوكُ: اشْتُهِرَ ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ بِشِدَّةِ زُهْدِهِ وَوَرَعِهِ وَعِبَادَتِهِ، وَسُلُوكِهِ مَسْلَكَ العَارِفِينَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى اهْتِمَامِهِ البَالِغِ بِالجَانِبِ العَمَلِيِّ لِلسَّيْرِ إِلَى اللهِ، وَقَدْ وُصِفَ بِأَنَّهُ «الزَّاهِدُ العَارِفُ» وَ«قُدْوَةُ المُوَحِّدِينَ»، وَ «نَادِرَةُ العَارِفِينَ وَالزَّاهِدِينَ»(٤١).

٣- التَّأْلِيفُ فِي السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ: أَهَمُّ مَا يَعْكِسُ آرَاءَهُ العِرْفَانِيَّةَ هُوَ مُؤَلَّفَاتُهُ الَّتِي تُرَكِّزُ عَلَى تَهْذِيبِ النَّفْسِ وَالعِبَادَةِ، وَأَبْرَزُهَا:

أ- كِتَابُ عُدَّةِ الدَّاعِي وَنَجَاحِ السَّاعِي: وَهُوَ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِهِ فِي الأَخْلَاقِ وَالآدَابِ وَالدُّعَاءِ.

ب- رِسَالَةُ التَّحْصِينِ فِي صِفَاتِ العَارِفِينَ: وَهِيَ رِسَالَةٌ خَاصَّةٌ تَتَنَاوَلُ العُزْلَةَ كَصِفَةٍ يَنْبَغِي أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا السَّالِكُ، وَفِيهَا حَثٌّ عَلَى العُزْلَةِ وَتَجَنُّبِ الشُّهْرَةِ.

٤- مَوْقِفُهُ مِنَ التَّصَوُّفِ: عَلَى الرَّغْمِ مِنِ اشْتِهَارِهِ بِالزُّهْدِ وَالسُّلُوكِ وَكَوْنِهِ أَحَدَ «السَّالِكِينَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ»، إِلَّا أَنَّ البَعْضَ نَسَبَهُ إِلَى التَّصَوُّفِ، غَيْرَ أَنَّ العُلَمَاءَ المُدَافِعِينَ عَنْهُ يُوَضِّحُونَ أَنَّهُ يَسْلُكُ مَسْلَكَ العِرْفَانِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ وَيُمَيِّزُهُ عَنِ التَّصَوُّفِ المُنْحَرِفِ[٤٢].

التَّفْرِيقُ بَيْنَ العِرْفَانِ وَالتَّصَوُّفِ: يَرَى عُلَمَاءُ الشِّيعَةِ أَنَّ مَا نُسِبَ لِابْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَجِلَّاءِ (كَابْنِ طَاوُوسٍ وَالشَّهِيدِ الثَّانِي) لَيْسَ هُوَ التَّصَوُّفَ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى فَسَادِ الاعْتِقَادِ (كَالحُلُولِ وَوَحْدَةِ الوُجُودِ) أَوْ فَسَادِ الأَعْمَالِ (كَالأَعْمَالِ المُخَالِفَةِ لِلشَّرْعِ)، بَلْ هُوَ: «الانْقِطَاعُ إِلَى الخَالِقِ جَلَّ شَأْنُهُ، وَالتَّخَلِّي عَنِ الخَلْقِ، وَالزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا، وَالتَّفَانِي فِي حُبِّهِ تَعَالَى»[٤٣].

٥- كِتَابُ أَسْرَارِ الصَّلَاةِ: يُعَدُّ كِتَابُ أَسْرَارِ الصَّلَاةِ (أَوْ مَعَانِي أَفْعَالِ الصَّلَاةِ وَأَقْوَالِهَا) لِابْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ مِنْ أَهَمِّ الأَعْمَالِ الَّتِي أَسَّسَتْ لِمَدْرَسَةِ العِرْفَانِ الفِقْهِيِّ، وَالَّتِي تُوَجِّهُ المُصَلِّيَ نَحْوَ عُمْقِ العِبَادَةِ بَدَلًا مِنَ الاقْتِصَارِ عَلَى شَكْلِهَا الظَّاهِرِيِّ، فَالكِتَابُ عِبَارَةٌ عَنْ رِسَالَةٍ مُخْتَصَرَةٍ لَكِنَّهَا عَمِيقَةٌ، يَنْصَبُّ مُحْتَوَاهَا بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ عَلَى شَرْحِ المَعَانِي البَاطِنِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الصَّلَاةِ، مِنَ التَّكْبِيرَةِ الأُولَى إِلَى التَّسْلِيمِ.

المَنْهَجُ وَالمُحْتَوَى: المَنْهَجُ الَّذِي اعْتَمَدَهُ ابْنُ فَهْدٍ الحِلِّيُّ فِي هَذَا الكِتَابِ هُوَ السُّلُوكُ العِرْفَانِيُّ المُعْتَمِدُ عَلَى النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، حَيْثُ يَرْبِطُ بَيْنَ الحَرَكَةِ الظَّاهِرِيَّةِ

لِلْمُصَلِّي وَبَيْنَ المَعْنَى البَاطِنِيِّ المَطْلُوبِ؛ لِتَحْقِيقِ الخُشُوعِ وَالحُضُورِ القَلْبِيِّ.

الهَدَفُ الأَسَاسِيُّ مِنَ الكِتَابِ: يَسْعَى كِتَابُ أَسْرَارِ الصَّلَاةِ إِلَى تَحْوِيلِ الصَّلَاةِ مِنْ مُجَرَّدِ أَدَاءٍ فِقْهِيٍّ وَاجِبٍ إِلَى مِعْرَاجٍ رُوحِيٍّ وَلِقَاءٍ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ.

الخُلَاصَةُ: إِنَّ آرَاءَ ابْنِ فَهْدٍ الحِلِّيِّ العِرْفَانِيَّةَ هِيَ امْتِدَادٌ لِـ «مَدْرَسَةِ العِرْفَانِ الفِقْهِيِّ» الشِّيعِيَّةِ، الَّتِي تُوَفِّقُ بَيْنَ الالتِزَامِ التَّامِّ بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَالفِقْهِ وَبَيْنَ ضَرُورَةِ السَّيْرِ وَالسُّلُوكِ الرُّوحِيِّ وَالزُّهْدِ لِلْوُصُولِ إِلَى مَرَاتِبِ الكَمَالِ.

٣- السَّيد حيدر الآملي (ت٧١٩ - ٧٩٤ هـ تقريباً).

هو السَّيد حيدر بن عليّ بن حيدر بن عليّ العلويّ الحسينيّ الآمليّ المازندرانيّ الصوفيّ المعروف بالآمليّ،[٤٤] ويلقب السَّيد حيدر الآمليّ ألقابًا عديدة كان يلقب بركن الدّين وركن الحقِّ والملَّة والدّين، و بهاء الدّين، ومن ألقابه التي كان يفخرُ بها زين العابدين، وهذا اللَّقب أطلقه عليه أستاذه فخر المحقّقين ابن العلَّامة الحلّي، وقد ذكر ذلك بنفسه[٤٥].

نسبه: يعود نسب السَّيد حيدر إلى الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وكما صرّح في مقدِّمة كتابه تفسير المحيط الأعظم بتوسط تسعة عشر جيلاً[٤٦].

أقوال العلماء فيه[٤٧]:

قال صاحب الرياض: فاضلٌ عالمٌ جليلٌ مفسّرٌ فقيهٌ محدّث كان من عظماءِ علماءِ الإماميَّة، و كان من أفاضلِ علماءِ الصّوفيَّة إماميِّ المذهب.

القاضي نور الله في مجالس المؤمنين: ذكره من أصحابنا الإماميَّة سيّد المتألّهين السَّيّد العارف المحقّق الأوحدي، من علماء الشّيعة، أفضل المتألّهين من أكابر سادات آمل الرَّفيعيّ الدَّرجات.

ووصفه الشّيخ الفقيه الفاضل محمَّد بن أبي جمهور في شرح بعض الرَّسائل الكلاميَّة: بالسّيد العلّامة المتأخر صاحب الكشف الحقيقيِّ وقال: إنَّ علو مرتبته في علوم الظَّاهر والباطن ظاهرٌ كالنّورِ على شاهقِ الطّور.

الشّيخ البهائي قال عنه: له تفسير كبير بلسان الصّوفيَّة يدلُ على علو شأنهِ وارتفاع مكانه.

وقال عنه فخر الدين ولد العلَّامة: السَّيّدُ الأعظم، الإمامُ المُعظّم، أفضلُ العلماءِ في العالَم، أعلمُ فُضلاءِ بني آدَم، مُرشدُ السَّالكين، غِياثُ نفوسِ العارفين، مُحيي مَراسم أجدادِه الطَّاهرين، الجامعُ بَين المعقولِ و المنقول، و الفروعِ و الأصول، ذو النَّفسِ القُدسيَّة، و الأخلاقِ النَّبويّة، شَرفُ آلِ رسولِ ربِّ العالَمين، أفضلُ الحاجِّ و المعتمرين، المخصوصُ بعنايةِ ربِّ العالمين، ركنُ الملَّة و الدّين السَّيد حيدر ابن السَّيد السَّعيد ركن الدَّين علي بادشاه ابن السَّيد السَّعيد ركن الدين حيدر العلويّ الحسينيّ أدامَ اللهُ فضائله وأسبغ فواضله.

أساتذته: تلقّى العلوم الرسميّة و المقدّمات من أبيه و علماء آمُل، فأخذ العرفان عن الشيخ عبد الرحمن القدسيّ، والفقه عن فخر المحقّقين ابن العلّامة الذي كان يخاطبه باسم (زين العابدين)[٤٨].

ويرى أصحاب التراجم أن السَّيد حيدرًا نهل واستفاد في الحلّة من تعاليم استاذين كبيرين هما: نصير الدّين الكاشانيّ الحّليّ (٧٥٥ هـ)، وفخر المحقّقين (٦٨٢ - ٧٧١ هـ) ابن العلَّامة الحلّيّ[٤٩].

مؤلفاته[٥٠]: لقد كان السَّيد بهاء الدّين حيدر بن عليّ الآمليّ غزير الإنتاج، وتتركّز معظم مؤلفاته حول مشروعه الأساسيّ وهو الرَّبط بين العرفان النظريّ (مدرسة ابن عربيّ) وبين أصول التَّشيع الإماميّ، وأبرز مؤلفاته التي ذكرت في المصادر، مصنَّفة على وفق موضوعها وهي:

١- في التوحيد والعرفان الفلسفيّ: جامع الأسرار ومنبع الأنوار.

المحتوى: وهو الكتاب المؤسس لمشروعه، يهدف إلى إثبات أنَّ عقائد الصوفيَّة والعرفاء (خاصَّة في التَّوحيد والولاية) متوافقة تمامًا مع مذهب الإماميَّة الاثني عشريَّة.

٢- شرح «فصوص الحكم»: نصُّ النُّصوص في شرح فصوص الحكم.

المحتوى: من أهم شروحات كتاب فصوص الحكم لمحيي الدّين ابن عربيّ، وهو كتاب عرفانيّ دقيق في وحدة الوجود ومراتب التَّجلي الإلهي.

٣- في التَّفسير القرآني العرفاني: المحيط الأعظم والبحر الخضم في تفسير القرآن الأعظم.

المحتوى: تفسير كبير للقرآن الكريم يعتمد على المنهج العرفاني والباطني، ويكشف عن الأسرار والحقائق التي يراها وراء المعاني الظَّاهرة للآيات.

٤- في العقائد والتَّشيع: منهاج الهداية في تحقيق أمر الإمامة.

المحتوى: رسالة في إثبات أحقيَّة الإمامة والولاية للأئمة الاثني عشر، وتناولها من منظور فلسفي وعرفاني.

٥- في السّير والسّلوك العرفاني: رسالة علم اليقين وعين اليقين وحقِّ اليقين.

المحتوى: شرح للدَّرجات الثَّلاث للمعرفة (كما وردت في العرفان والفلسفة)، وله رسائل أخرى في هذا المجال.

٦- في النَّقد والمطارحات الفكريَّة: رسالة نقد المحصّل.

المحتوى: تعليق على كتاب المحصَّل للإمام فخر الدّين الرّازيّ، يوضح فيه رؤيته الكلاميَّة والفلسفيَّة.

آرَاء السَّيد حيدر الآمليّ العِرْفَانيّة:

١- الوحدةُ الوجوديَّة والتَّوحيدُ الذَّاتي: يتبنى الآمليُّ مذهبَ وحدةِ الوجودِ على طريقةِ الشّيخ الأكبر ابن عربيّ، مؤكدًا أنَّ الوجود الحقيقي هو لله وحده، وأنَّ العالم هو تجليات لهذا الوجود الأحد، ويرى أنَّ التَّوحيد الحقيقيّ هو التَّوحيد الذَّاتيّ المطلق (وحدة الوجود)، حيث لا وجود حقيقيّ سوى للحقِّ تعالى، وكلُّ ما سوى ذلك هو صور وتجليات (مظاهر) لذلك الوجود[٥١].

٢- المراتب الإلهية الثلاث (المقامات): يقسّمُ الآمليُّ الحقيقةَ الإلهيَّةَ والكونيَّةَ إلى ثلاثِ مراتبٍ رَئيسةٍ (المقامات) تتفقُ مع المنهجِ العرفانيّ:

أ- مقامُ الغيبِ المطلق (الغيب الأحديّ): مرتبة الذَّات الأحدية التي لا يُعرف عنها شيء (الذَّات غير المتجلية)، وهي تسمى اللاهوت.

ب- مقام الأسماء والصفات (الوحدة الجمعية): مرتبة التعيّن الأول، وهي الحقيقة المحمدية.

ج- مقام الظّهور والفيض (الكثرة): مرتبة التَّعيّن الثَّاني، وهو عالم الأكوان والخلق (النَّاسوت والجبروت والملكوت)[٥٢].

٣- الولايـة الكليَّـة والختـم الإمامي: هذا هو الـرَّأيُّ المحوريُّ الـذي ربط به العرفان بالتَّشـيع، إذ يـرى أنَّ الولاية هي الحقيقـة الباطنيَّة للنّبوّة والرّسـالة، و أنَّ الولايـة الإلهيَّـة هي المقـام الأكمل، وهي باطـن الشَّريعة، وتنقسـم إلى ولاية عامَّة (لجميـع الأولياء) وولاية خاصَّـة (للأئمة)، والختم المطلق للولاية (التي تجمع بين التَّشريـع والتكوين) هو لأهل البيت عليهم السلام، وتحديدًا للإمـام المهدي المنتظر بوصفه خاتم الأولياء، ويرى أنَّ الأئمة الاثني عشر هم القطب وأركان الوجود والأسـماء التَّامة[٥٣].

٤- حقيقـة الإنسـان الكامـل (الحقيقة المحمَّديَّة): مثل سـائر العرفـاء، يؤمنُ الآمليُّ بحقيقةِ الإنسانِ الكاملِ كحلقةِ وصلٍ بين الحقِّ والخلق.

رأيـه: يرى الإنسـان الكامل هو الـبرزخ الجامع بين الحقائـق الإلهيَّة والحقائق الكونيَّـة، وهو أوّل تعـيّن للحقِّ (الحقيقة المحمَّديَّة/ العقـل الأول)، وهذه الحقيقة هي التي تتجلى في الأنبياء وتكتمل في الأئمة الاثني عشر[٥٤].

٥- الشريعـة والطَّريقـة والحقيقـة: يـرى الآمـليُّ أنَّ هذه المراتـب الثَّلاث غير منفصلة، وأنَّ الكمالَ يتمثلُ في الجمعِ بينها، وهو ما نجدهُ في مذهب الإماميَّة:

الشريعة: هي القشر والظَّاهر.

الطريقة: هي الباطن والمسلك العملي (السلوك).

الحقيقة: هي اللب والغاية القصوى (الكمال المعرفي).

إذ يـرى أنَّ المذهـب الإمامـي هـو الجامع لهذه المراتـب الثَّـلاث، فالفقه يمثل الشَّريعة، والولاية تمثل الحقيقة، وأئمة الشّيعة هم سادة الحقيقة[٥٥].

وفاتـه ومدفنه: لم يجزم أحد لا من العلماء ولا من المترجمين بتاريخ وفاة السَّـيد

حيدر الآمليّ على وجه الدّقة، لكن آخر مؤلف ألفه هو كتاب نص النّصوص وذلك بتاريخ ٧٨٢هـ[٥٦]، وذكر الطّهراني أنَّه له رسالة ألفها سنة ٧٨٧هـ[٥٧]، ومهما يكن من أمر فإنَّه لم يثبت تاريخ وفاته باليقين[٥٨]، وأمَّا مكان دفنه فقد اختلف فيه أيضًا، في النَّجف؟ أم في الحلّة؟ أم في آمل؟ ويدعي خواجوي أنَّ مقبرة في آمل منسوبة إليه في أسفل السّوق تعرف ببقعة مير حيدر[٥٩].

٤- الشيخ نصير الدين الكاشاني الحلي(٧٥٥ هـ)[٦٠].

هو علي بن محمد بن علي الكاشاني (أو القاشي)، لقب بنصير الدّين الكاشي، ونصير الدّين الحلّي، والحكيم، والمتألّه، والفقيه، ولد في كاشان بإيران، ولكنه سكن في الحلَّة بالعراق، ولذلك لقب بـ«الكاشاني الحلي» ولد في بكاشان في حدود سنة خمس وسبعين وستَ مئة، وسكن الحلّة، وتوفيّ في ١٠ رجب سنة ٧٥٥ هـ في المشهد المقدس الغروي (النجف الأشرف).

له مكانته العلميَّة بين العلماء، فقد كان من كبار علماء ومتكلمي وفلاسفة وفقهاء الإماميَّة في عصره، وقد أشاد به المؤرخون وطلاب العلم فقالوا فيه:

١ _ محسن الأمين: علي بن محمَّد الكاشيّ من علماء الإجازة...مولانا وشيخنا المولى القدوة القبلة سلطان الفقهاء والعلماء والمتكلمين نصير الملَّة والحقِّ والدّين[٦١].

٢- عباس القميّ: العالم المدقق الفهامة عليّ بن محمَّد بن عليّ الكاشانيّ الحلّيّ، من أجلَّة متأخري أصحابنا وكبار فقهائهم[٦٢].

٣- حيدر الآملي في كتاب منبع الأنوار: العليم العالم والحكيم الفاضل نصير الدّين الكاشيّ[٦٣].

٤- ابن العتائقي: الإمام الأعظم البارع الورع المعظم قطب الأولياء وخلاصة

الأصفياء سلطان الحكماء والفقهاء والمتكلمين شيخ مشايخ العارفين كعبة طلاب العلم والسَّالكين نصير الملَّة والحقِّ والدّين عليّ بن محمَّد الكاشيّ أدامَ الله أيامه وأعطاه في داريه مرامه بمحمَّد وآله الطَّاهرين[٦٤].

تلاميذه: من أبرز تلاميذه هو السَّيد حيدر الآملي، وكذلك تاج الدّين محمد بن القاسم ابن مُعيَّة الحسني، وجلال الدّين عبد الله بن شرفشاه الحسينيّ، وعبد الرَّحمن بن محمَّد المعروف بابن العتائقي[٦٥].

مؤلفاته[٦٦]: تتركّز معظم أعمال نصير الدّين الكاشانيّ الحليّ على التَّعليقات والشّروح والحواشيّ على متون الفلسفة والمنطق وعلم الكلام لعلماء سابقين مثل الخواجة نصير الدّين الطوسي والعلامة الحلي والقاضي البيضاوي، وهي:

١- النّكات في مسائل امتحانيَّة في علميّ المنطق والكلام.

٢- شرح «طوالع الأنوار» لعبد الله بن عمر البيضاويّ.

٣- حاشية على «تسديد القواعد في شرح تجريد العقائد» لمحمود بن عبد الرَّحمن بن أحمد الأصفهانيّ.

٤- حاشية على «تحرير القواعد المنطقيَّة في شرح الشمسيَّة في المنطق لقطب الدّين محمَّد بن محمَّد الرازي.

٥- تعليقات على هوامش شرح الإشارات.

٦- رسالة مشتملة على عشرين إيرادًا على تعريف الطَّهارة في كتاب «القواعد» للعلاّمة الحلّيّ.

وترجم من الفارسيَّة إلى العربيَّة كتاب «الزبدة» في الهيئة للخواجة نصير الدّين محمَّد بن محمَّد بن الحسن الطّوسيّ.

آراؤه العرفانيَّة: إنَّ الآراء العرفانيَّة لنصير الدّين الكاشاني الحلّي (ت. ٧٥٥هـ) ليست بنفس وضوح وتركيز تلميذه (السيد حيدر الآملي)، إذ كان اهتمامه الرَّئيس منصبًا على علم الكلام والفلسفة العقليَّة والمنطق ، وبوصفه شخصيَّة رئيسة في زمن ازدهار الفكر العرفانيّ، تظهر ملامح من آرائه وتوجهاته العرفانيَّة من خلال شروحاته وتعليقاته على أعمال الفلاسفة والمتكلمين، فقد كان يميل إلى الجمع بين المنهجين العقلي والكشفي الذوقي، ويمكن استخلاص توجهاته العرفانيَّة من النّقاط الآتية:

١- إثبات الكشف والمشاهدة بصفتها مصدرًا للمعرفة: كانَ نصيرُ الدّين الكاشانيّ يدافعُ عن مشروعيَّة المعرفة الذَّوقيَّة الَّتي تحصلُ بالكشفِ والمشاهدةِ إلى جانبِ المعرفةِ العقليَّةِ البرهانيَّة.

إذ يرى أنَّ الإدراك الحقيقيّ لأسرار الوجود لا يتمُّ فقط بالنَّظر العقليّ المجرد، بل يحتاجُ إلى تصفيةِ الباطنِ والسّلوكِ الَّذي يفضي إلى الكشفِ العرفانيّ.

ويظهر ذلك في حواشيه على كتب الفلسفة والكلام، مثل حاشيته على شرح طوالع الأنوار، حيث يؤكّد أنَّ بعضَ الحقائقِ لا يدركها إلا أهل الذوق والشهود.

٢- التوفيق بين الفلسفة والعرفان: لم يكن نصير الدّين الكاشانيّ صوفيًّا خالصًا أو فيلسوفًا متعصبًا، بل كان من دعاة التوفيق بين المدرسة المشائيَّة (العقليَّة) والمدرسة الذوقيَّة (العرفانيَّة)، متأثّرًا بالخواجةِ نصير الدّين الطّوسيّ ونهج الجمع بين العقلِ والنقلِ.

رأيه: يرى أنَّ الحقائق التي يصلُ إليها العارفُ بالكشفِ هي نفسها الَّتي يحاولُ الحكيمُ (الفيلسوفُ) إثباتها بالبرهانِ، ولكنَّ طريق العارف أسرع وأكثر يقينًا.

ويظهر هذا التوجه في تعليقاته على كتاب «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا، إذ يدمج تفسير الفقرات الفلسفيَّة بتفسيرات عرفانيَّة تشير إلى حقائق الوجود والتَّوحيد.

٣- الاهتمام بمفهوم الولاية الإمامية: بوصفه من علماء الإماميَّة، كان للكاشانيِّ اهتمام بمقام الإمامة والولاية الإلهيَّة، وهو الأساس الذي بنى عليه تلميذه السيد حيدر الآملي مشروعه العرفانيّ الشيعيّ، حيثُ كان يعتقدُ الكاشانيُّ بدورِ الولايةِ الباطنيَّةِ للأئمَّةِ كقناةٍ للفيضِ الإلهي، وكمال المعرفة، حتَّى لو لم يصل إلى العمقِ النَّظريّ الذي وصل إليه السّيد حيدر الآمليّ في مفهومِ الولايةِ الكليَّة.

٤- الإشاراتُ إلى اصطلاحاتِ وحدةِ الوجود: على الرّغم من كونه حريصًا في تعاملهِ مع مذهبِ وحدةِ الوجودِ الصَّريحِ (كفكرِ ابن عربيّ)، إلَّا أنَّ شروحه وتحقيقاته تضمنت إشارات إلى مفاهيم مثل:

أ- الفيض الأقدس والفيض المقدس: كطريقٍ لتفسيرِ كيفيَّة صدور الكثرةِ عن الواحد[٦٧].

ب- الحقيقة المحمَّديَّة: كأول تعيّن وواسطة بين الحقِّ والخلق[٦٨].

ملاحظة: تُستقى هذه الآراء بشكلٍ أساسيٍّ من:

١- حواشيه وتعليقاته على شروح تجريد العقائد (للطوسي) وطوالع الأنوار (للبيضاوي)[٦٩].

٢- تعليقاته على الإشارات والتنبيهات (لابن سينا)[٧٠].

الخَاتِمَةُ

المَدْرَسَـةُ الحِلِّيَّةُ مَثَّلَـت مَرْحَلَةَ دَمْجٍ نَاجِحَـةٍ؛ حَيْثُ نَقَلَت الفِكْـرَ العِرْفَانِيَّ مِنْ كَوْنِـهِ تَيَّارًا مُنْعَزِلًا أَوْ مُجَـرَّدًا إِلَى كَوْنِهِ جُزْءًا أَصِيلًا وَمُؤَصَّلًا ضِمْـنَ البِنْيَةِ الحَوْزَوِيَّةِ وَالمَدْرَسِـيَّةِ لِلْفِكْرِ الإِمَامِيِّ، بِتَأْثِيرٍ مُبَاشِرٍ مِنْ أَعْلَامِهَا الَّذِينَ لَمْ يَكْتَفُوا بِالنَّقْلِ العَقْلِيِّ بَلْ أَقَرُّوا بِوُجُودِ مُسْتَوًى أَسْمَى مِنَ الإِدْرَاكِ المَعْرِفِيِّ.

وَبِنَاءً عَلَى المُعْطَيَاتِ الحَوْزَوِيَّةِ وَالبَحْثِيَّةِ، وَإِقْرَارًا بِالدَّوْرِ التَّارِيخِيِّ لِعُلَمَاءِ الحِلَّةِ، فَـإِنَّ النَّتِيجَـةَ المَحْوَرِيَّـةَ لِبَحْثِ «الأَثَـرِ المَحْوَرِيِّ لِلْمَدْرَسَـةِ الحِلِّيَّـةِ فِي صِيَاغَةِ الفِكْرِ العِرْفَانِيِّ الإِمَامِيِّ» يُمْكِنُ صِيَاغَتُهَا بِأَنَّ البَحْثَ أَثْبَتَ بِأَنَّ المَدْرَسَةَ الحِلِّيَّةَ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ مَرْكَزٍ لِلْفِقْهِ وَالأُصُولِ (مَعَ أَهَمِّيَّتِهِمَا)، بَلْ كَانَتْ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ مَحْوَرِيَّةٍ أَسْـهَمَتْ بِشَـكْلٍ كَبِيرٍ فِي صِيَاغَةِ الفِكْرِ العِرْفَانِيِّ الإِمَامِيِّ مِنْ خِلَالِ تَأْصِيلِ العِرْفَانِ النَّظَرِيِّ وَالعَمَلِيِّ، وَكَسْرِ الحَاجِزِ المَعْرِفِيِّ، حَيْثُ قَامَتِ المَدْرَسَةُ الحِلِّيَّةُ، خُصُوصًا بَعْدَ ظُهُورِ شَخْصِيَّاتٍ مِثْـلِ الخَوَاجَةِ نَصِـيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ وَابْنِ مَيْثَمٍ البَحْرَانِيِّ، بِإِحْـدَاثِ تَقَارُبٍ وَتَفَاعُلٍ بَيْنَ الفَلْسَفَةِ المَشَّائِيَّةِ (العَقْلَانِيَّةِ) وَعِلْمِ الكَلَامِ الإِمَامِيِّ وَالعِرْفَانِ، هَذَا التَّفَاعُلُ مَهَّدَ الطَّرِيقَ لِقَبُولٍ وَنُضْجِ العِرْفَانِ النَّظَرِيِّ (التَّصَوُّفِ الفَلْسَفِيِّ)، حَيْثُ أُدْرِجَتِ المَعَارِفُ العِرْفَانِيَّـةُ ضِمْنَ الأَبْحَاثِ العَقْلِيَّةِ، مِمَّا أَخْرَجَهَا مِنْ حَيِّـزِ الانْغِلَاقِ إِلَى حَيِّزِ التَّدَاوُلِ العِلْمِيِّ المَدْرَسِيِّ، وعملوا على الجَمْعِ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ (العِرْفَانِ العَمَلِيِّ) حَيْثُ تَمَّ الاعْتِرَافُ بِوُجُودِ «نَوْعٍ أَسْـمَى مِنَ المَعْرِفَةِ» (المَعْرِفَـةِ العِرْفَانِيَّةِ) إِلَى جِوَارِ المَعْرِفَةِ العَقْلِيَّةِ (الكَلَامِيَّةِ) وَالمَعْرِفَةِ النَّقْلِيَّةِ (الحَدِيثِيَّةِ).

هَذَا التَّكَامُلُ سَاعَدَ عَلَى صِيَاغَةِ مَنْهَجٍ يَجْمَعُ بَيْنَ التَّعَبُّدِ الشَّرْعِيِّ الصَّارِمِ (الفِقْهِ الحِلِّـي) وَالرِّيَاضَـاتِ وَالمُجَاهَدَاتِ العِرْفَانِيَّةِ، وَظَهَرَ ذَلِكَ بِشَـكْلٍ خَـاصٍّ فِي أَعْمَالِ

مُتَأَخِّري المَدْرَسَةِ (مِثْلِ ابْنِ فَهْدٍ الحِلِّي الَّذِي كَانَ يُمَثِّلُ تَيَّارًا عِرْفَانِيًّا وَأَخْلَاقِيًّا بَارِزًا).

ولَمْ يَقْتَصِرْ دَوْرُ المَدْرَسَةِ الحِلِّيَّةِ عَلَى عُصُورِهَا، بَلْ إِنَّهَا كَانَتِ الرَّكِيزَةَ الَّتِي انْتَقَلَ مِنْهَا هَذَا التَّيَّارُ الفِكْرِيُّ إِلَى المَرَاكِزِ العِلْمِيَّةِ اللَّاحِقَةِ (كَأَصْفَهَانَ وَالنَّجَفِ)، حَيْثُ تَبَلْوَرَ الفِكْرُ العِرْفَانِيُّ الإِمَامِيُّ بِوُضُوحِهِ وَشُمُولِيَّتِهِ فِي المَرَاحِلِ التَّالِيَةِ، مُسْتَنِدًا إِلَى البِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ الَّتِي أَسَّسَتْهَا مَدْرَسَةُ الحِلَّةِ.

التَّوْصِيَاتُ البَحْثِيَّةُ وَالتَّنْظِيرِيَّةُ: أُوصِي بِإِجْرَاءِ دِرَاسَاتٍ حَدِيثَةٍ مُعَمَّقَةٍ تُرَكِّزُ عَلَى كَيْفِيَّةِ المُزَاوَجَةِ المَنْهَجِيَّةِ بَيْنَ الأَدَوَاتِ العَقْلِيَّةِ البُرْهَانِيَّةِ (المُسْتَمَدَّةِ مِنْ عِلْمِ الكَلَامِ وَالفَلْسَفَةِ الحِلِّيَّةِ) وَالأَدَوَاتِ الحَدْسِيَّةِ الكَشْفِيَّةِ فِي مُصَنَّفَاتِ أَعْلَامِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ، وَتَحْدِيدِ مَا إِذَا كَانَ هَذَا التَّزَاوُجُ قَدْ أَسَّسَ لِمَنْهَجٍ عِرْفَانِيٍّ خَاصٍّ يَخْتَلِفُ عَنِ المَنْهَجِ الإِشْرَاقِيِّ أَوِ العِرْفَانِيِّ النَّظَرِيِّ المَحْضِ واتخاذ ملا صدرا أنموذجًا لهذه الدراسة.

كَمَا أَنْصَحُ بِتَخْصِيصِ بُحُوثٍ لِدِرَاسَةِ تَطَوُّرِ مَفْهُومِ «الوِلَايَةِ» (وِلَايَةِ الأَئِمَّةِ) كَمَا صَاغَتْهُ المَدْرَسَةُ الحِلِّيَّةُ، وَمُقَارَنَتِهِ بِالمَفَاهِيمِ العِرْفَانِيَّةِ العَامَّةِ لِلْوِلَايَةِ، لِتَحْدِيدِ أَثَرِ هَذِهِ المَدْرَسَةِ فِي تَأْصِيلِ العِرْفَانِ الإِمَامِيِّ ضِمْنَ دَائِرَتِهِ العَقَدِيَّةِ الخَاصَّةِ، وتتبع مَدَى تَأْثِيرِ المَفَاهِيمِ العِرْفَانِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا عُلَمَاءُ الحِلَّةِ فِي مصنَّفاتهم التَّفْسِيرِيَّةِ، وَاسْتِكْشَافِ مَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ «ذَوْقٌ عِرْفَانِيٌّ» قَدْ أَثَّرَ فِي تَرْجِيحَاتِهِمُ التَّفْسِيرِيَّةِ، كما أُوصِي بِالعَمَلِ عَلَى تَحْقِيقِ وَنَشْرِ المَخْطُوطَاتِ الَّتِي لَمْ تُنْشَرْ بَعْدُ لِأَعْلَامِ الحِلَّةِ مِمَّنْ كَانَ لَهُمُ اهْتِمَامٌ بِالجَانِبِ العِرْفَانِيِّ، أَوِ الفَلْسَفِيِّ المُؤَثِّرِ فِي العِرْفَانِ، لَاسِيَّمَا الرَّسَائِلُ القَصِيرَةُ وَالتَّعْلِيقَاتُ، لِلْكَشْفِ عَنْ تَفَاصِيلَ دَقِيقَةٍ قَدْ تَكُونُ غَائِبَةً فِي المَصَادِرِ الكَبِيرَةِ.

وإِنْشَاءُ فِهْرَسٍ تَحْلِيلِيٍّ لِلْمَادَّةِ الرِّوَائِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا عُلَمَاءُ الحِلَّةِ فِي بِنَاءِ نَظَرِيَّتِهِمُ العِرْفَانِيَّةِ، لِتَحْدِيدِ مَدَى اعْتِمَادِهِمْ عَلَى أُصُولٍ مُحَدَّدَةٍ (كَأُصُولِ الكَافِي أَوْ بَصَائِرِ الدَّرَجَاتِ وَغَيْرِهِمَا) فِي هَذَا البَابِ.

الهوامش

(١) كلمة الغُنُوصيِّ هي صفة (منسوبة) تُشير إلى الفرد الَذي يعتنق أو يتبع الغُنُوصِيَّةَ (Gnosticism)، والكلمةُ مشتقة من الكلمة اليونانية «غنوسيس» ، وتعني: المعرفة أو العرفان.

معنى المصطلح العقائدي/ الفلسفي:

الغُنُوصيُّ هو الشخص الذي يؤمن بـ:المعرفة الباطنية (الغنوص): الاعتقاد بأن الخلاص أو التحرر من العالم المادي لا يأتي عن طريق الإيمان أو الأعمال فقط، بل من خلال معرفة روحية شخصية، سريَّة، وباطنيَّة (كشفيَّة أو إشراقيَّة أو حدسيَّة).

ثنائية العالم: غالباً ما يؤمن الغنوصيون بأنَّ العالم المادي (الذي نعيش فيه) هو عالم شرير أو مشوه، خلقه إله أدنى (يُدعى «الديميورغوس» في بعض الأحيان)، بينما الإله الحقيقي هو إله الخير والنور الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عبر المعرفة (الغنوص).

الخلاص بالمعرفة: هدف الغنوصي هو الحصول على هذه المعرفة الباطنية؛ لتمكين روحه من التحرّر من سجن الجسد والعالم المادي، والعودة إلى العالم الروحي.

فالغُنُوصيُّ هو المُغَترِفُ أو العَارِفُ (بمعنى الباطني أو الإشراقي)، وهو فرد ينتمي إلى تيار فكري/ ديني ظهر في القرون الميلادية الأولى (خاصَّة بين الطَّوائف اليهوديَّة والمسيحيَّة المبكرة)، وركز على المعرفة الذاتيَّة السريَّة كطريق وحيد للخلاص.

في السياق الإسلامي: قد يُستخدم هذا المصطلح أحياناً لوصف بعض التيارات الباطنيَّة أو المتصوّفة التي تعتقد بوجود تأويلات خفيَّة للنصوص وأنَّ الحكماء هم وحدهم من يصلون إلى ما وراء الظواهر.

(٢) موسوعة طبقات الفقهاء ٦/ ٢٤٦.

(٣) شرح الإشارات والتنبيهات ١/ ١.

(٤) لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، ٩/ ٢٣٦ (عرف).

(٥) القيصري، شرف الدين محمود، رسائل القيصري، رسالة التوحيد والنبوة والولاية، ص ٧، نقلاً عن: حسيني، السيد قوام الدين، العرفان الإسلامي، المركز الدراسات والتحقيقات الإسلامي، قم، ص ١٩.

(٦) مبادئ العرفان النظري، ص ٨.

(٧) مرتضى، مطهري، العرفان، ص ٢٢.

(٨) العرفان، ص ١٤.

(٩) شرح الإشارات والتنبيهات ١/ ١.

(١٠) الإقبال بصالح الأعمال، السيد ابن طاووس (المقدمة)، و كشف المحجة لثمرة المهجة،١/ ١٠.

(١١) الكنى والألقاب، ١/ ٤٣٣.

(١٢) منهاج الكرامة ١/ ٥٩.

(١٣) ٤٢٠،٤٠٠ جامع الأسرار و منبع الأنوار.

(١٤) جامع الأسرار ومنبع الأنوار/ ٤٧٢.

(١٥) راجع: الإشارات والتنبيهات ٣/ ٣٦٩

(١٦) نهج الحق وكشف الصدق، ص٥٧.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) منهاج الكرامة ١/ ٥٩.

(١٩) أعيان الشيعة ٩/ ٤١٦

(٢٠) شرح الاشارات و التنبيهات ٣/ ٣٦٣.

(٢١) المصدر نفسه، ٤،/ ٩٧ – ٩٨.

(٢٢) بحار الأنوار/ رقم الحديث ٥١٨٨٥٨، ٧٤/ ١٦٤.

(٢٣) المصدر نفسه/ رقم الحديث ٢٣٤٦١٩، ٢٥/ ٢٠٥.

(٢٤) أعيان الشيعة ١٠/ ١٩٧.

(٢٥) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، ٥/ ٢٥٤.

(٢٦) رقم الحديث ٢٢١٥٢٧، بحار الأنوار ٢/ ٣٢.

(٢٧) شرح نهج البلاغة ٥/ ٢٥٤.

(٢٨) المصدر نفسه ٤/ ٥٣.

(٢٩) المصدر نفسه ٢/ ١٣٢.

(٣٠) الكنى والألقاب، ١/ ٤٣٣.

(٣١) أعيان الشيعة، ٨/ ٣٥٨.

(٣٢) الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية/ ج ١،ص٥٤٢.

(٣٣) بحار الأنوار ١/ ١٢.

(٣٤) وصفه العلامة الحلي في «منهاج الصلاح» بأنه «أعبد من رأيناه من أهل زمانه».

(٣٥) وصفه السيد ابن عنبة في «عمدة الطالب» بأنه «السيّد الزاهد».

(٣٦) كشف المحجة لثمرة المهجة، ١/ ١٠.

(٣٧) المصدر نفسه ١/ ١٠.

(٣٨) أعيان الشيعة، ٣/ ١٤٧.

(٣٩) أعيان الشيعة، ٣/ ١٤٧.

(٤٠) المهذب البارع في شرح المختصر النافع ١/ ٦.

(٤١) أعيان الشيعة، ٣/ ١٤٧.

(٤٢) المصدر نفسه.

(٤٣) المصدر نفسه.

(٤٤) المصدر نفسه، ٦/ ٢٧١.

(٤٥) تفسير المحيط الأعظم، الآملي، حيدر، ١/ ٤٧.

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) أعيان الشيعة ٦/ ٢٧٢.

(٤٨) معرفة الله ٣/ ٢٠.

(٤٩) أعيان الشيعة ٦/ ٢٧٣.

(٥٠) المصدر نفسه ٦/ ٢٧٣.

(٥١) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ص٦٩-٩٠، ونص النّصوص في شرح فصوص الحكم، (الكتاب بأكمله شرح لوحدة الوجود وتجلياته)

(٥٢) جامع الأسرار ومنبع الأنوار، ٢٢٣/ ٢٤٠.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٤٠٠/ ٤٢٠، و: المحيط الأعظم والبحر الخضم في تفسير القرآن الأعظم. يعرض هذا المفهوم في تفسير الآيات المتعلقة بالولاية.

(٥٤) كوربين، سيد حيدر آملي؛ متألّه شيعي عالَم تصوف ، ص ١٤٠.

(٥٥) المصدر نفسه.

(٥٦) العرفان الشيعي.

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) المصدر نفسه.

(٥٩) المصدر نفسه.

(٦٠) الحديث والرجال والتراجم ٨/ ١٥٩. أعيان الشيعة ٨/ ٣٠٩.

(٦١) أعيان الشيعة ٧/ ٣٠٩، ٤٤٨.

(٦٢) الكنى والألقاب ٣/ : ٢٥٣

(٦٣) المصدر نفسه، ٣/ ٢٥٣

(٦٤) المصدر نفسه.

(٦٥) الحديث والرجال والتراجم، ٨/ ١٥٩.

(٦٦) الحديث والرجال والتراجم ٨/ ١٥٩.

(٦٧) في مباحث التَّوحيد و العدل، وخاصة عند شرح مسألة الفيض وكيفيَّة صدور الكثرةِ عن الواحدِ، تجدُ ذلك في الحواشيِّ على شرحهِ تجريد العقائد، (للطوسي)

(٦٨) المصدر نفسه.

(٦٩) تجد دفاعه عن المعرفة الذوقية وقبول الكشف مصدرًا للمعرفة في المسائل العويصة مقدمة الكتاب، وفي شرح مباحث الوجود والماهية، ومبحث الصفات الإلهية.

(٧٠) تجد محاولته التوفيق بين منطق البرهان (الفلسفة) ومنطق الشهود (العرفان) في نمط الإشارات والتنبيهات الرابع (في الوهم) والنمط العاشر (في مقامات العارفين)، حيث يبدأ ابن سينا الحديث عن العرفان والسلوك.

المصادرُ والمراجعُ

١. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (ت ١٣٧١) تحقيق وتخريج: حسن الأمين.

٢. الاشارات والتنبيهات، الحسين بن علي ابن سينا، شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا، مؤسسة النعمان، ١٩٩٢م.

٣. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، المكتبة النجفية، ٢٠٢٣م.

٤. تلخيص المرام في معرفة الأحكام: الحسن بن يوسف بن علي المطّهر [العلّامة الحلّي]، تحقيق هادي القبيسي، مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، ط ١، ١٤٢١ هـ.

٥. جامع الأسرار ومنبع الأنوار في رسالة نقد النقود في معرفة الوجود، السيد حيدر الآملي، طهران، شركة المنشورات العلمية والثقافية، ٢٠٠٢م.

٦. جامع الأسرار ومنبع الأنوار، السيد حيدر الآملي، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٧. شرح الاشارات والتنبيهات: للمحقق الخواجة نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢هـ)، نشر البلاغة، قم المقدسة، ١٣٧٥ هـ ش.

٨. شرح نهج البلاغة: العلامة كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩ أو ٦٩٩هـ)، دار الحبيب، ١٤٣٠هـ.

٩. العرفان الإسلامي: السيد قوام الدين، الحسيني، مركز الدراسات والتحقيقات الإسلامي، قم.

١٠. العرفان، مرتضى، مطهري، بيروت، دار المحجّة البيضاء، ط ١، ١٩٩٢م.

١١. الفوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية، الشيخ عباس القمي، ترجمة وتحقيق ناصر باقري بيدهندي، قم، نشر بوستان كتاب، ١٣٨٥ هـ ش.

١٢. كشف المحجة لثمرة المهجة: ابن طاووس، علي بن موسى، تحقيق وتصحيح حسون، محمد، بوستان كتاب، قم، ١٣٧٥ ش.

١٣. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، تقديم: محمد هادي الأميني، طهران، مكتبة الصدر.

١٤. كوربين، هنري، سيد حيدر آملى؛ متألّه شيعي عالم تصوف، ترجمة: ع. روح بخشان، في: محمد كريمى زنجانى اصل، عرفان شيعى به روايت سيد حيدر آملى

(بالفارسية)، طهران: اطلاعات، ١٣٨٥ ش.
١٥. لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٦. مبادئ العرفان النظري، رحيميان، سعيد، طهران: مؤسسة سمت، ط ٤، ١٣٨٨هـ.
١٧. معرفة الله، محمد الحسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٩٩٩م.
١٨. منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، الحسن بن يوسف بن المطهر (العلّامة الحلّيّ)، تحقيق عبد الرحيم مبارك، مشهد المقدسة، مؤسسة عاشوراء للتحقيق والدراسات الإسلامية، ١٤٢١هـ.
١٩. المهذب البارع في شرح المختصر النافع: جمال الدين، أحمد بن محمد الأسدي، تحقيق: مجتبى عراقي، دفتر انتشارات إسلامي، وجامعة المدرسين الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٧ هـ ق.
٢٠. موسوعة طبقات الفقهاء: اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.
٢١. نص النصوص في شرح الفصوص: السيد حيدر الآملي، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٨م.
٢٢. نكت النهاية: المحقق الحلّي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٢هـ.
٢٣. نهج الحّق وكشف الصدق: العلّامة حسن بن يوسف بن مطهر الحلّيّ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

الأَميرُ عَبدُ الله الفَارِس الحَسَنيُّ

حَيَاتُهُ، ومَرقَدُهُ في الحِلّةِ الفَيحَاءِ

حيدر شاكر محمود الجد

النجف الأشرف

haideraljid42@gmail.com

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v11i29.423

الملخص

بيّن البحث نسب إجداده الممتد إلى الإمام الحسن عليه السلام وبيّن بعضاً من سيرتهم بصورة مقتضبة، كما ذكر جانباً من سيرة اخوته ممن تولوا شرافة مكة بعد أبيهم.

لقد تميز السيد عبد الله بالشجاعة والقوة حتى لقب بالفارس، وقد أثنى عليه النسابة ابن عنبة في كتاب عمدة الطالب وذكر جانباً من حياته، كما ذكره المؤرخ ابن الفوطي في معجم الآداب، والنسابة المؤرخ ابن الطقطقي الطباطبائي في كتابه الأصيلي.

عاش السيد الفارس في الحلة مبسوط اليد، كريم المقام، عريض الجاه، حيث بذل له السلطان المغولي محمود غازان بعض الاقطاعات الزراعية لكي يعيش منها، فكان يغدق على قاصديه بما تجود به يده، ولكن المؤرخ ابن الطقطقي انتقده لبعض مواقفه وقد تكفل البحث في رد تلك الانتقادات المزعومة بما توفرت من معلومات موثقة الجانب عن السيد.

الكلماتُ المفتاحيَّة:

عبد الله الفارس، مكة المكرمة، الحلة، أبو نُمي، محمود غازان.

Amir Abd Allah al-Faris al-Hasani: His Life and Tomb in the Flourishing City of Hilla

Haydar Shakir Mahmud al-Jadd
Najaf al-Ashraf
Haideraljid42@gmail.com

Abstract

This study traces the lineage of Sayyid Abd Allah al-Faris al-Hasani through his ancestors back to Imam Hasan, and provides a brief account of their lives. It also examines aspects of the biographies of his brothers, some of whom assumed the Sharafah of Mecca after their father.

Sayyid Abd Allah was distinguished by his courage and physical strength, earning him the epithet al-Faris (the Knight). The genealogist Ibn ʿInabah praised him in his work ʿUmdat al-Talib and provided an account of aspects of his life. He was also mentioned by the historian Ibn al-Fuwati in Muʿjam al-Adab, as well as by the genealogist and historian Ibn al-Tiqtaqa al-Tabatabâi in his work al-Asili.

Sayyid al-Faris lived in Hilla in considerable prosperity, enjoying a generous status and considerable social standing. The Mongol Sultan Mahmud Ghazan granted him a number of agricultural land grants (iqtaʿs) from which he could derive his livelihood. He was known for his generosity toward those who came to seek his assistance, giving freely from what he possessed. However, the historian Ibn al-Tiqtaqa criticized him for some of his positions and actions. This study addresses these alleged criticisms by examining and responding to them in light of the documented information available concerning Sayyid Abd Allah.

Keywords:

Abd Allah al-Faris, Mecca, Hilla, Abu Numayy, Mahmud Ghazan.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أَشرف الأَنبياءِ والمرسلينَ حَبيبِ إلهِ العَالمينَ، أَبي القاسم محمَّدﷺ، وبعد:

وقد ندب أئمَّة أَهل البيت محبيهم إلى زيارة مراقدهم وتعاهد مزاراتهم، فهم يأنسون بهم بعد مماتهم كما في حياتهم ،كما ندبوا لزيارة بني أَبي طالب عمومًا، فهم زرع هاشم وبذار عبد المطلب، وذرية أَبي طالب، وصُلْبِ عليٍّ عليه السلام خصوصًا من نال الشرف الأعلى بانتسابه إلى الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء، فهم اتصلوا بأَكرم خلق الله من جهة الأمِّ، كما اتصلوا بشيخ بني هاشم وزعيمهم الموحد الكبير أَبي طالب (رضوان الله عليه)، لذا سارت الأَقدام وسعت إلى تلك المراقد الشريفة والرحاب المنيفة حبًّا برسول الله ووصيه وابنته وريحانتيه، فلم يُثْنَ العزم ولم تلن الهمة في أَقسى الظروف وأَحرج المواقف.

نسبه:

هو الأمير عبد الله ابن شريف مكة أَبي نُمي الأول محمد بن الشريف أَبي سعد الحسن ابن الشريف أَبي الحسن علي ابن الشريف أَبو عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد ثعلب بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضا بن موسى الجون الأَوّل بن عبد الله المحض الكامل بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب عليه السلام.

وهو كما ترى يلتقي بالإمام الحسن عليه السلام من خلال ثماني عشرة واسطة من آبائه الكرام.

أَجداده:

وهم:

١- أَبو محمد الحسن بن علي عليه السلام: هو أَوّل سبطي النَّبي الأَكرم، وثاني الأَئمَّة الكرام، وثالث أَصحاب آية الإطعام، ورابع أَصحاب الكساء، وخامس الخلفاء على قول باقي المذاهب الإسلامية، ولد في النصف من شهر رمضان سنة ٢ هجرية، استشهد مسمومًا سنة ٥٠ هجرية[١]، وحُمِلَ إلى البقيع ودُفِنَ فيه، وقد خلَّفَ عددًا من الأَولاد ولكن عقبه امتد في اثنين منهم: زيد والحسن المثنى.

٢- الحسن المثنى: ولد سنة ٣٧ هـ على رواية وقيل: سنة ٤٢ هـ، وأُمُّه خولة بنت منظور الفزارية، وكان سيد بني هاشم في عصره وقد عاش مع أَبيه الحسن مدة، وبعد وفاته لازم عمه الحسين، وصاهره على ابنته السيدة فاطمة وقد حضر مع عمه في كربلاء، وأَبلى بلاءً حسنًا، إلَّا أنه جرح وارتث، ولَّما جاء عمر بن سعد يتفقد مَن قتل مع الحسين وجد في الحسن المثنى رمقًا، فأرادوا قطع رأسه، فقال أَسماء بن خارجة الفزاري: لا يقطع رأسه حتى يرى الأَمير - ويعني عبيد الله بن زياد- رأيه فيه، فتركوهُ، ولَّما جيء بالسبايا إلى الكوفة تشفَّع فيه أَسماء فقال ابن زياد: دعوا لأَبي حسان ابن أُخته، فعاش ستة أَشهر في الكوفة وعالجه أَسماء، ولما شفي من جراحه التحق بالمدينة المنورة، وعاش فيها، وكان يشبه بجده رسول الله.

كان سيدًا شريفًا رئيسًا، جليل القدر، رفيع المنزلة، وقد دس إليه الوليد بن عبد الملك السم سنة ٩٧هـ، فمات إثر ذلك وحمل على الرقاب ودفن في البقيع[٢].

٣- عبد الله المَحض: ولد سنة ٧٥هـ بالمدينة المنورة وقد لقب بالمحض؛ لأَنَّ

أَباه ابن الحسن وأُمُّه بنت الحسين، وكان من أَشبه الناس برسول الله وكان شيخ بني هاشم في زمانه[٣]، وقال بعض النسابين :(أَنَّه أَوّل من جمع ولادة الحسن والحسين من الحسنيَّة)، والإمام محمد الباقر هو أَول من جمعهما من أَبناء الحسين، لأَنَّ أَباه علي السجاد ابن الإمام الحسين، وأُمّه فاطمة بنت الإمام الحسن، وقد روى عبد الله المحض أو يلقب بالكامل عن إمه السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عن عمتها السيدة زينب عن أمها سيدة النساء فاطمة الزهراء خطبتها الكبرى.

قال بعض المؤرخين في عبد الله المحض: (كان من أَكرم الناس، وأَجمل الناس، وأفضل الناس، وأسخى الناس)[٤]، وقد بايع بنو هاشم ولده محمَّدًا ذا النفس الزكية على أَن يكون خليفة بمجرد زوال حكم الأمويين، وكان معتقدًا بذلك على الرغم من تحذير الإمام جعفر الصادق عليه السلام له، ولمَّا صارَ أمرُ الخلافة إلى بني العباس، أَصبح عبد الله المحض وولداه محمد وإبراهيم مطلوبين لأَبي جعفر المنصور، حتى قتل والديه، ثمَّ أَلقى القبض على عبد الله المحض وإخوته وأَولادهم وسيَّرهم مصفدين إلى الكوفة حتى سجنهم في الهاشمية فماتوا في سجنهم، ولم ينجُ منهم إلا عددٌ محدودٌ منهم، وكان عبد الله من أَوائل المستشهدين خنقًا بعد أَن ردم عليهم السجن سنة ١٤٥ هـ[٥]، وهناك أَقوال في تعيين مرقده، منها أَنَّه في الهاشمية على الشارع العام بين الحلة ومدينة القاسم ويدعى بمرقد الخمسة ومنها في شمال الكوفة على الطريق الجديد الذي يربط الكفل بمدينة القاسم، ويدعى بمرقد السبعة، ومنها قرب الشنافية، ويُدعى مرقد عبد الله أَبو نجم[٦]، ومنها في مدينة اليوسفية ولعل الأَوّل أَقربها للواقع، والله أعلم.

٤- موسى الجون: ولد بالمدينة المنورة حدود ١٣٠ هـ كان أَديبًا فاضلًا، وشاعرًا لبيبًا، وكان أَسود اللون فلقبته أُمّه بالجون، وكانت تُرَقِّصه وهو طفل وتقول [٧]:

إنَّك إنْ تكونَ جونًا أَفرعًا
يوشكُ أَنْ تَسودهم وتَبرَعَا

نشأ بالمدينة المنورة، وكان ثقة صالحًا طاهر النفس، وكان شاعرًا أيضًا، ولما اختفى أَخواه محمد وبراهيم، طالبه المنصور بإحضارهما فضمن له ذلك ثمَّ اختفى وعثر عليه المنصور فضربه أَلف سوط، فلما قتل أَخوه محمد ذو النفس الزكية بالمدينة، اختفى موسى الجون بين البصرة وسويقة[٨]، وقد عاش إلى عهد هارون الرشيد وكان مختفيًا بسويقة حتى مات وأقبر بها سنة ١٨٠هـ، عن خمسين سنة.

٥- عبد الله الثاني بن موسى الجون: ولد سنة ١٥٢هـ في البصرة زمن استتار والده فيها خوفًا من طلب السلطة العباسية، كنيته أَبو محمّد ولُقِّب بالرضا وبالصالح وهو أَهم أَلقابه، كان شاعرًا محدّثًا فاضلًا ناسكًا، يرى الأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر لازمًا، وكان مشهورًا بالجود ممدوحًا معمّرًا، ومن شعره[٩]:

إ ربّ العرش إن تفرج فإنّك قادرُ
جزى اللّهُ عنّا قومنا شرّ ما جزى
وإنْ تكنْ الأخرى فإنِّي صابرُ
فللّهِ للمَظلومِ كَافٍ وناصرُ

وضع عليه المأمون العباسيّ وعلى الإمام علي بن موسى الرضا العيون لمراقبتهما خوفًا من نهضتهما ضد الحكم العباسي، و بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام

دعـاه المأمـون إلى الظهور ليجعله مكانه ويبايع لـه، ووعده بعفوه عمّن عفا من أَهلـه، فأجابه عبد الله برسـالة طويلة، منها (.. فبـأي شيء تغرني؟ ما فعلته بأَبي الحسـن بالعنب الـذي أطعمته إياه فقتلتـه؟..)[١٠]، ثم خرج عـلى وجهه هارباً إلى البادية، ولم يزل عبد الله متواريًـا إلى أن مات في أيّام المتوكّل في يوم الأربعاء ليلة النصف من شـهر رمضان سـنة ٢٤٧هـ، ولما وصل خبر موت عبد الله بن موسـى إلى المتـوكّل بعـد أربع عشرة ليلة مـن يوم وفاته، وأُخـبر كذلك بموت أَحمد بن عيسـى بن زيد بن علي السجاد ففرح بوفاتهما وسُرَّ، وكان يخافهما خوفًا شـديدًا، ويحذر حركتهما، لما يعلمه من فضلهما واسـتنصار الشيعة بهما وطاعتها لهـما لو أَرادوا الخروج عليه، فلمَّا ماتَا أَمِنَ واطمأَنَّ، فما لبث بعدهما إلَّا أسـبوعًا حتّى قُتل المتوكّل، وينسب اليوم لعبد الله الصالح مزارًا في مدينة بدرة (٩٠ كم) عن الكوت[١١].

٦- موسى الثاني بن عبد الله الصالح: لم تعلم سنة ولادته، كان صالحًا راويًا للحديث[١٢]، حمله سعيد الحاجب في أيام المعتز من المدينة وكان من الزهاد العباد وكان معـه ولده إدريس فلما صار بناحية زبالة من العراق اجتمع خلقٌ كثيرٌ من العـرب مـن بني فزارة لأخذ موسـى وولده، فخلصت ولـده إدريس فقط، أما موسـى فقد دس سعيد السـم إليه فقتله، ودفن بزبالة سـنة ٢٥٦هـ[١٣]، وزبالة قرية ضمن محافظة رفحاء، تقع اليوم بالتحديد شمال المملكة العربية السعودية، ولا يعلم لموسـى قبر حاليًا فيها. أَمَّا ولده يقال لهم الموسويون الحسنيون وفيهم الأمـرة بالحجـاز، وهم كثـرة في بني الحسـن عليه السلام كما أن ذرية الإمام موسـى بن جعفر كثرة في بني الحسين عليه السلام.

٧- محمد الثائر بن موسى الثاني: لا تُعلم سنة ولادته، نشأ وتربى في حجر

والـده حافظًا للقـرآن، راويًا للأحاديث، عارفًا بعلوم التاريخ والنسـب، عاش في المـدة الواقعـة بين عام ٢٥٠هـ- ٣١٥هـ، خرج عـلى حاكم المدينة أيام المعتز العبـاسي، الذي كان خليفة (٢٥٢-٢٥٥هـ) ولقـب بالثائر لثأره على دولتهم، وقد تحقق له ولولده أمرة الحجاز[١٤].

٨- عبد الله بن محمد الثائر: ويلقب بالأكبر أَبو محمد، وهو من سادات بني الحسـن كان يسـكن في بلدة ينبع التي تعد مركزًا تاريخيًّا لبني موسـى الجون بن عبد الله المحض، ولم يسلط التاريخ شيئًا على سيرته، ولا على ولادته أو وفاته.

٩- محمـد الملقـب بـ(ثعلـب) بـن عبـد الله: وكان كوالده معروفًـا بالكرم والنجدة والشجاعة.

١٠- عبد الله بن محمد (ثعلب): وهو من أَشراف بني الحسن عليه السلام.

١١-عـلي بـن عبـد الله: ويعرف بعـلي ابن السـلمية وهو مـن أشراف بني الحسن ولم يؤرخ لولادته او وفاته.

١٢- سـليمان بن علي: وهو المكنى بأَبي عبد الله، كان من أَعيان الحسـنيين، ولم تعلم ولادته ولا وفاته.

١٣- الحسـين بن سـليمان: وفي ولده أمرة الحجاز، من عهد المستنجد بالله العبـاسي ولغاية قيام الدولة السـعودية، ومن ولده السـيد جعفر بـن أَبي البشر الضحاك بن الحسين، وهو إمام الحرم المكي.

١٤- عيسى بن الحسين: وهو من بني الحسن وقد اشتهر بالكرم والسخاء ولم تعلم ولادته ولا وفاته.

١٥- عبد الكريم بن عيسى: وهو السيد الجليل العفيف نال المجد من آبائه الكرام، وعرف بالمكارم والسؤدد والفضل ولم تعلم ولادته ولا وفاته.

١٦- مطاعـن بن عبـد الكريم: وهو غصن من الشـجرة الحسـنية الوارفة

الظل، منجب الذرية الطيبة والنسل الميمون، وهي التي عناها الشاعر بقوله:

مــن كان شــكّ فــي أَبيــه وإمّــه
فليعتقــد شــكًّا بــآلِ مطاعــنِ

١٧- إدريس بن مطاعن: والد الأسرة العلوية الحسنية الشريفة، فقد أعطاه الله البركة في نسله والكثرة في عدده، فسيادتهم واضحة وحلقات آبائهم مترابطة.

١٨- قتادة بن إدريس: هو قتادة المكنى بأَبي عزيز، ولد في ينبع سنة ٥٤٧هـ، نشأ فيها وبلغ مبلغ الرجال وكان قويًا شجاعًا وشاعرًا مجيدًا، وبفضل ذكائه تولى إمارة مكة عام ٥٩٧هـ، بعد أَن احتلَّ إمارةَ يَنبُع على ساحل البحر الأَحمر، وأَجلى عنها أُمَراءَها، ثمَّ أَراد أَن يوسع دائرة حكمه؛ لتشمل المدينة المنورة فأَرسل ابنه عزيزًا على رأس جيش لضمِّها إلى مكة سنة ٦٠١هـ، لكن أَميرها سالم بن قاسم المهنَّا الحسيني، كان أَقوى مما ظنَّ قتادة فقد حمل عليهم حتى عادوا مهزومين ثمَّ حاصرهم في مكة، فأرسل قتادة إلى من مع سالم من الأمراء ، فأَفسدهم عليه، فمالوا إلى قتادة، وحالفوه، فلمَّا رَأَى سالم ذلك رحل عنه عائدًا إلى المدينة، وعاد أَمرُ قتادة قويًا، وقد اتسع نفوذه بعد ذلك حتى بلغ حدود اليمن جنوبًا وبعض أعمال المدينة المنورة وبلاد نجد كما ذكر ابن خلدون في تاريخه[١٥].

ساءت علاقة قتادة بالخليفة العباسي في بغداد التي ناصبته العداء منذ بداية حكمه، وفي أثنا مسيرة الحج العراقي إلى مكة حدثت مُصادمات مع عسكر قتادة الذي انهال عليهم ضربًا وتقتيلًا ، إذ التجأ أَمير الحج العراقي إلى خيمة خاتون؛ أُخت الملك العادل ملك الشام، وهي يومئذٍ حاجة

فأرسلت إلى قتادة تتوعده، فكف عنهم، وطلب منهم مئة ألف دينار، وبعد ذلك ندم قتادة على فعلته، فأرسل ابنه راجحًا وجماعة من أصحابه إلى بغداد؛ ليعتذروا عمَّا حدث، فقبلت عذرهم، وما لبث الخليفة في بغداد أن أرسل إلى قتادة مالًا وهدايا، وطلبَ منه التوجه إلى بغداد، فتوقع قتادة الشر، لكنَّه قصد العراق ولما وصل إلى النجف خرج بعض أهلها لاستقباله فرأى فيهم من يمسك أسدًا وقد قيده بسلسلة في رقبته، فتطيّر وقال: لا أدخل بلادًا تُذَلُ فيها الأُسُودُ، وقَفَلَ راجعًا من حيث أتى وكتب قصيدة طويلة يعتذر من الخليفة العباسي منها:

بلادي وإنْ جارتْ عليَّ عزيزةٌ
ولو أنني اعرى بها وأجوعُ
ولي كفُّ ضُرغام أُذلُّ ببَسْطِها
وأَشري بها عِزَّ الورى وأَبيعُ
تظلُّ ملوكُ الأَرضِ تلثمُ ظهرها
وفي بطنها للمجدبينَ ربيعُ
أأَجعلها تحتَ الرَّجا ثمَّ أبتغي
خلاصًا لها إنِّي إذًا لوضيعُ
وما أنا إلَّا المِسكُ في كلِّ بقعةٍ
يضوعُ، وأما عندكم فيضيعُ

فغضب الخليفة العباسي، وكتب إليه: (أمَّا بعد....فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه؛ قابلناك بجنود لا قِبَلَ لكم بها، ولنخرجنَّكم منها أذلةً، وأنتم صَاغرونَ) ولمَّا تَسلَّم قتادة إنذاره أعدَّ جيشه، وكتب إلى بَني عمِّه آل المُهَنَّا في المدينة يحثهم على مناصرته، ومما كتبه:

بَنــي عمِّنــا مــن آلِ موســى وجعفرٍ
وآلِ حســينٍ كيــف صبرُكُــم عنّــا
بَنــي عمِّنــا إنَّــا كأفــنــانِ دوحةٍ
فــلا تتركونــا يجتنــي إلفُــنــا فنّا
إذا مــا أَخٌ أَخلـــى أَخــاه لآكلٍ
بــدا بأخيـــه الأكلَ ثم بــهِ ثنَّى!!

وأَنجزت بغداد وعيدها، وأَرسلت إليه جيوشها التي عادت منهزمة، وما لبثت أَن قنعت بقوة قتادة، وأَقامت معه علاقات وديّة، ولم يقتصر استخفاف قتادة بالخلافة في بغداد، بل تعداه إلى أَمير حلب الظاهر غياث الدين الأَيوبي، لأَنَّ علاقته بالأَيوبيين في مصر كانت جيدة(١٦).

قُتل قتادة عام ٦١٧هـ، حيث قتله ولده الحسن بن قتادة رغبة بانفراده بالحكم وسبقًا لئلَّا يوصي أَبوه أَحدَ أُخوته بالأَمر بعد موته، فحُمل قتادة ودفن بمكة في مقبرة المعلاة، وإليه تنسب القصيدة المشهورة في رثاء السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، مطلعها(١٧):

مــالِ عَيني قــد غَابَ عنهــا كَرَاها
وعَرَاهــا مِــن عَبــرَةٍ مــا عَرَاهــا

وفيها يقول:

بضعــةٌ مــن محمَّــدٍ خالفــتْ مــا
قــالَ ؟ حاشَــا مولاتنــا حاشــاها
ســمعتهُ يقــولُ ذاك وجــاءتْ
تطلــبُ الإرثَ ضِلَّــةً وسِــفَاها

هــي كانــت للّهِ أَتقَــى وكانــت
أَفضــلَ الخلــقِ عِفَّــةً ونَزاهــا
أَو تقــول: النبــيُّ قــد خالــفَ القــر
ــــلِ وســلْ مــريمَ التــي قبــل طَاها
سَــلْ بإبطــالِ قولِهــم ســورةَ النمــــ
وســليمان مــن أراد انتباهــا
فهمــا ينبئــان عــن إرثِ يحيــى
كَ وفاضــتْ بدمعِهــا مُقلَتاهــا
فدعــتْ واشــتكتْ إلــى اللّهِ من ذا
مُــصــطــفــى فــلــمْ يَــنــحــلاهــا
ثــمَّ قالــتْ : فنحلةٌ لي مــن والدي الــ
بعلُها شــاهــدٌ لــهــا وابــنــاهــا
فأَقامــتْ بهــا شــهودًا فقالــوا
ــلــهِ هــادي الأنــامِ إذْ ناصَباهــا
لم يجيــزوا شــهادةَ ابْنَي رســولِ الــ
طِــمَــةٌ عِــنــدَهُــم ولا وَلَــدَاهــا
لــم يكــنْ صادقًــا علــيٌّ ولا فــا
ــــظَ مــرارًا فبئــسَ مــا جَرَّعاهــا
جرّعاهــا مــنْ بعــدِ والدِهــا الغيــــ
ويــلٌ لمــنْ سَــنَّ ظلمَهــا وأذاهــا
بنــتُ مــنْ ؟ أمُّ مــنْ ؟ حليلــةُ مــنْ؟
لِ عــن الغاصبــينَ إذْ غَصَبَاهــا

قُـلْ لنـا أَيُّهـا المجـادلُ فـي القـو
تُ بظلـمٍ كلَّا ولا اهتضماهـا
أَهُمَـا مـا تَعَمَّدَاها كمـا قلـ ؟
ـلـهِ عنـدَ المَمَـاتِ فلـمْ يَحضَراهـا
فلمـاذا إذ جهـزتْ للقـاءِ الـ
انِ رفقًـا بهـا ومـا شـيعاها
شَـيّعَتْ نَعْشَـها ملائكةُ الرَّحمـ
لأَبيهـا النَّبـيِّ لـم يَتبعاهـا
كانَ زُهـدًا فـي أَجرِهـا أَم عِنـادًا
لا يَشـهَدا دَفنَهـا فمـا شَـهِدَاها؟
أَم لأَنَّ البَتـولَ أَوصـتْ بـأَنْ
فأطاعـتْ بنـتُ النبـيِّ أباهـا؟
أَم أَبوهـا أَسَـرَّ ذَاكَ إليهـا
فريـةٌ قـدْ بلغـتْ أقصـى مداهـا
كيفَ ما شِئْت قُلْ كفاكَ فهذي الـ
ـلـهِ ربَّ السـماءِ إذا أغضباهـا
أَغضَبَاهـا وَاغَضبَـا عنـدَ ذاك الـ
ـلـهَ يَرضَـى سـبحانُه لرضاهـا

ثم يقول:

نُـحْ بهـا أَيُّهـا الجذوعـي واعلـمْ
أَنَّ إنشـادَك الـذي أَنشـاها

لـكَ معنى فـي النّوحِ ليـس يُضاهى
وهـي تـاجٌ للشـعرِ فـي معناهـا
مظهـرًا فضلهـم بعزمـةِ نفـسٍ
بلغـتْ فـي ودادِهـم منتهاهـا
فاسـتمعها مـن شـاعرٍ علـويٍّ
حسـنيٍّ فـي فضلِـه لايُضاهـى
سـادةُ الخلـقِ قومُـهُ غيـرّ شـكٍّ
ثـمَّ بطحـاءُ مكـةَ مأواهـا

١٩- علي بن قتادة: وهو أَحد أَبناء الشريف قتادة، لم ينل شرافة حكم مكة المكرمة، بل كانت في أخيه الحسن بن قتادة، ثمَّ أَصبحت بيد أَخيه الآخر راجح بن قتادة ثمَّ أَخيه إدريس بن قتادة الذي شاركه ابن أَخيه (الحسن) في الحكم، وهو الآتي ذكره.

٢٠- الحسن بن علي: يكنى أبو سعد ولا نعلم السنة التي ولد فيها، وقد نشأ في ظل أسرة الشرفاء، ونال شرافة حكم مكة مشاركًا لعمه، ويحكى أَنَّ أَبا سعد في بعض حروبه، وظني أن تلك الحرب كانت مع الغزو- وأَتوه بجمع كثير هائل؛ فلما تراءى الصَّفان جاءته أُمّه على بعير في هودج، وأَمرت مَن استدعاه لها؛ فلما أجابها قالت له: إنّك قد وقفت موقفًا إن ظفرت فيه أَو قتلت قال الناس ظفر ابن رسول الله أَو قتل ابن رسول الله، وإن هربت قال الناس هرب ابن السوداء فانظر أَيّ الأَمرين تحبّ أَن يُقال لك؟، فقال: جزاكَ اللهُ خيرا فلقد نصحت وأَبلغت، ثم ردّها فقاتل قتالا لم يسمع بمثله حتى ظفر بعدوه، وقد قُتل سنة ٦٥١هـ على يد ابن عمه جماز بن الحسن بن قتادة[١٨].

٢١- **أَبوه**: محمد أبو نُمي بن الحسن: ولد سنة ٦١٠هـ، نشأ في ظل والده حاكم مكة، ولما كبر شارك والده الحكم وكان يلقب بـ(نجم الدين)، ثم شارك عمه إدريس بن قتادة في الحكم أيضًا.

كان في غاية النجدة ونهاية الشجاعة، وحارب العساكر المصرية فظفر بهم، وكان من الشجاعة بحيث لم يرَ مثله في عصره، وله موقِّف مع أشراف المدينة المنورة من بني الحسين كانوا سبعمائة فارس مع زعيمهم ورئيسهم الأمير عيسى الملقب بـ(الحرون) فهزمهم، وكسر شوكتهم، فرجعوا مغلوبين إلى المدينة، وفي ذلك يقول النقيب تاج الدين أَبو عبد الله جعفر بن محمد بن معية من قصيدة يمدح فيها أَبا نمي، ويذكر الواقعة حيث يقول[١٩]:

أَلَم يبلغكَ شَأنُ بَنِي حسينٍ
فيا للّه يا بن أَبي نُميٍّ
وفرّهم وما فَعَلَ الحرونُ
وبعضُ الناس يشبهه الجنونُ
يصولُ بأَربعينَ على مِئَاتٍ
وكم مِنْ كثرةٍ ظلتْ تهونُ

فلم يزل حاكمًا على الحجاز مع أَبيه الحسن ، إلى أَن أَنافَ على التسعين، إذ تُوُفِّيَ يوم الجمعة المصادف ٢/ صفر/ ٧٠١ هـ، تنازل أَبو نمي لولديه حميضة ورميثة، ثم توفي بعد يومين في الجديدة في وادي مر الظهران (وادي فاطمة) بالقرب من مكة، كانت جنازته في مكة، وعندما مات امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصي من الصلاة عليه، ولكنه رأى في منامه في تلك الليلة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي واقفة عند الكعبة والناس يسلمون عليها، فلما جاء الشيخ للسلام عليها أَعرضت عنه ثلاث مرات، وقد تحامل الشيخ فسأَلها عن سبب

إعراضها فأَجابته: يموت ولدي ولم تصل عليه! فاعتذر منها، وتاب عن مثل ذلك واعترف بالخطأ[٢٠].

ثمَّ حُمل أَبو نمي ودُفن في مقبرة المعلاة بالقرب من قبة قبر والده أَبو سعد وجدّه قتادة، وبُنيت قبة فوق قبره.

أخوته:

وهو ثامن الأخوة الذين ينتسبونَ إلى أَبي نمي الأَول وقد قيل إنَّ لأَبي نمي الأَول ٣٠ ولـدًا لكن المثبتين في المصادر هم تسعة منهم عبد الله الفارس، وأما الباقون فهم:

١- أَبو الغوث (الغيث) بن أَبي نمي محمد الحسني المكي، عماد الدين، أمير مكة، ولي إمرتها سنة ٧٠١ هـ شريكا لأخيه، ثم عزل في الموسم سنة ٧٠٤ هـ بأخويه رميثة وحميضة، ثم ولي سنة ٧١٣ هـ، فلما علم به أَخواه هربا، فسار إليهما في سنة ٧١٤ هـ، فانهزم أَبو الغوث وقُتل سنة ٧١٥ هـ[٢١].

٢- حميضة: وهو الجد الأَعلى للسادة المنتشرين اليوم بالعراق: آل الحبّوبي وآل زيني وآل العطّار وآل عطيفة، حميضة بن أَبي نمي محمد الحسني المكي، الملقب عزّ الدين أَمير مكة، ولي إمرة مكة إحدى عشرة سنةٍ ونصف، في أَربع مرات، منها مرتان شريكًا لأَخيه رميثة. قتل في سنة ٧٢٠ هـ[٢٢]، وعن بطولته يحكى عن السيد طالب الدلقندي أَنَّه قال: ما زلت أَسمع بحملات علي بن أَبي طالب عليه السلام حتى رأيتها من السيد حميضة معاينة[٢٣].

٣- رميثة: رميثة بن أَبي نمي محمد الحسني المكي، الملقب بأَسد الدين، أَمير مكة، ولي إمرة مكة ثلاثين سنة في سبع مرات، منها مرتان شريكًا لأخيه حميضة، مات في سنة ٧٤٦ هـ، وهو جد ملوك الحجاز والأَردن والعراق[٢٤].

٤- عطيفة: عطيفة بن أَبي نمي محمَّد الحسني المكي، يلقب بأَسد الدين، أَمير مكة نحو خمس عشرة سنة، مات محبوسًا بالقاهرة سنة ٧٤٣ هـ[٢٥].

٥- زيد[٢٦]: تزوج والده أَبي نمي الأول حاكم الحجاز آنذاك من ابنة ملك البجة أو البجا - وهي قبائل بدوية بمنطقة سواكن[٢٧] بالسودان-، وقد أَولدها زيدًا هذا الذي عُرف بابن السواكنية، وقد تولى الشريف زيد حكم سواكن، كما ذكر ابن بطوطة عند ما وصل إلى سواكن حيث قال: (إنَّ سلطانها الشريف زيد بن أَبي نمي)[٢٨]، وفي معجم الآداب قال ابن الفوطي: (هو عز الدين أَبو الحارث زيد بن محمد جمال الدين أَبي نمي بن أَبي سعد العلوي الحسني المكي الأَمير، قصد حضرة السلطان الأَعظم محمود غازان بن أرغون فأَكرمه ووصله بأَموال جزيلة وصلات جليلة وأَقطعه ضيعة سنية بالحلة السيفية، وكان حسن الأخلاق، حيي الطرف، حضر عندنا بخزانة الكتب بالمدرسة المستنصرية وصنف له شيخنا فخر الدين علي بن محمد بن الأَعرج الحسيني كتاب جوهر القلادة في نسب بني قتادة سنة ٦٩٩ هـ ومدحه مع الكتاب بأَبيات منها:

وزادهم شرفًا زيدٌ بعارفةٍ
تنهل من كفِّهِ كالعَارضِ الهَتِنِ
الباسمُ الثَّغرِ والأَبطالُ عابسةٌ
عارٌ من العارِ رَحبُ الصَّدرِ والعَطنِ

وبناءً على ذلك فربَّما يكون زيد بن أَبي نمي قد رافق أَخوه عبد الله الفارس في رحلته إلى العراق والتقى أَيضًا بالسلطان محمود غازان وربما سكنا سويَّة إلَّا أَنَّ زيدًا دُفن في النجف بعد موته، عند جده أَمير المؤمنين عليه السلام، بينما عبد الله دفن بالحلة والله أَعلم).

٦- سيف: وهو أَصغر أَولاده وآخر من بقي من ولد أَبيه، أَدرك أَولاد أَولاد أَولاد أَولاد بعض اخوته وله عقب، منهم أَحمد بن سيف المذكور وهو الآن بخراسان، وأمّه بنت علي بن مالك الهاشمي الحسني أُخت الشريف مبارك بن سيف بن علي.

٧- شميلة: وأَما شميلة بن أَبي نمي[٢٩]، فكان شاعرًا فارسًا نجيبًا، مات سنة ٧٨٣هـ، ومن شعره ما أَنشدنه أَخوه عز الدين زيد الثاني عند وروده العراق من الحجاز في سنة ٦٩٨هـ من قصيدة في تسعين بيتًا أَولها:

ليس التعللُ بالآمالِ من شيمي
ولا القنوعُ بأَدنى العيشِ من هممي
ولستُ بالرجلِ الراضي بمنزلةٍ
مالم أَطَأَ الفلكَ الدوارَ بالقدمِ
ميتا وأَبيض العرض من عارٍ ومن دنسٍ
عفّ الإزارِ عن الفحشاءِ والاثمِ

ومنها يصف بعض أَصحابه:

ولا يبالونَ أَن أَعراضَهم سمت
في النَّائباتِ بهزلِ الشاءِ والنعمِ

سيرته:

لُقِّبَ عبدُ الله بـ(عضد الدين)، كما لُقّبَ بـ(الفارس) لأَنَّه كان بطلًا شجاعًا لا يهاب الأَعداء ولا يخاف الشجعان، فقد شبّ في بيئة عربية بدوية وكانت البطولة احدى أَهمِّ مميزاتها، فكيف به وقد افترع غصنه من الشجرة الهاشمية، فهذا النبي الأكرم يقول: لله در عمي أَبي طالب لو ولد الناس كلهم لكانوا شجعانًا، ولنا في التاريخ أَمثلة وشواهد فهذه واقعة كربلاء كم أفرزت لنا من

صور رائعة كان الهاشميون الركن الأَساس فيها، وهذا زيد بن علي كيف أَبلى بلاءً حسنًا في جهاده، وهكذا توالت الصور حتى أَنَّك لترى الشجاعة تتجسد في كل صورة لكل علويٍّ يواجه الخصوم والأَعداء.

قال ابن عنبة: «هو البطل الشجاع، غضب عليه أَبوه فأَرسله الى بعض بلاد اليمن، وأَمر حاكمها أَن يحصره في دار ولا يمكنه من الخروج، ففعل ذلك، وكان يكرمه ويزورهُ، ويقوم بكلِّ ما يحتاج اليه، ولكنّه لا يمكنه من الخروج، وكان قد اتخذ له بابًا عليه شباك من حديد يجلس خلفه وينظر الى الطريق، فقبض عليه ذات ليلة واجتذبَهُ فقلعه، وخرج من الدار، فاحتال حاكم البلد حتى ردّه ثمَّ راسل أَباه بما كان منه، وأخبره أَنَّه يخاف منه، وطلب العفو من القبض عليه، فاستدعاه أَبوه ثمَّ جهّزه إلى العراق، وأَطلق له أَوقافَ مكَّة بها، فورد العراق، وتوجه الى السلطان غازان بن أرغون فأجلّه إجلالًا عظيمًا؛ وأَنعم عليه و أَقطعه إقطاعًا نفيسًا بولاية الحلة بالصدرين منه – موضع يقال له الزاوية فيه عدّة قرى جليلة – وأقام الشريف بالحلَّة عريض الجاه نافذ الأَمر الى أَن مات»[٣٠].

نلمس في النص السابق حدثين مهمَّين في حياة السيد عبد الله الفارس:

الأول: تسفيرُهُ من قبل والده أَبي نمي إلى اليمن: ولانعرف السبب الذي دعا والده لأَنَّه يغضب عليه، ربما بسبب فتوته أَيام شبابه وزهوه بين أَقرانه فكانت شجاعته وبطولته مدعاة لقلق والده عليه من تصرفات الشباب الأَمر الذي دفع والده لإرساله إلى اليمن، ولكن لم نعرف إلى أَي بلدة من اليمن أَرسله؟ هل أَرسله إلى صنعاء وكان حاكمها الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الغساني، وهو ثاني ملوك الدولة الرسولية في اليمن وقد توفي سنة ٦٩٧هـ في مدينة تعز اليمنية، وقد يكون أَرسله والده إلى مدينة صِعدَة وقد كان حاكمها الإمام الزيدي المتوكل على الله المطهر بن يحيى المتوفَّى سنة

٦٩٧هـ، والمدفون في مدينة حُجَّة اليمنيَّة، عمومًا فقد سُـفّر الفارس إلى اليمن في بدايات ٦٩٣هـ، وخضع للإقامة الإجبارية تحت مراقبة عيون الحاكم ولكنه لم يتحمـل تلـك الإقامة، وهو الأَمير الفارس والشـاب الطموح الذي عاش في بيئة الملوك والأمراء فما كان منه إلَّا أَن يخلع الشـباك المطل على الشـارع ويهرب من عين الحاكم، فانزعج الحاكم من ذلك وأَمر رجاله بالبحث عن الفارس إلى أن وجدوه وجاؤوا به إلى الحاكم فلم يرَ بُدًّا من ترحيله إلى والده لكي لا يعاود الكَرَّةَ ويهرب ولكي لا تقع عليه الملامة بالتقصير إنْ جرى للفارس أَمر مكروه.

الثاني: تسفيره إلى العراق: لَمَّا رأَى أَبو نمي ولده بهذه القوة وإنَّ حاكم تلك المدينـة اليمنيـة لم يتمكن من كبح جماحـه وتحديد حركته، قرر إرسـاله إلى جهة أخـرى، وهـي العراق وخاصةً إلى مدينـة الحلة دون غيرها من المـدن العراقية، رغم وجود النجف الأَشرف وكربلاء المقدسـة اللتين لهـما ثقلهما وإليهما يقصد الملـوك والأعيـان قبل غيرهمـا لوجود مرقد الإمـام علي بـن أَبي طالب والإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وأعتقد ذلك للأَسباب الآتية:

أ- وجود أَوقاف مكيّة في العراق، وبالأَخص الحلَّة تؤمِّنُ لعبد الله الفارس متطلباته أَوَّلًا، وأَن يكون مشرفًا عليها مباشرةً دون الوكلاء.

ب- إبعاده عن اخوته الأَربعة (أبو الغيث ورميثة وحميضة وعطيفة) الذين لم ينفكـوا عن التناحر بينهم حول تولي شرافـة مكَّة المكرَّمة وحكمها بعد موت أَبيهم، خوفًا عليه من الفتك والغدر.

ج- ورود أَخبار لأَبي نمي من العراق تخبره عن إحسـان السـلطان الجديد محمـود غـازان للعلويين خلال قدومه للعـراق وبما أَنَّ ولده مـن العلويين أَولًا ومـن ذريـة شرفاء مكَّة فهذا الأَمرُ سـيجعل ولده موضع عناية عند السـلطان،

وهذا ما سنلاحظه فيما يلي من الكلام.

د- اكتظاظ الحلة بالأسر العلمية الشيعية المخلصة التي تكن للعلويين احترامًا وتبجيلًا مما يجعل لعبد الله الفارس منزلة خاصة في نفوسهم وهذا ما تحقق بالفعل كما سنبينه لاحقًا.

قال ابن عنبة في عمدة الطالب[٣١]: « أَنَّه رحلَ إلى العراق، وتوجَّه الى السلطان غازان بن أرغون فأَجلّه إجلالًا عظيمًا، وأَنعم عليه وأقطعه إقطاعا نفيسًا بولاية الحلة، بالصدرين منه موضع يقال له الزاوية فيه عدّة قرى جليلة، وأَقام الشريف بالحلة عريض الجاه، نافذ الأَمر الى أَن مات»[٣٢].

أَمَّا ابن الطقطقي فقد ذكر: «وأَمَّا عبد الله عضد الدين بن أَبي نمي فقد ورد العراق سنة..... وقصد حضرة لسلطان العصر- ثبّت الله دولته، فأَنعم عليه بالمهاجرية ضيعة جليلة بأَعمال الحلة» [٣٣]، في حين ذكر السيد أَحمد بن محمد العلوي الحسيني في كتابه المخطوط الدرّ الثَّمين في أَنساب الطالبيين ما نصه: (وأَمَّا عبد الله ابن أَبي نمي فهو من ناقلة مكَّة شرفها تعالى إلى العراق في زمن السلطان خدابنده محمَّد فأَقطعه نهر..... بالصدرين وأُمُّه أُم ولد نوبية).

ولنا وقفة مع الأَقوال المتقدمة.

أولًا: ذكر ابن عنبة (توفي سنة ٨٢٨هـ) قدوم السيد الفارس في عهد السلطان محمود غازان، وهو سابع سلاطين الدولة الإيلخانية، التي أسسها هولاكو الذي أسقط حكم الدولة العباسية سنة ٦٥٦هـ، فهو محمود غازان بن آرغون بن آباقا بن هولاكو بن توليخان بن جنكيز خان، حيث ولد غازان سنة ٦٧٠هـ في مازندران وتوفي سنة ٧٠٣هـ ودفن في قزوين ، وكانت عاصمة ملكه في البداية خراسان ثم تبريز الواقعة في شمال إيران، وقد شبَّ غازان

مسيحيًا بعد أن كان سلفه على الديانة البوذية، ثمَّ اعتنق الإسلام سنة ٦٩٤هـ وأَعلن أَنَّ دين الدولة الرَّسمي هو الإسلام، وإثر ذلك غيَّر اسمه إلى محمود، وقد سجل عام ٦٩٥هـ بداية الحكم الفعلي لغازان[٣٤].

ذكر المؤرخ يوسف كركوش الحلِّي: «في سنة ٦٩٦هـ جاء السلطان غازان إلى العراق وتوجه إلى الحلة وقصد مشهد الإمام علي عليه السلام، وأَمر هناك بمال كثير، ثمَّ قصد مشهد الإمام الحسين عليه السلام وفعل مثل ذلك، وعاد إلى الحلة، وقوسان متصيدًا ثم عاد إلى بلاد الجبل،....، وفي سنة ٦٩٨هـ جاء السلطان غازان إلى العراق وتوجه إلى الحلة لزيارة المشاهد الشريفة، وأَمر للعلويين بمالٍ كثيرٍ ثمَّ أَمر بحفر نهرٍ بأَعالي الحلة فحُفر وسُمِّي النهر بالغازاني»[٣٥].

معنى ذلك إنَّ أَبا نمي شريف مكة علم إنَّ السلطان غازان سيأتي إلى العراق ويقصد الحلة بالذات فهيأ الوسيلة لكي يتزامن وصول ولده عبد الله الفارس إلى الحلة مع وجود السلطان غازان لكي ينتفع من لقائه ويحقق أَبو نمي الهدف من إرسال ولده إلى الحلة، وعلى هذا يكون اللقاء قد تمَّ فعلًا إما سنة ٦٩٦هـ في رحلة غازان الأولى إلى الحلة أَو سنة ٦٩٨هـ في رحلته الثانية.

ومهما يكن من أَمر فقد أَثمر لقاء الفارس بالسلطان غازان، أَنَّ السلطان أَكرمه وبذل له وأَعطاه أَراضٍ زراعية واسعة جعلته في مأمنٍ من الطلب وذو جاه عريض تقصده الناس فيغدق عليها.

أَمَّا المؤرخ ابن الطقطقي فقد أَيَّدَ ابن عنبة فيما ذكره، لكنه اختلف معه في اسم الضيعة التي أَعطاها له، فابن عنبة يقول: في الصدرين منه موضع يقال له الزاوية، فيه عدّة قرى جليلة، في حين ذكر ابن الطقطقي: فأَنعم عليه بالمهاجرية[٣٦] ضيعة جليلة بأَعمال الحلة فهل ضيعة المهاجرية هي نفسها

الزاويـة بالصدريـن؟ أَم أَنَّها جـزء منها الزاوية، أَم في مكان غـير الزاوية؟ وهل أَنَّ الأَرض التي دفن فيها السـيد الفارس وهي موقع مزاره اليوم كانت إحدى هاتين الضيعتين أَم أَنَّه مكان سـكناه داخل مدينة الحلة وضياعه خارجها؟،علمًا أن المكان المدفون فيه السيد الفارس وكما سنذكره كان يسمى بساتين الجامعين، والجامعين إحدى أَقدم محلات الحلة الفيحاء، وربما تكون المهاجرية التي ذكرها ابن الطقطقي هي عينها بسـاتين الجامعين، علمًا أَنَّ هذه المنطقة كان يطلق عليها قبل تمصير الحلة سنة ٤٩٥ هـ بقرية (بغلة) وكانت مأهولة ثم بعد تأسيس الحلة أَصبحت جزءًا من الحلة.

أَمـا مـا قاله السـيد أَحمـد العلوي الحسـيني بخصـوص قدوم السـيد زمن خدابنـده محمَّـد فقد ذكرنا أَنَّه قدم في زمن السـلطان غـازان محمود الأَخ الأَكبر لخدابنده ولكنَّ السيد الفارس عاصر السلطان خدابنده بعد أَن توفي أَخوه سنة ٧٠١هـ، والظاهر أَنَّ السـيد الفارس التقى بالسلطان الجديد خدابنده وقد أَقره على مكانته جريًا على ما قام به أَخوه السلطان محمود غازان.

دفع تهمة عن السيد الفارس:

ذكـر ابـن الطقطقي في ختـام حديثه عن السـيد الفارس قائـلًا: «.... وقد جـرت بينـه وبـين بني حسـين وبنـي داود محاليفهم فتنـة كبيرة بالحلـة أَدَّت إلى أَنَّ عضـد الديـن هذا ركـب إليهم وصحبته العسـكر ونهبهم فكانت الحسـينية أَو الداوديـة تنازع على قرطها وسراويلها، وسـمعت - وكنـت يومئذ بالحلة - وذلك في شعبان سنة ٦٩٦هـ أَنَّ امرأة حسينية بنت رجل من أَعيان بني حسين سـميت لي فكرهـت ذكر اسـمها هنـا فيبقى لها هنـا ذكر وخيم، عمـد لها رجل فنازعها قرطًا معلقًا بإذنها فتعسر عليه تناوله فقطع شـحمة إذنها وأَخذ القرط، فبئست فعلة الشريف»[٣٧].

توفي النسابة ابن الطقطقي سنة ٧٠٩هـ، وقد بقي أُستاذه ابن الفوطي بعده ٢٤ سنة حيث توفي سنة ٧٢٣هـ وقد مدح ابن الفوطي السيد الفارس بقوله: «قدم بغداد وهو رطب اللسان بالدعاء والثناء وقصده السادات بالقصائد والمدائح، فمن قول فخر الدين علي بن محمد الأَعرج:

لا تعدُ عضدَ الدين إنْ رمتَ الغِنى
فمَزيدُ فضلِ نداهُ غيرُ مَلومِ

ثمَّ يردف ابن الفوطي قائلا: وحضرت عنده مع الأَصحاب»[٣٨].

من خلال ما تقدم يمكن القول:

١- لم يبْن لنا ابنُ الطقطقي مَنْ هم آل الحسين وآل داود؟ والظاهر أَنَّه يقصد آل الحسين الأَعرج ابن الإمام علي السجاد، وآل داود هم ذرية داود بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط المشهورين بآل طاووس.

٢- لم تذكر لنا الكتب التي تناولت تاريخ الحلة هذه الأحداث، بل حتى ابن الفوطي لم يتعرض لذكر هذه الأِحداث رغم معاصرته للسيد الفارس ولو كان كما ذكر ابن الفوطي لذكر عن الفارس مساهمته في تلك الأحداث.

٣- من شأن القادم الجديد كالسيد عبد الله الفارس أَن يكون ملتزمًا باحترامه للمدينة الجديدة التي نزل فيها، فهو جديد عهد بها فكيف تجري له وقائع في الحلة ومن أَين له أَنصار وقد نزل الحلة للتوِّ.

٤- تعظيم السلطان محمود غازان للسيد الفارس واستقباله وإكرامه بالضياع يوجب على السيد الفارس أَن يلتزم بكل أَمر حسن وسمعة طيبة لكي لا يغضب عليه السلطان ويخرجه من الحلة ويلحقه بمكَّة.

٤- اشارة ابن الفوطي إلى شعر ابن الأَعرج تشعر القارئ بغاية رضا ابن

الأعرج عن السيد الفارس، كما أَيَّد ما قاله الشاعر حيث قال: وحضرت عنده مع الأَصحاب.

٥- الرجل المعروف بالكرم والعطاء لا ينبغي له أَن يشجع أَحدًا على انتهاك الحرمات وإِلَّا ما هو تفسير قول ابن الطقطقي: و في شعبان سنة ٦٩٦ هـ أَنَّ امرأة حسينية بنت رجل من أَعيان بني حسين سميت لي فكرهت ذكر اسمها هنا فيبقى لها هنا ذكر وخيم، عمد لها رجلٌ فنازعها قرطًا معلقًا بإذنها فتعسَّر عليه تناوله فقطع شحمة إذنها وأَخذ القرط، فبئست فعلة الشريف، فإذا نازع رجل قرط امرأة، لماذا يتهم السيد الفارس بإن الرجل من أتباعه، وعلى فرض أَنَّ الرجلَ قامَ بفعلته المشينة فلماذا يُتَّهَمُ السيدُ الفارسُ بها؟.

٦- إِنَّ السيد عبد الله الفارس هو ابن حاكم مكَّة معنى ذلك أَنَّه عاش عيشة الملوك وليس من شأنه أَن يشجع رجلًا على أَن ينازع علوية قرطها، فقد قَدِمَ بالهدايا للسلطان وقد وَهَبَ الأَخيرُ له الضياع والأَراضي كبادرة محبة وقبول واحترام.

وهناك الكثير من علامات الاستفهام تبقى على نصِّ ابنِ الطقطقي في حقِّ السيد الفارس، ولهذا بيّن السيد حيدر وتوت في شأن السيد الفارس قائلًا: «ويستدل من سيرة السيد عبد الله الفارس أَنَّه كان أَميرًا جليلًا مهابًا قويًّا شجاعًا، ذا خصال جميلة وصفات نبيلة، ومن أُسرة كريمة شريفة وهي أُسرة آل أَبي نمي، وأَنَّ سَكَنَه آنذاك مدينة الحلة الفيحاء مدينة العلم والعلماء وبقاؤه حتى المات، وفي ذلك العصر المتخم بفحول العلماء وكبار الفقهاء والأدباء هو دليل واضح على حبه للعلم والأَدب، وميله لتلك الأَجواء الثقافية المباركة، وليس ببعيد أَن يكونَ حازَ بفضل ذلك رتبةً في العلم والدين وفنون الأَدب»[٣٩].

ذريته:

قال ابن عنبة[٤٠]: أَعقب عبد الله الفارس ولدًا واحدًا وهو الشريف شمس الدين محمَّد وبنتًا اسمها ست الشرف، ثمَّ أَعقب ولده الشريف شمس الدين محمد ثلاثة لأَولاد وهم:

١- أَحمد.

٢- أَبو الغيث، أُمّه وأُمّ أَخيه أَحمد بنت السيد زيد بن أَبي نمي بنت عمِّه، و درجَا مَعًا بشيراز وتوجَّه إليها أَحدُهما بعد الآخر في أَيام حكومة الأَمير أَبي إسحاق بن الأَمير محمود شاه، ودُفنا بمشهد السادة المجاور لمشهد علي بن حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام[٤١].

٣- نور الدين علي: وكان عميد السادات بالعراق، عريضَ الجاه، ساكنَ النفس، كريمَ الأَخلاق، حليمًا، متجاوزًا، وقد أَعقبَ نورُ الدين عليّ هذا جماعةً منهم:

١ - السيد شمس الدين محمد بن علي، وأُمّه شُميّة[٤٢] بنت الشريف شهاب الدين أَحمد بن رميثة بن أَبي نمي، وأُمّها ست الشرف عضد الدين عبد الله الفارس.

٢- السيد حسيب الله بن علي بن محمد.

٣- السيد مغامس، وغيرهم كثّرهم الله تعالى.

وليس لولده اليوم أَثرٌ في العراق، وغالب الظن أَنَّهم عادوا إلى بلادهم الأَصلية مكة المكرمة شرفها الله تعالى، أَو اختلطت أَنسابهم مع أَنساب بني عمومتهم من بني الحسن في العراق، أَو انقرضوا والله أعلم.

عمره:

لم يشر أحدٌ إلى عمره ولكن يمكن أَن نستشف من بعض القرائن أَنَّ ولادته كانت سنة ٦٧٠ هـ بمكة المكرمة، وإنَّ وفاته كانت ما بعد سنة ٧٢٣ هـ، وربما تكون سنة ٧٣٠هـ فتكون مدة عمره الشريف ٦٠ سنة تقريبًا، وقد أَدرك من حكم الأسرة الإيلخانات المغولية حكم السلطان محمود غازان ثمَّ أَخيه محمد أولجايتو خدابنده الذي تشيع على يد العلامة الحلي.

تعيين مرقده:

ذكر موقع مركز تراث الحلة في مقالة له منشورة بعنوان (الجامعين سيدة المدن الفراتية) أنَّ اسم محلة الجامعين - وحسب ما ذكره السيد هادي كمال الدين الحلي- جاء من وجود جامعين فيها الأَول ينسب إلى أَحد أَصحاب الإمام علي عليه السلام، والآخر هو جامع ومقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام المتوفى سنة ١٤٨هـ، الذي كان مكانه على حافة نهر الحلة، ونقل سنة ١٩٥٤م قرب مرقد العلامة أَبي المعالي الفارسي الهيتي المتوفى نحو٤٩٩ هـ، وما يزال أَثره باقيًا حتى يومنا هذا)[٤٣] والكلام واضح أنَّ مقام الإمام الصادق عليه السلام كان على النهر ونقل قرب مرقد العلامة أَبي المعالي الفارسي، واليوم عاد المرقدُ عاد إلى سابق عهده بالقرب من شط الحلة على نهر الفرات، وقد نسب بعضهم مرقدَ السيد عبد الله الفارس إلى أَبي المعالي الهيتي الفارسي بناءً على هذه المقالة المنشورة ولنا معه وقفة:

١- لم نجد فيما كتبه السيد هادي كمال الدين إشارة لما تقدم من تعيين مكان الجامعين، وعلى فرض ذكره فإنَّ السيد هادي نفسه لم يقل بأَنَّ ضريح السيد عبد

الله الفـارس هـو ضريح أَبي المعالي الفارسي وكان عليـه أَن يزيل هذا الالتباس، وهو ابن الحلة، العارف بمحلاتها ورجالها وتاريخها.

٢- هنـاك العشرات من الشـعراء الحليين ومنذ تأسـيس الحلة ولحد عصر السـيد هادي كمال الدين لم تبن لهم مراقد ولم تعرف لهم ضرائح، ومنهم بعض العلويـين النقباء وبعض وجهـاء الحلة فلماذا بني مرقـد لأَبي المعالي؟ دون غيره ممن هو أَشـهر منه، ومن هو من أَبناء الحلة نفسـها آنذاك، وهو رجل لم يعرف له تاريـخ معلـوم، عدا ما ذكره الصفدي إذْ قال: (أَبو المعالي محمد بن محمد بن علي ابن الفارسي الهيتي، شـاعر اجتدى بالشـعر كتب عنه أَبو طاهر السـلفي ببغداد والحلـة سـنة ٤٩٧هـ،...، ثم قال عنه الصفـديُّ بعد أن أورد أَبياتًا من شـعره بطريق أَبي طاهر السلفي: هذا شعر رذل منحط إلى الغاية)[٤٤].

فهل من كان يسـتجدي بشـعره، وشـعره منحط رذل للغايـة، أَنْ يكون له مزار مقصود في مدينة الحلة الفيحاء مدينة العلماء والأدباء؟

ومـن هنـا جـاء توثيق نسـبة المرقد للسـيد عبـد الله الفارس على يد السـيد حيـدر وتـوت في كتابه مراقد العلماء في الحلة حيث قـال: «يقع مرقده نهاية حي الجمهـوري، قرب مقام الإمام جعفر الصـادق، ويتكون من صحن مغلق كبير وحجـرة صغـيرة الحجم تقع في آخره، ويتوسـطها الضريح الذي يعلوه شـباك جيـد الصنع من الخشـب، وتنتصب فوقه قبة سـميكة البناء عاليـة، والمرقد من المـزارات القديمة المشـهورة في الحلة، ويعرف عند عامة النـاس بمرقد عبد الله الفارسي، وهي تسـمية خاطئة لأن الفرق بين اللفظـين (الفارس) و(الفارسي) فرق شاسـع، هذا وللسـيد عبد الله الفارس كرامات باهرة ظهرت لزواره أدت إلى شدة الاعتقاد به وبمنزلته الكريمة»[٤٥].

أما السيد حسون البراقي فقد ذكر في كتابه تاريخ الكوفة: «محمد ابن عضد الدين أبي محمد عبد الله الفارس بن أَبي نمي، مات بالحلة ودفن بالمشهد الغروي بظهر النجف»[٤٦]، وقد اسند محقق الكتاب الكلام إلى عمدة الطالب، وقد بحثت في العمدة فلم أَجد اشارة لدفن الفارس بالنجف، وكما يلاحظ هناك اضطراب في العنوان فهو عبد الله وليس محمد ولقبه عضد الدين وليس لقب والده، أَمّا وفاته ففي الحلة كما ذكر النص إلَّا أَنَّه لم يدفن بالمشهد الغروي ولم يذكر أَي مصدر تناول سيرة الفارس إنه دفن بالنجف، والواقع إنَّ الذي دُفن بالنجف هو أَخوه زيد بن أَبي نمي وكما ذكرنا ذلك في سيرته آنفًا.

مرقده اليوم :

يقع في الحي الجمهوري في الحلة الفيحاء كما ذكره السيد حيدر وتوت، ويطل على شط الحلة بالقرب من مقام الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وكان عبارة عن بناية قديمة تعلوها قبة كبيرة مطلية باللون الأخضر الفاتح، أما البناية فهي عبارة عن قاعتين، الأولى تضم مدخل المرقد وترتبط بالثانية التي يقع فيها الحرم الداخلي ويضم الضريح حيث يعلو الضريح شباك خشبي قديم.

لقد انبرى المحسن الحاج محمد حسين النعماني صاحب المبرات فتبرع ببناء جديد يليق بحفيد الإمام الحسن عليه السلام، فبوشر بالعمل في إزالة البناية القديمة واستمر في أَعمال البناء حتى تم إكماله وافتتح بداية شهر آذار من العام ٢٠٢٥م، إذْ أَصبحَ شاخصًا إسلاميًّا من أَبرز الشواخص على مستوى مدينة الحلة، وقد ظهر بحُلَّةٍ معماريَّة جميلة تسر الناظر وتبهره.

تبلغ المساحة الكلية للمرقد ١٧٤١ مترًا مربعًا، حيث تطل الواجهة الأَمامية على نهر الحلة تتخللها ثلاث أَبواب للدخول والخروج، وقد زين

بالمرمر والطابوق، وقد توزعت عل جانبي الباب الرئيس وعلى امتداد الجدار الأَمامي شبابيك مزخرفة عددها ٨ ، وتعلو الجدار كتيبة خطت عليها آيات من القرآن الكريم.

أَمَّا الفناء الداخلي فهو واسع رحب يقع المرقد في آخره، والمرقد اليوم يعلوه شباك خشبي فاخر تعلوه قبة يبلغ ارتفاعها ١٠م وقطرها ٧,٣٠م ، وهي من الداخل مزدانة ومزخرفة بالمرايا يحيط بها من الأَسفل طوقٌ كتبت عليه سورة الدهر وتعلو الطوق شبابيك عدد ١٥ لتعمل على تنسيق الانارة الطبيعية داخل المرقد، أَمَّا من الخارج فالقبة قد زينت بالكاشي الكربلائي المعرق والمزخرف وتصطف إلى جانبي القبة المنارتان بارتفاع يبلغ ١٥ م تقريبًا. كما رتبت مجموعة صحية خارجية للرجال والنساء لأَغراض النظافة والوضوء والتطهير.

وقد أَرَّخ الشاعر القدير د. سعد الحداد تجديد المرقد قائلًا:

مَرقـدُ الفـارسِ يزهـوَ كلَّ حِـين
وَمُضَـاءٌ بِصَـلاةِ الخَاشِـعِينْ
مَـرقَـدٌ يُـبـهِـرُ أَلـبَـابَ الحِجَا
صَرحُـهُ الغَنَّـاءُ يَجلـو كُلَّ رَيـنْ
شَـــــادَهُ للهِ بِـــــرًا ورِضًـــــا
ذَا أَبـو السَّـجَّادِ مَرفـوعَ الجَبِـينْ
كَـمْ يَـدٍ فِـي الحِلَّـةِ الفَيحَـا لَـهُ
حَـازَتِ الأَجـرَ وَذِكـرَ المُحسِـنِينْ
بِـضِـيَـاءٍ شَـعَّ أَرِّخْ: (وَتُـقًـى
أُدْخُـلـوُهُ بِـسَـلَامٍ آمِـنِـينْ)

١٤٤٦هـ

الهوامش

(١) من شاء المزيد فليطالع مقدمة كتاب: صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين ﷺ.

(٢) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص ١٠٠.

(٣) المصدر نفسه، ص١٠١.

(٤) الكليدار، معالم أنساب الطالبية في شرح كتاب سر السلسلة العلوية لأَبي نصر البخاري، ص٧٨.

(٥) الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ١٦٦- ١٧١.

(٦) حرز الدين، مراقد المعارف، ٢/ ١٥.

(٧) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١١٢.

(٨) سويقة: موضع قرب المدينة، وهي منزل بني الحسن وكان من جملة صدقات علي بن أَبي طالب، الحموي، معجم البلدان، ٣/ ٢٨٦.

(٩) الوافي بالوفيات، ١٧/ ١.

(١٠) الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤١٥.

(١١) حرز الدين، مراقد المعارف، ٢/ ٨٤.

(١٢) العمري، المجدي في أنساب الطالبيين، ص ٢٤٠.

(١٣) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص ١٥٢.

(١٤) العمري، المجدي في أنساب الطالبيين، ص ٢٤٢.

(١٥) ٤/ ١٣٤.

(١٦) المصدر السابق، ٤/ ١٣٤.

(١٧) الامين العاملي، المجالس السنية، ٥/ ١٣٨.

(١٨) ابن عنبة، عمدة الطالب، ص١٤٢.

(١٩) المصدر نفسه، ص١٤٣.

(٢٠) العصامي، سمط النجوم العوالي، ٤/ ٢٢٧.

(٢١) الفاسي، العقد الثمين، ٨/ ٧٩-٨٠.

(٢٢) المصدر السابق، ٤/ ٢٣٢-٢٤٣.

(٢٣) عمدة الطالب، ص ١٤٣.

(٢٤) الفاسي، العقد الثمين، ٤/ ٤٠٣.

(٢٥) المصدر السابق، ٦/ ٩٠-١٠١.

(٢٦) كمونة، موارد الإتحاف، ١/ ١٩٨، شبر، الضرائح والمزارات، ص٥٩٢.

(٢٧) سواكن بلد مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب، ترفأ إليه سفن الذين يقدمون من جدة وأَهل بجاة سود نصارى، الحموي، معجم البلدان.

(٢٨) ١/ ١٨٨.

(٢٩) عمدة الطالب، ص١٤٤.

(٣٠) ص ١٤٥.

(٣١) هو السيد جمال الدين أَحمد (٧٤٨-

٨٢٨هـ) بن علي بن الحسين بن علي بن مهنا بن عنبة الأصغر بن علي عنبة الأكبر بن أحمد المهاجر من الحجاز إلى العراق ابن يحيى بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد ابن الرومية بن داود الأَمير بن موسى الثاني بن عبد الله الأكبر بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط عليه السلام، ويلتقي مع السيد الفارس في موسى الثاني، وربما مات الفارس قبل ميلاد ابن عنبة بـ(٢٥) سنة.

(٣٢) ص ١٤٥.

(٣٣) الأصيلي في أنساب الطالبيين، ص١٠٨.

(٣٤) العريني، المغول، ص٣٢٤.

(٣٥) تاريخ الحلة، ١/ ٨٣.

(٣٦) وقد أيده أيضًا المؤرخ ابن الفوطي، حيث ذكر اسم المهاجرية أيضًا.

(٣٧) الأصيلي، ص١٠٩.

(٣٨) مجمع الآداب، ١/ ٤١٠-٤١١.

(٣٩) مزارات الحلة الفيحاء، ص١٢٧.

(٤٠) ص ١٤٥.

(٤١) ويقع اليوم في مدينة شيراز الأيرانية، شارع حافظ جنوب باب القرآن، مجاور جسر علي بن حمزة.

(٤٢) وقيل: شمسية.

(43) https://mk.iq/hellah/sci/$326

(٤٤) ١/ ١٤١.

(٤٥) ص ٢١٦.

(٤٦) ص٩٥.

المصادرُ والمراجعُ

• القرآن الكريم

١. آل ياسين، راضي، صلح الإمام الحسن عليه السلام، تحقيق عبد الصاحب الموسوي الهاشمي، المكتبة الحيدرية، قم، ١٤٣٥هـ.

٢. ابن عنبة، عمدة الطالب في أَنساب آل أَبي طالب، دار الأَندلس للطباعة والنشر، مطبعة الديواني، بغداد.

٣. ابن الطقطقي، الأَصيلي في أَنساب العلويين، جمعه وحققه السيد مهدي الرجائي، مكتبة السيد المرعشي، قم، ١٤٣٣هـ.

٤. ابن الفوطي، كمال الدين أَبو الفضل عبد الرزاق، معجم الآداب في معجم الأَلقاب، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، إيران، ١٤١٦هـ.

٥. الصفدي، صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٦. الحلي، يوسف كركوش، تاريخ الحلة، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

٧. وتوت، حيدر، مزارات الحلة الفيحاء، مركز تراث الحلة، العتبة العباسية المقدسة، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.

٨. البراقي، السيد حسون، تاريخ الكوفة، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، دار الأضواء، بيروت، ط١.

٩. الحارث، الشريف محمد بن عبد العزيز بن سعيد، الشمس والفي في ذكر أَبي نُمي، دار النصيحة، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

١٠. وتوت، حيدر، خطط الحلة الفيحاء وأَبعادها التاريخية، مركز الأمير، النجف الأشرف، ط١، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢١م.

١١. الأَصفهاني، أَبو الفرج، مقاتل الطالبيين، تحقيق: سيد أَحمد صقر، المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٢. العاصمي، عبد الملك بن حسين، سمط النجوم العوالي في أَنباء الأَوائل والتوالي، تحقيق عادل أَحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٣. الفاسي، تقي الدين محمد بن أَحمد، العقد الثمين في تاريخ البلد الأَمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

١٤. شبر، جواد، الضرائح والمزارات، العتبة الكاظمية المقدسة، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.
١٥. حرز الدين، محمد، مراقد المعارف، تحقيق الشيخ محمد حسين حرز الدين، مطبعة الآداب، ١٩٦٩هـ.
١٦. الحموي، شهاب الدين ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
١٧. كمونة، عبد الرزاق، موارد الإتحاف في معرفة الأشراف، مطبعة الآداب، النجف، ١٩٦٨م.
١٨. الكليدار، عبد الجواد، معالم أنساب الطالبية في شرح كتاب سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري، مكتبة السيد شهاب الدين المرعشي، قم، ١٤٢٢هـ.
١٩. العريني، السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.
٢٠. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، رحلة ابن بطوطة، دار الشرق العربي، بيروت.
٢١. العمري، علي بن محمد، المجدي في أنساب الطالبيين، تحقيق د. أحمد المهدوي الدامغاني، مكتبة السيد شهاب الدين المرعشي، قم، ١٤٢٢هـ.
٢٢. العلوي الحسيني، أحمد بن محمد، الدر الثمين في أنساب الطالبيين، (مخطوط).

المواقع الإلكترونية:

1. https://mk.iq/hellah/sci/$3.

أبعاد مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ومساحته في الحلّة

من خلال مراجعة التاريخ الاجتماعي

د. سعيد طاوسي مسرور
جامعة العلاّمة الطباطبائي
saba.h@uokerbala.edu.iq

ترجمة: محمد حسين حكمت

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v11i29.425

الملخص

يُعدّ مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف أهمّ مزار للشيعة في مدينة الحلّة، وهو اليوم عبارة عن غرفة صغيرة مساحتها ٣٥ متراً مربّعاً تقع في منطقة تسكنها غالبيّة سنّيّة.

ولكنّ الذي يظهر من مطالعة ما كتبه ابن بطوطة عن سفرتَيه إلى مدينة الحلّة وغيرها من الأدلّة التاريخيّة كالمخطوطة المصوّرة لكتاب (بيان منازل سفر العراقَين) لنصوح مطراقچي وغيرها من المخطوطات الأُخرى هو أنّ المقام كان كبيراً في القرون الماضية، ويقع ضمن أحد المراكز العلميّة الثقافيّة للشيعة في مدينة الحلّة.

الكلمات المفتاحيّة:

الحلّة، مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، المدرسة الزينيّة، النسخ الخطّيّة لمؤلّفات الإماميّة.

The Dimensions and Area of the Shrine of Sahib al-Zaman in Hilla: A Review through Social History

Dr. Saeed Tavousi Masour

Allameh Tabataba'i University

saba.h@uokerbala.edu.iq

Translated by: Mohammad-Hossein Hekmat

Abstract

The Shrine of Sahib al-Zaman is regarded as the most important Shi'i pilgrimage site in the city of Hilla. Today, it consists of a small chamber measuring approximately 35 square meters, located in an area predominantly inhabited by Sunnis.

However, a review of Ibn Battuta's accounts of his two journeys to the city of Hilla, together with other historical evidence—such as the illustrated manuscript of Bayan Manazil Safar al-'Iraqayn by Nasuh Matrakçi, as well as other surviving manuscripts—suggests that the shrine was considerably larger in previous centuries and was situated within one of the major Shi'i scholarly and cultural centers of Hilla.

Keywords:

Hilla, Shrine of Sahib al-Zaman, Zayn al-Din School, Manuscript Copies of Imami Works.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة:

الحلّة هي مدينة عراقيّة تقع في القسم المركزي من البلاد، ويقال إنّ سيف الدولة المزيدي هو الذي بناها في الجانب الشرقي من نهر الفرات في أواخر القرن الخامس.

وهذه المدينة تقع بالقرب من خرائب وبقايا مدينة بابل الأثريّة، وعلى مسافة حوالي ٩٠ كيلومتراً إلى الجنوب من بغداد، أي على الخطّ المستقيم المتّجه من مدينتَي الكوفة والنجف إلى بغداد، وعلى بعد حوالي ٥٠ كيلومتراً إلى الشرق من مدينة كربلاء، وهي اليوم مركز محافظة بابل العراقيّة.

وكانت هذه المدينة منذ أواسط القرن السادس وطوال القرنين السابع والثامن الهجريّين أكثر المراكز العلميّة للشيعة ازدهاراً ونشاطاً، فهي كانت المقرّ والمَدرَسة لأعظم العلماء والفقهاء الشيعة، حتّى ظهر فيها العديد من البيوت والأسر العلميّة كآل بطريق، وآل نَما، وآل طاووس، وآل المطهّر[١].

وأهمّ مزارات الشيعة في مدينة الحلّة هذه هو مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف[٢]. وفي ورقةٍ مكتوبة بخطّ المرحوم الشيخ محمّد علي اليعقوبي ذكر الشيخ بصريح العبارة أنّ هذا المقام يُزار في أغلب ليالي الجمعات، والظاهر أنّ هذه العادة قد نشأت انسجاماً مع ما ذكره الأفندي في رياض العلماء وحياض الفضلاء من الخبر القائل بأنّ إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف قد قال لأحد الأشخاص ـ واسمه ابن أبي جواد النعماني ـ إنّهُ سيكون في الحلّة ليلة ويوم الجمعة[٣].

مقام المهدي

للمهدي عجل الله فرجه مقامات عديدة في أقطار
واشهرها في العراق اربعة الاول منها سرداب
غيبته في سامرا وهو قديم معروف والثاني
في الحلة وهو قديم ايضا ذكره ابن بطوطه
في رحلته حين مر في الحلة وهو اليوم وسط
في سوق الدجاج وعليه قبة من الكاشاني
الازرق وهو مشهد نزار في اغلب ليالي الجمعات
والثالث من مقاماته في مسجد السهلة (١)
وهو معروف مشهور يستجار به ليالي الاربعاء
خاصة والرابع مقامه في النجف وموقعه
شمالي البلد في وادي السلام ويبعد عن السور
نحو ثلثمائة متر تقريبا وله مقام صغير وعليه
قبة شاهقة من الكاشاني الازرق
وبالقرب من المقام تمايل الغرب نزال الخ
نام الذين حين زار النجف وضرب ابنيته الخاصر
واخيته الجند الفارسي الذي لقاه في صحبته
مع ثلة من الجند العثماني ومعه الصدر الاعظم
كاملباشا ووالي بغداد مدحت باشا ولقاه
دخول النجف يوم الاربعاء ثالث عشر شهر
رمضان سنة ١٢٨٧ وتاريخ ذلك كلمة غفورا
وجملة (تشرفنا بالزيارة) انتهى
واقام في النجف ستة ايام وقفل راجعا وقيل
اقام اكثر من ذلك

صورة ما كتبه الشيخ محمّد علي اليعقوبي عن مقامات المهدي في العراق

وهذا المقام يقع اليوم في منطقة يسكنها أهل السنّة في مدينة الحلّة[٤]، وهو اليوم عبارة عن غرفة صغيرة مساحتها ٣٥ متراً مربّعاً، وقد جرى تعميره وإعادة بنائه في سنة ١٤٢٢ الهجريّة (٢٠٠١ م) برعاية آية الله العظمى السيّد السيستاني وجهود ومساعي الخيّرين من المؤمنين، وتمّ تغليف قبّته بالكاشاني وسقفه بالمرايا[٥].

صورة من حسنين الشرشاحي، في مجلّة الأحرار، العدد ٧٨٩، ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢، ص ٤٨

وتشير الشواهد التاريخيّة التي سنذكرها في سياق هذا البحث إلى أهمّيّة هذا المقام في الماضي وسعته.

دلالة مراسيم انتظار شيعة الحلّة على سِعة المقام:

يقول ابن بطوطة (٧٧٩ هـ) في تقريره عن رحلته الموسومة بعنوان (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) الذي انتهى من تدوينه في شهر صفر سنة ٧٥٧ هجريّة[٦] عن مدينة الحلّة ما يأتي: (مدينة الحلّة هي مدينة كبيرة، تمتدّ على جانبَي نهر الفرات. وفي الحلّة أسواق جيّدة ومهمّة يمكن العثور فيها على كلّ أنواع المصنوعات وما تعمّ الحاجة إليه. وتحيط بالمدينة بساتين النخيل من كلّ جوانبها ونواحيها، وتتناثر بيوتها بين هذه البساتين. وللحلّة جسرٌ عظيم مصنوع من سفن مشدودة إلى بعضها، وهو مشدود من جهتَيه بسلاسل حديديّة إلى عمود خشبيّ قويّ وكبير موجود في الساحل. وجميع أهالي هذه المدينة هم من الإماميّة الاثنا عشريّة ومن عشيرتين إحداهما من الأكراد[٧] والأُخرى يُسمّونها أهل الجامعَين[٨]، وبين هاتين العشيرتين حروب ونزاعات دائمة).

واللافت للنظر أنّ ابن بطوطة يشير في تقريره هذا إلى مقام صاحب الزمان دون غيره من أماكن الحلّة الأُخرى، ممّا يشير إلى أهمّيّة هذا المقام وما يحتلّه من مكانة في الحياة الاجتماعيّة لشيعة الحلّة، حيث يقول: (وهناك مسجد قرب السوق الكبير في المدينة، وقد عُلّقت على بابه ستارةٌ من الحرير، وذلك المكان يسمّى مقام صاحب الزمان. وبعد صلاة العصر يتوجّه مئة رجل مسلّحون بسيوفٍ مسلولة من أغمادها إلى أمير المدينة ويأخذون منه حصاناً أو بغلاً عليه السرج ويتّجهون به إلى مقام صاحب الزمان، وأمام هذا الحيوان الطبول والأبواق والمزامير، ويتوزّع هؤلاء الرجال المئة إلى نصفين نصفٌ يمشي أمام الحيوان ونصف آخر خلفه، في حين يمشي الناس معهم على جانبَي الطريق، فإذا وصلوا إلى مقام صاحب الزمان يقفون أمام الباب وهم يقولون: بسم الله يا صاحب الزمان، بسم الله أُخرج فقد

مُلئت الأرض ظلماً وجوراً، لقد حان الوقت كي تخرج ويميّز الله بك الحقّ من الباطل. ويستمرّون على هذا المنوال في النفخ في الأبواق حتّى تحلّ صلاة المغرب. وأهل الحلّة يعتقدون أنّ محمّد ابن الإمام الحسن العسكري قد دخل هذا المسجد وغاب فيه، وأنّه سيظهر من هذا المكان قريباً، وهم يسمّونه الإمام المنتظر)[٩].

وقد سافر ابن بطوطة إلى مدينة الحلّة مرّةً ثانية في طريق عودته من سفرته الطويلة، وهذه المرّة كان شاهداً لحادثةٍ مثيرة ذات صلة بمراسيم الانتظار.

وسفرته الثانية إلى الحلّة كانت في سنة ٧٤٨ هـ، وقد كتب عنها يقول: (في هذه الأيّام قام أحد الأُمراء الذي عُيّن حاكماً للمدينة بمنع أهالي المدينة من إجراء مراسيمهم في مسجد صاحب الزمان، وكما سبق وذكرنا فإنّ هؤلاء الناس كانوا يأخذون كلّ ليلة حصاناً من الأمير ويذهبون به إلى باب المسجد ويقفون هناك منتظرين ظهور الإمام. وقد امتنع الأمير هذه المرّة عن إعطاء الحصان لهم، واتّفق أن مَرِض الأمير المذكور آنذاك وتوفّي بعد مدة قصيرة، فاشتدّت فتنة الرافضيّين وقالوا إنّ ما لاقاه الأمير هو نتيجة امتناعه عن إعطاء الحصان. وهكذا لم يتردّد الأمير الذي أتى بعده في إعطاء الحصان بل وافق على الفور)[١٠].

ويشير ستّار العودي إلى أنّ ما ذكره ابن بطوطة عن مراسيم الانتظار التي يؤدّيها شيعة الحلّة يوميّاً لم تذكرها المصادر الأُخرى، وهو يرى أنّ مثل هذه المراسيم إنّما كانت من أعمال العوام، مشيراً لتأييد رأيه هذا بما كتبه الرازي الحَبْلَرودي طالباً من القارئ الرجوع إليه[١١].

إلاّ أنّ رأيه هذا يمكن نقده بالنقاط التالية:

١ ـ إنّ الرازي الحَبْلَرودي يدافع عن مراسيم الانتظار هذه، فهو يعدّ قرع الطبول والخروج يوميّاً بالحصان إنّما هو لتنبيه العوامّ والأطفال وتوعيتهم، لا أنّه ينسب هذه المراسيم إلى العوامّ[١٢].

أمّا ما ذكره ابن بطوطة في تقريره من أنّ أهل الحلّة يعتقدون بأنّ محمّد ابن الإمام الحسن العسكري قد دخل في هذا المسجد وغاب فيه وسيظهر قريباً من المكان نفسه، فمن الممكن أن تكون هذه من عقائد العوامّ، ويمكن ان يكون ابن بطوطة اشتبه ونسب ذلك إلى أهل الحلّة، خصوصاً إذا علمنا أنّه قد وقع في الهند بأيدي الكفّار الذين أخذوا كلّ ما كان معه[١٣]، والظاهر أنّ كلّ كتاباته وملاحظاته قد فقدها في هذه الحادثة، وأنّه بعد مضيّ مدةٍ طويلة وعودته إلى المغرب ـ سنة ٧٥٤ هـ قام في مدينة فاس المغربيّة بإملاء قصّة رحلته الطويلة العريضة على كاتبٍ يُدعى ابن الجُزَي[١٤]. وهكذا، فمن الممكن أن تكون الأُمور قد اشتبهت عليه في بعض الجزئيّات.

٢ ـ إنّ مراسيم الانتظار كانت شائعة بين الشيعة، ولم تختصّ بشيعة الحلّة، وكما أشار رسول جعفريان فإنّ هذه المراسيم كانت تقام أيضاً في بذّ أذربايجان وكاشان والشامّ وسبزوار وأصفهان[١٥].

٣ ـ أمّا ما قيل من أنّ ما ذكره ابن بطوطة لم يرد في المصادر الأُخرى، فليس بصحيح؛ لأنّ هناك مَن هو أقدم من ابن بطوطة، مثل ريكولدو دامونته كروس (١٣٢٠ م / ٧٢٠ هـ)[١٦] الراهب والمبلّغ وأحد أتباع سان دومينيك (١٢٢١ م) وقد شاهد مثل هذه المراسيم في سفره إلى العراق، وذكرها في كتاباته[١٧].

٤ ـ إنّ اهتمام ابن بطوطة بهذه المراسيم ووصفه لتفاصيلها ليس من الأُمور المستبعدة؛ لأنّه كان يهتمّ بالجوانب المختلفة من حياة الناس في عصره، وقد ترك لنا في رحلته وصفاً لأحوالهم وأطوارهم وتقاليدهم وعاداتهم وأخلاقهم.

يقول محمّد علي موحّد مترجم رحلة ابن بطوطة إلى الفارسيّة: (إنّ مؤلّفينا يتحاشون النظر والالتفات إلى هذه الجماهير العظيمة من الناس ـ الذين يقال لهم عوام الناس ـ وكأنّهم يخافون أن يكون ذكرهم لأسمائهم والاهتمام بأحوالهم منافياً

لمنزلتهم ودرجتهم العلميّة. لكنّ ابن بطوطة وإن كان في سلك الفقهاء والقضاة لكنّه لم يكن من أهل النظر والتعمّق في مشكلات العلوم ودقائقها كي يدفعه ذلك للاعتقاد بأنّ الاشتغال بنقل هذه المطالب سيكون سبباً في خدش شخصيّته وشأنيّته)[١٨].

ثمّ إنّ مَن ينظر من الخارج يرى أشياء ومسائل ويسجّلها، بينما هي تصير عاديّة لا تستحقّ الاهتمام بالنسبة لمَن ينظر لها من الداخل، فلا يحاول تحليلها[١٩]. ولمّا كانت مراسيم انتظار الشيعة في الحلّة تقام كلّ يوم لذا صارت عاديّة بالنسبة للشيعة أنفسهم، لكنّها كانت لافتة للنظر ومثيرة بالنسبة لابن بطوطة ـ وهو السنّي المالكيّ المذهب ـ وللراهب المسيحي ريكولدو دامونته كروس، فأشارا إليها كلاهما وذكراها في كتاباتهما.

وبعد إثبات قيمة تقرير ابن بطوطة وأهمّيّته، فإنّ التأمّل في هذا التقرير يؤشّر لنا بعض النقاط، منها:

١ ـ إنّ مقام صاحب الزمان كان مسجداً، ومن المستبعد أن يكون المسجد الذي يهتمّ به شيعة الحلّة كلّ هذا الاهتمام مجرّد بناءٍ صغير لا يتجاوز حجمه حجم الغرفة الواحدة.

٢ ـ إنّ المقام كان له صحن وساحة مفتوحة يمكن لمئة رجل مسلّح مع باقي أهالي الحلّة أن يجتمعوا فيه ويقيموا فيه مراسيم الانتظار.

٣ ـ إنّ المقام لم يكن داخل السوق، بل قريباً من السوق الكبير لمدينة الحلّة. في حين أنّه اليوم وبسبب وقوعه في أسواق المدينة القديمة حاصرته الدكاكين والمحلاّت، حتّى لم يبقَ له سوى مدخل واحد صغير من جهة الجنوب[٢٠].

صورة من مجلّة الأحرار، العدد ٧٨٩،

ونظراً لما ذكرناه فلا مجال للشكّ في أنّ مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف كان قسماً من المسجد الجامع الكبير لمدينة الحلّة، كما هو اليوم أيضاً حيث يقع خلف هذا المسجد تماماً[٢١].

مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بوصفه مركزًا علميًّا ـ ثقافيًّا:

وهنا لا بدّ من الإشارة ـ تكميلاً لتقرير ابن بطوطة ـ إلى أنّه قبل حوالي مئة عام من السفرة الأُولى لابن بطوطة إلى الحلّة كان نجيب الدين محمّد بن جعفر بن هبة الله بن نما الحلّي (٦٤٥ هـ)[٢٢] قد قام سنة ٦٣٦ هـ بتعمير المدرسة المجاورة لمقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة وأسكن فيها جماعة من الفقهاء. والدليل على ذلك الورقة المكتوبة بخطّ يد عليّ بن فضل الله بن هيكل الحلي[٢٣] أحد تلامذة ابن فهد الحلّي (٨٤١ هـ)[٢٤]، وقد شاهدها السيّد حسن الصدر وتحدّث عنها[٢٥].

واحتمل السيّد محمّد الغروي أن يكون تأسيس هذه المدرسة في القرن السابع[٢٦] نفسه، في حين أنّا لو أخذنا بنظر الاعتبار تعمير هذه المدرسة في سنة ٦٣٦ هـ فإنّ الأصحّ أن نقول بأنّ تأسيس هذه المدرسة كان في القرن السادس الهجري في الأقلّ.

أمّا اسم هذه المدرسة فقد ورد في بعض النسخ الخطّيّة[٢٧] بعنوان المدرسة الزينيّة[٢٨]، كما في خاتمة نسخة من كتاب (قواعد الأحكام) للعلاّمة الحلّي مكتوبة بخطّ أحمد بن محمّد شريف الديلمي وتاريخ كتابتها هو ١٨ رجب ٨٨٥.

صورة إنهاء الناسخ لمخطوطة كتاب قواعد الأحكام للعلاّمة الحلّي في سنة ٨٨٥

كما سمّيت هذه المدرسة في بعض النسخ الخطّيّة باسم مدرسة صاحب الزمان[٢٩]، كما في نسخة من كتاب المختصر النافع للعلاّمة الحلّي، حيث ورد في نهايتها أنّها قد تمّت كتابتها في ١٦ ربيع الأوّل من سنة ٩٥٧ في مدرسة صاحب الزمان بمدينة الحلّة[٣٠].

وهذا النصّ يشير إلى اتّصال هذه المدرسة بالمقام، كما هو الحال مع ما ورد في بعض النسخ الخطّيّة من أنّها كُتبت في المدرسة الزينيّة التي ورد التصريح بكونها تقع إلى جانب مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف[٣١].

فعلى سبيل المثال هناك نسخة من كتاب (الدروس الشرعيّة) للشهيد الأوّل يعود تاريخها إلى ١١ ذي الحجّة سنة ٧٩٨ مكتوبة بخطّ يد حسين بن محمّد بن الحسن الجُوَيّاني العاملي، وقد كُتبت في مدرسة الحلّة الواقعة بجوار «حرم مولانا وسيّدنا وإمام عصرنا محمّد بن الحسن صاحب الزمان صلّى الله عليه وعلى آبائه الطاهرين»[٣٢]. كما أنّ هذا الكاتب نفسه كان قد كتب أيضاً في شعبان سنة ٧٨٩ نسخة من كتاب (مصباح السالكين) لابن هيثم البحراني في هذا المكان أيضاً[٣٣].

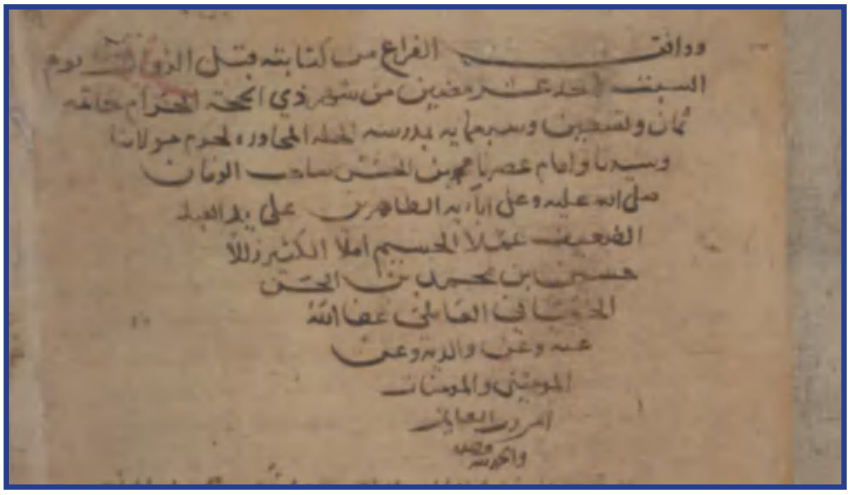

صورة إنهاء الناسخ لمخطوطة كتاب الدروس الشرعيّة في سنة ٧٩٨هـ

وعلى هذا فإنّ هذا المقام كان جزءاً من أحد المراكز العلميّة والثقافيّة الكبيرة الذي كان يحتوي على مسجد ومدرسة أيضاً. وهويّة هذه المجموعة هي هويّة شيعيّة تماماً، كما أنّ المكانة الخاصّة لهذا المسجد والمدرسة إنّما تعود إلى المقام المنسوب إلى الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو ما يعكسه تقرير ابن بطوطة عندما استعمل عبارتَي مشهد صاحب الزمان ومسجد صاحب الزمان بدلالةٍ واحدة على شيءٍ واحد.

وهناك ـ زيادة المخطوطات التي سبقت الإشارة إليها ـ عدد من النسخ الخطّيّة الأُخرى التي تمّت كتابتها في مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهناك مثلاً نسخة من

نهج البلاغة بخطّ نجم الدين أبي عبد الله الحسين بن أردشير الطبري الآبدارآبادي مكتوبة في سنة ٦٦١ تمّ استنساخها سنة ٦٧٧ بطلب وإجازة من نجيب الدين يحيى بن سعيد الحلّي (م ٦٩٠ هـ) في نفس هذا المقام[٣٤]، كما أنّ هناك نسختين أخريين يعود تاريخ كتابتهما إلى سنتَي ٧٢٣[٣٥] و ٧٨٦ الهجرة.

وعن مكان استنساخ هذه النسخ يمكن القول باحتمال أن تكون كتابتها قد تمّت في المقام نفسه، مثلما يمكن أن تكون قد كُتبت في المدرسة المجاورة له، ولكن لمّا كان المسجد والمدرسة متّصلين بالمقام، وجميعها بمثابة المركز الواحد، فيكون المراد من كتابتها في المقام هو كتابتها في المدرسة نفسها.

فمثلاً كتب حسين بن محمّد العراقي نسخةً من كتاب (قواعد الأحكام) في مدرسة صاحب الزمان سنة ٧٧٦ هـ، ثمّ قام جعفر بن محمّد العراقي ـ الذي يبدو أنّه أخوه ـ بعد عشر سنوات ـ أي في سنة ٧٨٦ ـ بكتابة نسخة من الكتاب نفسه في مقام صاحب الزمان وقابلها مع النسخة التي سبق ذكرها[٣٦]. وعبارتا مدرسة صاحب الزمان ومقام صاحب الزمان الواردتان في هاتَين النسختَين يمكن أن يكونا إشارةً إلى محلٍّ واحد.

وقام أبو محمّد الحسن بن ناصر الدين إبراهيم الحدّاد العاملي الذي كان في أوائل القرن الثامن يسكن في مدينة الحلّة مجاوراً لمقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف بكتابة كتاب (الدرّة النضيدة في شرح الأبحاث المفيدة للعلّامة الحلّي) الذي يبدو أنّ تصنيفه وكتابته قد تمّتا في المدرسة الزينيّة[٣٧].

والذي يؤسف له أنّه لم يبقَ الآن من المدرسة الزينيّة في مدينة الحلّة إلاّ بقايا آثار تقع في نهاية (سوق الهرج) في المدينة[٣٨]، ولكن ما نعرفه هو أنّ هذه المدرسة كانت عامرةً تمارس نشاطها حتّى القرن الحادي عشر[٣٩]، وكان لها عدد من الأراضي الموقوفة عليها حتّى العهد الأوّل من سيطرة العثمانيّين على العراق (٩٤٠

ـ ١٠٣٢)، حيث كانت أوقاف المقام عبارة عن ثمانية دكاكين وقطعتَي أرض[٤٠].

وكما يقول محمّد كاظم رحمتي فإنّ المدرسة الزينيّة صارت خَربَةً مهجورة في القرن الثاني عشر الهجري بسبب سياسة الدولة العثمانيّة المعادية للشيعة في تلك المدة[٤١].

بعض علامات سعة مقام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف في القرن العاشر:

رغم كون المقام متّصلاً بالمركز العلميّ الثقافيّ لشيعة الحلّة الذي يضمّ المسجد الجامع والمدرسة الزينيّة، بل هو في الواقع جزءٌ من هذه المجموعة، لكنّ مساحة المقام نفسه في السابق لم تكن تقتصر على هذه الغرفة الصغيرة والقبّة المبنيّة عليه[٤٢].

وهناك لوحة تصوّر واجهة المقام موجودة في النسخة الخطّيّة لكتاب بيان منازل سفر العراقَين الذي ألّفه نصوح مطراقچي (٩٧١هـ) والمحفوظة نسخته برقم ٥٩٦٤ في مكتبة جامعة إسطنبول تشير إلى أنّ بناية المقام في سنة ٩٤٣ ـ أي سنة تأليف الكتاب ـ كانت بناية كبيرة بثلاث قباب ومنارة واحدة[٤٣].

صورة لوحة مقام صاحب الزمان في مدينة الحلّة، الموجودة في مخطوطة بيان منازل سفر العراقَين

نتيجة البحث:

على الرغم من كون مقام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف في هذه الأيّام هو غرفة صغيرة لا تزيد مساحتها عن ٣٥ متراً مربّعاً وتقع في منطقة أغلب أهلها من السنّة؛ لكنّ التأمّل في ما ذكره ابن بطوطة عن زيارتيه لمدينة الحلّة، وكذلك وجود المخطوطات التي كانت كتابتها قد تمّت في المدرسة الزينيّة في الفترة الممتدّة من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريّين، كلّ ذلك يشير إلى أنّ المقام هو جزء من مركزٍ علميّ وثقافيّ لشيعة مدينة الحلّة، يضمّ فضلًا عن مسجداً ومدرسة.

كما أنّ المخطوطة المصوّرة لكتاب بيان منازل سفر العراقَين الذي تمّ تأليفه سنة ٩٤٣ من قبل نصوح المطراقچي تدلّ هي الأُخرى على أنّ هذا المقام كان في الماضي كبيراً وواسعاً.

والمأمول من المسؤولين العراقيّين وانطلاقاً ممّا يمثّله تاريخ هذا المقام المقدّس وهويّته الشيعيّة والمركز العلميّ والثقافيّ التابع له أن يبادروا إلى توسعة هذا المقام وعمارته، وإعادة مسجد جامع الحلّة الكبير إلى الشيعة، وإحياء المدرسة الزينيّة.

الهوامش

(١) راجع: أطلس الشيعة (بالفارسيّة)، ص ٣٧٤؛ موسوعة العالم الإسلامي (بالفارسيّة)، ١٤/ ٤١ ـ ٤٥، (الحلّة)؛ و ص ٣٩٧ ـ ٤٠٠، (الحوزة العلميّة، القسم السادس، الحلّة)؛ وراجع لمزيد الاطّلاع: الشيعة من سقوط بغداد حتّى ظهور الصفويّة (بالفارسيّة)، ص ١٥٦ ـ ١٦٩.

(٢) أنظر: مراحل التطوّر التاريخي لمدرسة الحلّة (بالفارسيّة)، ص ٨٧ ـ ٨٩.

(٣) النجم الثاقب، ٢/ ١٣٨.

(٤) تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ص ٧٩، ٩٥.

(٥) تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ص ٨٩ ـ ٩١ و ١٢٧؛ مقام الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف بين إهمال المعنيّين وقلّة معرفة المحبّين بمكانه، ص ٤٨ و ٥٠.

(٦) رحلة ابن بطوطة، ص ٦٨١ ـ ٦٨٢.

(٧) حول أكراد الحلّة أنظر: الإمارة المزيديّة الأسديّة في الحلّة، ص ٢٢٤ ـ ٢٣٣.

(٨) حول الجامِعَين، أنظر: موسوعة العالم الإسلامي بالفارسيّة، ١٤/ ٤١ ـ ٤٢، (الحلّة).

(٩) رحلة ابن بطوطة، ص ٢١٤ ـ ٢١٥؛ والرحلة بالفارسيّة، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(١٠) رحلة ابن بطوطة، ص ٦٣٧؛ والرحلة بالفارسيّة، ص ٧٦١ ـ ٧٦٢.

(١١) موسوعة العالم الإسلامي بالفارسيّة، ١٤/ ٤٣، (الحلّة).

(١٢) التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شُبَه الأعْور، ص ٥١٦ ـ ٥١٨.

(١٣) رحلة ابن بطوطة، ص ٥٩٨.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٦٨١.

(١٥) يُنظر: تاريخ التشيّع في إيران بالفارسيّة، ٢/ ٦٩٤ ـ ٦٩٧.

(١٦) كانت بداية رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥، أي بعد خمس سنوات من وفاة ريكولدو دامونته كروس. رحلة ابن بطوطة، ص ١٠.

(١٧) يُنظر: بحوث الغربيّين حول الشيعة بالفارسيّة، ص ٦٠.

(١٨) الرحلة بالفارسيّة، ص ١٩، مقدّمة المترجم.

(١٩) يُنظر: مأساة العالم الإسلامي، ١/ ٢٣.

(٢٠) ويكي الحجّ والزيارة، تحت عنوان مقام الإمام المهدي في الحلّة.

(٢١) يُنظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة، ص ٩٥ ـ ١٠٧.

(٢٢) راجع حوله: مراحل التطوّر التاريخي لمدرسة الحلّة بالفارسيّة، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٢٣) راجع عنه وعن آثاره: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٢٤) كان ابن فهد واحداً من أساتذة هذه المدرسة. الموسوعة الإسلاميّة الكبرى بالفارسيّة، (ابن فهد الحلّي).

(٢٥) تكملة أمل الآمل، ٤/ ٤٢٥.

(٢٦) مع علماء النجف الأشرف، ١/ ١٥٩.

(٢٧) المدرسة الزينيّة في الحلّة بالفارسيّة، ص ١٦١ ـ ١٦٧.

(٢٨) ورد اسم هذه المدرسة في بعض المصادر بعد تصحيفه باسم المدرسة الزينبيّة؛ أنظر على سبيل المثال: التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شُبَه الأعور، ص ١٤.

(٢٩) راجع: أعيان الشيعة، ٩/ ١٥٩؛ مكتبة العلاّمة الحلّي، ص ١٤٣ ـ ١٤٤؛ وانظر أيضاً: المدرسة الزينيّة في الحلّة بالفارسيّة، ص ١٦٠، الهامش ٢، والصفحة ١٦٦.

(٣٠) النسخة رقم ٨٧٥٠ في مكتبة كلّيّة الإلهيّات والمعارف الإسلاميّة في مشهد، من مجموعة عبد الحميد المولوي. يُنظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة، ص ٤٨ ـ ٤٩.

(٣١) أنظر: المدرسة الزينيّة في الحلّة بالفارسيّة، ص ١٦٥.

(٣٢) النسخة رقم ١٦٣ ج، في مكتبة كلّيّة الإلهيّات بجامعة طهران. أنظر: المدرسة الزينيّة في الحلّة بالفارسيّة، ص ١٦٣.

(٣٣) أسرة آل حسام الشيعيّة من جبل عامل بالفارسيّة، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(٣٤) مراحل التطوّر التاريخي لمدرسة الحلّة بالفارسيّة، ص ١٩٠. وقد شاهد الأفندي هذه النسخة في أصفهان. رياض العلماء، ٢/ ٣٦. ولمزيد التفصيل يُنظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة، ص ٢٩ ـ ٣٥.

(٣٥) نسخة من كتاب تحرير الأحكام الشرعيّة بخطّ محمود بن محمّد بن بدر. مكتبة العلاّمة الحلّي، ص ٧٩. ولمزيد التفصيل يُنظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة، ص ٤٢ ـ ٤٦.

(٣٦) مكتبة العلاّمة الحلّي، ص ١٤٣ ـ ١٤٤. وللتفصيل أكثر يُنظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة، ص ٤٦ ـ ٤٨.

(٣٧) أعيان الشيعة، ٩/ ١٧٨ ـ ١٧٩. ولمزيد

التفصيل يُنظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ص ٣٥ ـ ٤٢.

(٣٨) تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ص ١١٧.

(٣٩) المدرسة الزينيّة في الحلّة بالفارسيّة، ص ١٥٩.

(٤٠) الوقف في إيالات العراق خلال العهد العثماني الأوّل، ص ١٠١، ١٢٤.

(٤١) مقتبس من حوار المؤلّف مع محمّد كاظم رحمتي بتاريخ ٨ / ٨ / ١٤٠٠ ش. وانظر: تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ص ١١٣ ـ ١١٧.

(٤٢) تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الحلّة، ص ١٢٨.

(٤٣) يُنظر: بيان منازل سفر العراقَين، في: hzrc.ac.ir/post/22236.

المصادرُ والمراجعُ:

(١) رحلة ابن بطوطة؛ أبو عبد الله محمّد بن عبد الله ابن بطوطة، بيروت ـ دار التراث، ١٣٨٨.

(٢) سفرنامه (= الرحلة)؛ ابن بطوطة، ترجمة محمّد علي موحّد؛ طهران، مركز الانتشارات العلميّة والثقافيّة، ١٣٦١ ش.

(٣) رياض العلماء وحياض الفضلاء؛ عبد الله بن عيسى بيك الأفندي، تحقيق السيّد أحمد الحسيني الإشكَوَري؛ بيروت، مؤسّسة التاريخ العربي، ١٤٣١هـ.

(٤) أعيان الشيعة؛ السيّد محسن الأمين، تحقيق: السيّد حسن الأمين؛ بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ١٤٠٣.

(٥) الوقف في أيالات العراق خلال العهد العثماني الأوّل، عصام صلاح الدين علي البيّاتي، بغداد، مركز البحوث والدراسات الإسلاميّة، ٢٠١٢ م.

(٦) اطلس شيعه (= أطلس الشيعة)؛ رسول جعفريان، طهران، الإدارة الجغرافيّة في القوّات المسلّحة، ١٣٨٧ ش.

(٧) تاريخ تشيّع در ايران (= تاريخ التشيّع في إيران)؛ رسول جعفريان، قم، أنصاريان، ١٣٨٤ ش.

(٨) جريان‌شناسى تاريخى مدرسه حله (= مراحل التطوّر التاريخي لمدرسة الحلّة)؛ محمّد حاجي تقي، قم ـ مركز أبحاث الحوزة والجامعة، ١٣٨٦ ش.

(٩) التوضيح الأنور بالحجج الواردة لدفع شُبَه الأعْور؛ خضر بن محمّد الرازي الحَبْلَرودي، تحقيق السيّد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ٢٠٠٣م.

(١٠) الدروس الشرعيّة؛ شمس الدين محمّد بن مكّي العاملي الجزّيني الشهيد الأوّل، النسخة رقم ١٦٣ ج في مكتبة كلّيّة الإلهيّات بجامعة طهران.

(١١) تكملة أمل الآمل؛ السيّد حسن الصدر، تحقيق: د.حسين علي محفوظ وعبد الكريم الدبّاغ وعدنان الدبّاغ؛ بيروت ـ دار المؤرّخ العربي، ١٤٢٩هـ.

(١٢) مكتبة العلاّمة الحلّي؛ السيّد عبد العزيز الطباطبائي، قم ـ مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤١٦هـ.

(١٣) انشنامه جهان اسلام (= موسوعة العالم الإسلامي)؛ ستّار عودي، (الحلّة)؛ إشراف: غلام علي حدّاد عادل؛ طهران ـ مؤسّسة دائرة المعارف الإسلاميّة، ١٣٨٩ ش.

(١٤) مع علماء النجف الأشرف؛ السيّد محمّد الغروي، بيروت ـ دار الثقلين، ١٤٢٠هـ.

(١٥) پژوهش‌هاى غربيان در باب شيعه (= بحوث الغربيّين حول الشيعة)؛ أتان كولبرغ، ضمن كتاب فيض كاشانى از منظر خاورشناسان (= الفيض الكاشاني في رأي المستشرقين)، من تأليف عبّاس أحمدوند وسعيد طاوسي مسرور، طهران ـ مدرسة الشهيد مطهّري العالية، ١٣٨٨ ش.

(١٦) المختصر النافع؛أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن المحقّق الحلّي، النسخة رقم ٨٧٥٠ في مكتبة كلّيّة الإلهيّات والمعارف الإسلاميّة بمدينة مشهد، من مجموعة عبد الحميد مولوي.

(١٧) الحوزة العلميّة، القسم السادس، الحلّة؛ ضمن: دانشنامه جهان اسلام (موسوعة العالم الإسلامي)؛ مزيناني، تحت إشراف: غلام علي حدّاد عادل؛ طهران ـ مؤسّسة دائرة المعارف الإسلاميّة، ١٣٨٩ ش.

(١٨) تراژدى جهان اسلام (=مأساة العالم الإسلامي)؛ محسن حسام مظاهري، أصفهان ـ آرما، ١٣٩٧ ش.

(١٩) الإمارة المزيديّة الأسديّة في الحلّة؛ عبد الجبّار ناجي، قم ، ١٤٣١.

(٢٠) النجم الثاقب؛ حسين النوري، تحقيق السيّد ياسين الموسوي؛ قم ـ أنوار الهدى، ١٤١٥.

(٢١) شيعيان از سقوط بغداد تا ظهور صفويه (= الشيعة من سقوط بغداد حتّى ظهور الصفويّة)؛ محسن الويري، طهران ـ جامعة الإمام الصادق عليه السلام، ١٣٨٣ ش.

المواقع الالكترونية:

١. تاريخ مقام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الحلّة؛ أحمد علي مجيد الحلّي، مركز الدراسات التخصّصيّة في الإمام المهدي، في: https://lib.eshia.ir/27022/1/0. (=تاريخ التحديث: ٩ / ٨ / ١٤٠٠ ش).

٢. بيان منازل سفر عراقَين سلطان سليمان خان (=بيان منازل سفرة السلطان سليمان خان للعراقَين)؛ نصوح مطراقچي، في: hzrc.ac.ir/post/22236. (=تاريخ التحديث: ٩ / ٨ / ١٤٠٠ ش).

٣. ويكي الحجّ والزيارة؛ تحت عنوان (مقام الإمام المهدي فى الحلّة)؛ في: wikihaj.com. (=تاريخ التحديث، ٧ / ٨ / ١٤٠٠ ش).

الدوريات:

١. مهدي الرجائي؛ قم ـ مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٤٢٤.

٢. آل حسام الدين خاندانى شيعى از جبل عامل (=عائلة آل حسام الشيعيّة من جبل عامل)؛

محمّد كاظم رحمتي، مجلّة ميراث شهاب، العدد ٨٣، ربيع ١٣٩٥ ش.

٣. مدرسه زينيه حله (=المدرسة الزينيّة في الحلّة)؛ محمد كاظم رحمتي، مجلّة ميراث شهاب، العدد ٨١ ـ ٨٢، خريف وشتاء ١٣٩٤ ش.

٤. مقام الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه بين إهمال المعنيّين وقلّة معرفة المحبّين بمكانه؛حسنين زكروطي، مجلّة الأحرار، العدد ٧٨٩، ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٩٣.

شعرُ يَحيَى بنِ البِطْرِيقِ الحِلِّي

(ت ٦٠٠هـ)

جمع تحقيق

د. سعد الحداد

مركز العلّامة الحلي ﷺ

saadAlhadad@gmail.com

رابط البحث: https://doi.org/ 10.62745/muhaqqiq.v11i29.429

الملخص

يَحيَى بن البطريق الحلي (ت ٦٠٠هـ) من أسرة علمية بارزة في الحلة، وقد عُرِفَ فقيهًا عالمًا ذائع الصيت، وله مكانة كبيرة، واشتهر بكتابه (العمدة)، وغيره من المصنفات المهمة.

ويتناول هذا البحث جانبًا آخر من جوانب علمه، وهو الشعر، إذْ حاولنا جَمْعَ شعره وتوثيقه من المصادر الموثوقة.

وقد تمكنَّا بعد جهدٍ طويل من الوقوف على (٤٩) نصًّا له، وقد أوردناها على وفق المنهج العلمي في تحقيق النصوص ونشرها.

الكلمات المفتاحية:

ابن البطريق،الحلة، آل البيت عليهم السلام، العمدة.

The Poetry of Yahya ibn al-Batriq al-Hilli: Collection and Critical Edition

Collection and Critical Editing: Dr. Saad Al-Haddad
Allama al-Hilli Center
saadAlhadad@gmail.com

Abstract

Yahya ibn al-Batriq al-Hilli (d. 600 AH) belonged to a prominent scholarly family in Hilla. He was renowned as a distinguished jurist and scholar of considerable standing and was particularly well known for his work al-ʿUmdah, in addition to several other important scholarly compilations.

This study examines another dimension of his scholarly legacy, namely his poetry. It seeks to collect and authenticate his poetic works on the basis of reliable and authoritative sources.

After extensive research, the study identified 49 poetic texts attributed to him. These texts have been presented in accordance with established scholarly methods for the critical editing, verification, and publication of classical texts.

Keywords:

Ibn al-Batriq; Hilla; Ahl al-Bayt; al-ʿUmdah.

بسم الله الرحمن الرحيم

اسمُهُ ولقبُهُ:

(أَبو الحسين) أو (أَبو زكريَّا) يَحيَى بْنُ الحَسَن بن الحُسَين بْن عَليِّ بْن مُحَمَّد – ويُلَقَّبُ: البِطْرِيْق – ابْن نَصر بْن حَمدونَ بْن ثَابت بن مَالِك بْن لَيث بْن عَامر بْن غَنَم بْن فِهْر بْن دَجَلَة بْن بِشْر بْن مُعاوية بْن بَدر بْن ثَعلَبَة بْن حِبَال بْن نَصر بْن سُوَاة بْن سَعد بْن مَالك بْن ثَعلَبَة بْن دُوَدَان بْن أَسَد بْن خُزَيمَة بْن مُدرِكَة بْن اليَاس بْن مُضَر بْن نِزَار بْن مَعَدِّ بْن عَدنَان، أَبو الحُسين، وأَبو زَكَرِيَّا الأَسَدِيُّ[1]، الحِلِّيُّ الرَّبَعِيُّ[2].

و«البطريق» نسبة إلى قبيلة من بَني أَسد[3]، وهي من البيوتات العلميَّة التي برزت في الحلة، «منَ الشِّيعةِ الإماميَّة، بَيتُ علم وفَضل وأَدَب»[4] نبغَ فيها مجموعةٌ منَ العلماءِ الأَجلَّاءِ الفضَلاء، وفي مقدِّمتهم الشَّيخ يَحيى ووَلَدَاهُ الشَّيخ عليّ والشَّيخ محمَّد.

واشتهر من أَلقابه (الحافظ) و(شمس الدِّين) و(شرف الدِّين) كما جاء في الإجازات[5].

ولادته:

لا خِلافَ على مَكان وسَنَة ولادته في الحِلَّة المزيَدِيَّة سَنَةَ ٥٢٣هـ، ونَشأَتُهُ بها[6]. وقرأَ النحوَ واللغةَ، وتعلَّمَ النَّظمَ والنَّثرَ، وجَدَّ في القراءة والمطالعة. وأَخذَ الفقهَ والكلامَ على سَديدِ الدِّين أَبي الثَّناء محمود الحُمُّصي الرَّازي (كان حيًّا ٥٨٥هـ)[7]. وقرأَ الفقه على مَذهبِ الشِّيعة وبَرَعَ فيه، وكانَ قدوةً في المَذهَب، وإمامًا من أَئمَّتهم، وكانت إليه الفَتوى فيه.

وكان يَتَزَهَّدُ ويَتَنَسَّكُ. و(سكنَ بغدادَ بُرهَةً منَ الزَّمن)[8]. ومَضَى إلى واسطَ،

وأَقَامَ عشرينَ سنةً، ثمَّ عادَ إلى الحِلَّةِ فمَكثَ فيها قليلًا. ثمَّ فارقَها وقَدِمَ الى المَوصِلِ ثُمَّ الى حَلب واستوطنَها مدَّةً ثُمَّ رحلَ عنها. والتقى فيها رشيدَ الدِّينِ محمَّد بنِ علي شهر آشوب، والسَّيد مُحبِّي الدِّين محمَّد بنِ زهرةَ الحَلَبيّ [٩].

أَقولُ لعلَّ نُزوحَهُ إلى تلكَ البلدانِ وإقامتَهُ فيها لم يكن لطلبِ الحديثِ أَو الإفادَةِ مِن العلماءِ والحُفَّاظِ الموجودينَ في تلك المُدُنِ حصرًا، بل هروبٌ من الفوضى التي أَحدثَها الخليفةُ العباسيُّ المُستَنجدُ باللّهِ وأَمرهُ بإهلاك بني أَسد أَهل الحِلَة المزيديَّة سنة٥٥٨هـ، واستيلائِهِ على الحِلَّةِ بعد قتلِ أَربعةِ آلاف حليٍّ، ونزوح الكثيرِ منَ الحلّيينَ إلى بقاعٍ مختلفة[١٠].

وفاته:

توفي الشَّيخُ يَحيى بنُ البِطْريق في مَسقطِ رأسِه الحِلَّة المزيديَّة، سنة ست مئة على الأَشهَرِ المتواترِ نقلًا عن الصَّفدي[١١]، لكنَّ الأَقدم منه، أَعني ابنَ الشَّعارِ الموصلي أَشار بصريح العبارة «كانتْ وفاتُهُ في سنةِ إحدى وست مئة»[١٢] من دونَ الإشارة إلى سنة ولادتِه، بل قالَ: «وعَلت سِنُّهُ حتَّى بلغَ الثمانين سنة»[١٣]، في حين قالَ العَسقَلاني: «كانت وفاتُه في شعبانَ سنة ست مئة، وله سبعٌ وسَبعونَ سنة»[١٤].

يُذكر أَنَّ الصفدي ثبَّتَ في ترجمةِ ابن بطريق تاريخَ وفاتِه باليوم والشَّهرِ والسَّنة، فقالَ:«توفي سنةَ ست مئة في رابع عشر شعبان»[١٥]. ولم يُشرْ أَحدٌ سواهُ إلى هذا التاريخ. غير أَنَّه اختلفَ معَ الآخرين في تحديدِ مكانِ وفاتِه حينَ قالَ: «وسكنَ واسط إلى أَن توفي سنة ست مئة»[١٦]. وقال المهاجر: (توفي في واسط)[١٧].

وقال إسماعيل باشا متفرِّدًا:«وفاتُهُ بحدود ٦٠٥ هـ»[١٨]. بل ذهبَ بعضُ

المؤرِّخينَ والمحققينَ المعاصرينَ الى أَبعدِ من ذلكَ وأَرَّخوا وفاته في « شعبان سنة ٦٠٦ »[١٩] ، أَو سنة ٦١٦هـ[٢٠] من دون دليلٍ يُذكر.

ونرى أَنَّ سنةَ الوفاةِ هي ما قالَهُ ابنُ الشَّعار لأَنَّه أَقربُ عهدًا الى ابن بطريق، وما كتبَهُ عنهُ له السَّبقُ والتّفرّدُ فيها. معَ الاستئناسِ بما قَرَّرهُ الصَّفدي باليوم والشهر، وعليه يكونُ تاريخُ وفاةِ الشَّيخِ يحيى بن البِطْريق هو الرابع عشرَ من شَعبانَ سنةِ إحدى وست مئة في الحلَّةِ، واللهُ أَعلمُ.

أولاده:

خَلَّفَ الشيخ ابن بطريق ولدين هما علي ومحمَّد، اشتهر منهما الشَّيخ أَبو الحسن علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين بن بطريق الحلِّي الكاتب، فقيه الشيعة، كتب بالديار المصرية أَيام الدولة الكامليَّة، ومدح الملك الكامل صاحب مصر، كان فاضلًا ذكيًّا، جيِّد النَّظم والنَّثر، توفي عام ٦٤١هـ[٢١]، وقد جمع شعره ودرسَهُ الدكتور عباس هاني الجراخ[٢٢].

أَما ولده محمَّد فلم يُذكر إلَّا اسمًا، ربَّما لم يكن من المشتغلين بالعلم والأَدب، أَو كان منزويًا زاهدًا كما كان والده زاهدًا متنسكًا، ولعل الأَيام تكشف عن سيرته. واكتفى السيد الصدر في ترجمه أَخيه علي لقوله: «ذكر بعضهم محمد بن يحيى »[٢٣]. ونعت السيد كمال الدين الشيخ يحيى وولديه بقوله:« كان ولداه النبيلانِ [علي] ومحمَّد بن يحيى من أَشهر أَعلام هذه الأسرة العلميَّة الكريمة»[٢٤].

بعضُ ما قيلَ مِن ثناءٍ فيه:

قالَ ابن الشعار الموصلي: « كان عالمًا فقيهًا قدوةً في مذهب الشيعة، إمامًا من أَئمتهم،... وكانَ حَسنَ المذهب، طيّب المعاشرة... وكانَ شاعرًا أَديبًا»[٢٥].

ونعته الصفدي بقوله: «وكانت إليه الفتوى في مذهب الشيعة، وله نظم ونثرٌ وخطبٌ، وكان يتزَهَّدُ ويَتَنسَّكُ، وجمع مناقبَ علي بن أَبي طالب عليه السلام»[٢٦].

ووصفه ابن حجر العسقلاني بقوله: «وجَدَّ حتَّى صارت إليه الفتوى في مذهب الإمامية، وكان يتزَهَّدُ ويَتَنسَّكُ»[٢٧].

وقال الشَّيخ العاملي: «كانَ عالمًا، فاضلًا، مُحدِّثًا، مُحقِّقًا، ثِقَةً، صَدوقًا»[٢٨].

ونعته الافندي: بـ«المتكلِّم الفاضلِ، العَالِمِ، المُحَدِّثِ الجليلِ، المَعروف بابن البِطْريق..... وقد رأيتُ في بعض المواضع في مَدحِهِ هكذا: الإمامُ الأَجلُّ شمسُ الدِّينِ جَمالُ الاسلام، العَالِمُ الفَقيهُ، نَجمُ الاسلامِ، تاجُ الأَنامِ، مُفتِي آلِ الرَّسول»[٢٩].

وجاء في روضات الجنات: «في بعض كتب الاجازات اكتناء الرجل بأَبي زكريا، وفي بعضِها تلقّبه بشمس الدِّين، شرف الإسلام».

وقال السيد الصدر: «وهو أَشهر من أَن تُشرحَ أَحوالهُ، مِن كبار شيوخ الشِّيعة عليه السلام»[٣٠].

مصنفاتُهُ:

أَوَّلُ مَن أَشار الى تآليفه ابنُ الشَّعار الموصلي قائلًا: «صَنَّفَ كتبًا حسنةً... صار إليَّ من تصنيفه كتاب كبير لقبه (العمدة)....» وصنَّف كتابًا آخر أَسماه بـ«مستدرك....»[٣١]. وذكر الميرزا الخوانساري عددًا آخر من التصانيف[٣٢].

وأَشار صاحب الرياض الى..... فضلًا عن كتاب مستخرج من بطون الكتب. فتكون تآليفه كما في أَدناه:

١- خصائصُ الوحي المُبين[٣٣]. (مطبوع)

٢- العُمدة من عيون الأَخبار في مَناقبِ إمام الأَبرار[٣٤].(مطبوع)

٣ - المستدرك المختار في مناقب وصي المختار[٣٥].(مطبوع)

٤ - الرّدُّ على أَهل النَّظر في تَصفّحِ أَدلَّة القَضاءِ والقَدَر[٣٦].

٥- اتفاق صحاح الأثر في إمامة الأئمة الاثني عشر[٣٧].

٦ - نهج العلوم إلى نفي المعدوم، المعروف بـ(سؤال أَهل حلب)[٣٨].

٧- تصفّح الصَّحيحين في تحليل المتعتين[٣٩].

٨ - عيون الأَخبار[٤٠].

٩ - رجال الشِّيعة[٤١].

١٠ - كشف المخفي عن مناقب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف[٤٢].

١١- تاريخ ابن بِطريق[٤٣].

١٢- المناقب [جمعه من أَخبار المخالفين في الإمامة][٤٤].

مشايخه وأَساتذته:

قرأ الحافظ الشَّيخ يحيى ابن بطريق الحلِّي على عدد من علماء الشيعة والسنَّة وأَخذ عنهم الحديث والتفسير والفقه، أَمَّا مشايخه من العامة فقد ذكر أَسماءهم عند ذكر طرقه إلى الصِّحاح السِّتة في مقدمة كتابيه (العمدة) و (الخصائص).

وكان العلامة المحقق الشَّيخ جعفر سبحاني قد بذل جهدًا طيبًا في ذكر عدد

منهم في تقديمه لكتاب ابن بطريق (خصائص الوحي المبين)[٤٥]، وحاولت استقصاء أولئك الأَعلام من مظان الكتب، مضيفًا عليهم بعض الأَعلام.

١ - الشَّيخ سديد الدِّين أَبو الثناءِ محمود بن عليّ بن الحسنِ الحُمُّصيّ الرَّازي (حيًّا ٦٠٠هـ) صاحب كتاب (المنقذ من التقليد)المعروف بـ(التعليق العراقي)[٤٦].

٢- الشيخ عماد الدين الطبري (ت ٥٥٤هـ) صاحب كتاب (بشارة المصطفى) تلميذ الشيخ أَبي علي ابن الشيخ الطوسي، كما يظهر من إجازة الشَّيخ محمَّد سبط الشهيد الثاني، للمولى محمَّد أَمين الاسترآبادي [٤٧].

٣- الشيخ رشيد الدِّين أَبو عبد الله محمَّد بن علي بن شهرآشوب السروي (ت٥٨٨هـ) صاحب مناقب آل أَبي طالب [٤٨].

٤-الشَّيخ العدل أَبو جعفر إقبال بن المبارك بن محمَّد العكبري الواسطي، روى عنه في جمادى الأولى من شهور عام ٥٨٤هـ[٤٩].

٥-الشَّيخ الإمام أَبوبكر عبد الله بن منصور بن عمران الباقلاني، روى عنه الجمع بين الصحاح الستة في شهر رمضان سنة ٥٧٩هـ [٥٠].

٦- السَّيد الأَجل العالم نقيب النّقباء مجد الدِّين أَبو عبد الله أَحمد بن الطاهر الأَوحد، وهو يروي مسند أَحمد عن طريقه[٥١].

٧- السَّيِّد الأَجل محمَّد بن يحيى بن محمَّد بن أَبي السبطين العلوي البغدادي، يروى عنه تفسير الثعلبي الموسوم بالكشف والبيان في صفر سنة ٥٨٥هـ[٥٢].

٨- الشَّيخ الإمام المقري أَو جعفر المبارك بن أَحمد بن المبارك بن رزيق الحداد الواسطي، روى عنه الجمع بين الصّحاح الستة في سلخ صفر سنة ٥٨٥هـ[٥٣].

٩- أَبو الغنائم ابن الحَلَّابة، قرأَ عليه بالروايات[٥٤].

الرَّاوون عنه :

لقد تتلمذ على يد الشيخ يحيى بن البطريق وروى عنه طائفة من الأعلام، منهم:

١- الشيخ أَبو الحسن نجم الدين علي بن يحيى بن الحسن بن الحسين بن بطريق، (ولده)، (ت٦٤١هـ)[٥٥]. قرأ الشَّيخ أَحمد بن إبراهيم العفيف الموصلي كتاب العمدة عليه، وكتب عليه إجازة، وهذه صورتها:

«قرأ عليَّ الأَجلُّ الأَوحدُ العَالمُ العَامِلُ الوَرعُ كمالُ الدِّين عِزُّ الإسلام كَهفُ الطائفة أَبو العباس أَحمد بنُ الأَجلِّ تاج الدِّين إبراهيمَ بن أَحمدَ بن الأَجلِّ العَفيفِ الموصليّ أَدام الله سعادتَهُ وبلّغهُ إرادتَه، من أَوَّل هذا الكتاب وهو كتاب العمدة في عيون صحاح الأَخبار تأليف والدي رحمه الله إلى فصل: «أَنَّه عليه السلام أَوَّل مَن أَسلم»، وأَذِنْتُ له أَن يروي ذلك عنِّي وعن والدي المصنِّف بالقراءة[٥٦].

٢- الشريف النقيب الأَجل السَّيد جمال آل الرسول صلى الله عليه وآله فخر الدين أَبو الوفا عبيد الله بن علي بن زيد بن محمد الحسيني الموصلي[٥٧].

٢- الشَّيخ الفقيه أَبو الحسن علي بن يحيى بن علي الخيَّاط (الحَنَّاط) السوراوي، كما في إجازة العلَّامة الحلي لبني زهرة[٥٨].

٣- السَّيد شرف الدين عبد الحميد فَخَار بن مَعدٍّ بن فخار بن أحمد العلوي الموسوي الحائري (ت٦٣٠هـ)، وهو يروي عن جماعة منهم والده مَعَدّ بن فَخَار وأَبو المكارم حمزة بن زهرة ويحيى بن علي بن البطريق[٥٩].

٤- السَّيِّد نجم الدين محمَّد بن أَبي هاشم العلوي قرأ عليه رجال الكشي رابع عشر ربيع أَول ٥٧٧هـ،وكتب شهادة القراءة له في عدة

مواضع. من صورته [بلغ المقابلة بقراءة السَّيِّد نجم الدين محمَّد بن أَبي هاشم العلوي دام توفيقه. كتبه يحيى بن الحسن بن بطريق][٦٠].

٥ – السَّيد صفي الدين أَبو جعفر محمَّد بن مَعَدّ بن علي بن رافع بن معد الموسوي(ت٦٢٠هـ)، من تلاميذ ابن البِطْريق، ويروي عنه وعن ابن ادريس [٦١].

٦– السَّيد محيي الدين أَبو حامد محمَّد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني الحلبي، وهو يروي عن الشيخ ابن البِطْريق كما يظهر من إجازة الشَّيخ محمَّد سبط الشهيد الثاني، للمولى محمَّد أَمين الاسترآبادي [٦٢].

٧ـ الفقيه مجد الدين أَبو المكارم أَحمد بن الحسين بن علي أَبي الغنائم كما يظهر من أَسانيد بعض أَحاديث كتبه [٦٣].

٨– الشريف الفقيه عز الدين أَبو الحرث محمد بن الحسن بن علي الحسيني العلوي البغدادي [٦٤].

٩– يحيى بن حميدة،ابن أَبي طي الحلبي(حيًّا حدود ٦٠٠هـ)[٦٥].

وقفات:

١ – (يحيى بن البطريق) عُرِفَ بهذا الاسم واللقب اثنانِ آخَران، وكلاهما متقدِّمان زمنًا على ابن البطريق الحِلّي، الأَول عراقيٌّ والثاني شامي، وهما:

الأَول: يحيى بنُ البِطريق، مترجم، آشوري عراقي، تفوق في ترجمة الكتب الإغريقية القديمة إلى العربية، وكان رائدا في حركة الترجمة اليونانية العربية أيام الدول العباسية. كان ألكن اللسان في العربية. وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب، كان مولًى للمأمون. يُعرف أَيضًا بـ(يوحنا الترجمان). ترجم معظم الكتب الطبية لجالينوس و ابيقراط، كما ترجم كتاب المقالات الأَربع لبطليموس. توفي ببغداد نحو سنة ٢٠٠ هجرية[٦٦].

والثاني: يحيى بنُ البِطريق الطَّرَسُوسيُّ الدمشقيّ، أَبو القاسم، كان حافظًا للقرآن،مستورًا. توفي في رمضان سنة ٥٣٤هـ[٦٧].

٢- نسب السيد محمد رضا الجلالي رحمه الله في كتابه المستخرج (كَشْف المَخْفِيّ من مناقب المَهْدِيّ عجل الله تعالى فرجه الشريف)[٦٨] كتابًا آخر للشيخ يحيى ابن بطريق وهو: شرح (عمدة الحكّام ومرجع القضاة في الأحكام) لمحمد بن أَبي بكر بن داود بن عبد الرَّحمن العلوانيّ الحَمَويّ، وهو منظومة في الفقه أَوَّلها: الحمد لله المحيط علما.. إلخ. نقله عن معجم المؤلفين لكحّالة[٦٩].

أَقولُ: كيف يُعقلُ أَنْ يشرحَ الشَّيخ يحيى ين البِطْريق المتوفَّى سنة ٦٠١هـ كتابًا صدر بعد وفاته بعدَّة قرون!؟ فالمؤلف هو محمَّد بن أَبي بكر بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق بن عبد الرحمن العلواني الحموي الدمشقي، توفي في ٢٣ شوال ١٠١٦هـ كما في كتب التراجم. فهذا لَبْسٌ من صاحب معجم المؤلفين، وربما كان الشرح ليحيى آخر فأَدرجه سهوًا.

٣- تفرَّد الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٣ بقوله:« أَبو الغنائم ابن الحَلَّابة، قرأَ عليه بالروايات»، ولم نعثر له على ترجمة لتعدد الاسم في عصره وتشابهه. والأَقرب الى بلدته وعصره والله أَعلم، هو أَبو الغنائم سعيد بن حمزة النيلي، المولود سنة ٥١٨ في النيل والمتوفى سنة ٦١٣هـ في بغداد. خدم في الأمور السلطانية، وكان كاتبًا، انتقل الى الشام لطلب الحديث وعاد الى وطنه، سمع الحديث من أَبي المظفر الدقاق وأَبي عبد الله محمَّد الحراني.

شعره:

قال الحافظ شمس الدين يحيى بن الحسن الأَسدي الرَّبَعِي الحِلّي الشَّهير بـ(الحافظ ابن البِطْريق الحِلّي) في مقدمة كتابه (خصائص الوحي المبين) بعد أَن استعرض خطة كتابه ونهجه الذي سلكه في مصنفه في الحديث عن مناقب الوصي المختار أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب عليه السلام، أَنهى كلامه بقوله: «وكلُّ نظم يأتي [في] اعجاز الفصول فهو أَيضًا لنا حِلّه» (٧٠). وهذا تصريحٌ بيِّنٌ أَنَّ الأَبيات الواردة في خاتمة كلِّ فصلٍ هي من نَظمِه، لذا فهو لم يُشر الى ناظمِها كعادته في ايرادِ شِعره كما في المستدرك المختارِ أَو شعره غيره في مصنفاته.

وأَوَّل من نشر طائفةً من شِعره ابنُ الشَّعار الموصلي (ت٦٥٤هـ)، قدّم لها بقوله: «كان شاعرًا أَديبًا.... ومن شعره ما أَنشدني الشَّريفُ النَّقيبُ الأَجلُّ العالم السَّيدُ جمالُ آلِ رسول الله صلى الله عليه وآله فخر الدين أَبو الوفاء عبيد الله بن علي بن زيد بن محمد بن عبيد الله الحسيني الموصليُّ بها رحمه الله، قال: قرأ على يحيى بن الحسن الأَسديِّ لنفسه وأنا أَسمع في مدح أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب (كرم الله وجهه)(٧١).

وأَوردَ لهَ ستَ مقطوعاتٍ، قوامُها واحدٌ وعشرونَ بيتًا، أَشرنا إليها في أَماكنها من المجموع الشِّعري.

عملنا في هذا المجموع:

٤- تخريج النصوص من مصادرها.

١- ضبط النَّص عروضيًّا، والاشارة الى الخَللِ العروضيِّ حيث وجد.

٢- ضبط النَّص نحوًا ولغةً، والاشارة الى بعض الاشكالات الواردة في النصوص.

٣- استخراج البحور الشِّعريَّة للنصوص.

٥- الاشارة الى الآيات القرآنية والأَحاديث والروايات النَّبويَّة الشَّريفة.

٦- شرح بعض المفردات.

قافية الهمزة

(١)

قَالَ في مَدحِ أَمَيرِ المُؤمنينَ عليه السلام:

[الكامل]

بِمَدِيحِـهِ جَعَـلَ الكِتَـابَ قَلَائِـدًا
فِـي جِيْـدِ كُلِّ مَدِيْحَـةٍ غَـرَّاءِ
وَ بِفَضْلِهِ وَرَدَ الكِتَابُ مُتَرْجِمًا
عَـنْ قَـدْرِهِ فِـيْ لَيْلَـةِ الإِسْـرَاءِ
وَ بِفَضْلِـهِ وَ بِنَصْلِـهِ اتَّضَـحَ الهُـدَىٰ
وَالشِّـرْكُ مِثْـلُ اللَّيْلَـةِ اللَّيْـلَاءِ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٧٣.

(٢)

وَقَالَ في وجوبِ مَحَبَّةِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام:

[الطويل]

إِذَا أَوْجَـبَ الرَّحْمَـنُ فِيْ الوَحْـيِ وُدَّهُمْ
فَأَيْـنَ عَـنِ الوَحْـيِ العَزِيـزِ ذَهَـابُ[٧٢]
وَأَيْـنَ عَـنِ الذِّكْـرِ العَزِيْـزِ مَذَاهِـبٌ
وأَيْـنَ إِلَـى غَـيْـرِ الإِلَـهِ إِيَـابُ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١١٥.

(٣)

وَقَالَ مُرتَجِلًا عندَ إتمَامِ كتَابِهِ (خَصَائص الوَحي المُبين):

[البسيط]

جَاهَـدْتُ فِيْـكَ بِقَوْلِـي واللِّسَـانُ لَـهُ
فَضْلٌ عَلَـىٰ السَّيْفِ فِيْ الغُفْرَانِ لِلحُوْبِ[٧٣]

لَا يَهْتَدِيْ السَّـيفُ فِيْ طُـرْقِ البَيَانِ إلَـىٰ
نَهْـجِ اللِّسَـانِ وَلَا سُـمْرُ الأَنَابِيْـبِ[٧٤]

فَالقَـوْلُ تَخْدِمُـهُ الأَسْـيَافُ لَامعَـةً
فِـيْ الحَرْبِ مَا بَيْنَ مَعْطُـوْفٍ وَ مَضْرُوْبِ

لَـوْلَا اللِّسَـانُ لَمَا سُـلَّ الحُسَـامُ وَ لَا الـ
ـتَفَّ الجُمُوْعُ عَلَـى الجُرْدِ السَّلَاهِيْبِ[٧٥]

فَكُـنْ بِهَـا مُنْقِـذِيْ فِـيْ يَـوْمِ مُطَّلَعِيْ
وَالنَّـاسُ مَا بَيْـنَ مَحْبُـوْبٍ وَ مَجْبُوْبِ[٧٦]

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٥٤.

قافية التاء

(٤)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:(٧٧)

[مجزوء الكامل]

فَضُلَ التُّرَابَ المَاءُ حَتَّى
إذْ غَدَا سَبَبًا لِلْحَيَاةْ(٧٨)
عِيْسَى وَ آدَمُ مِنْ تُرَابٍ(٧٩)
أَنْتَ مِنْ مَاءٍ فُرَاتْ(٨٠)
عَذْبٍ أَرْدَتْ بِذِكْرِهِ التْـ
ـتَفْضِيْلَ لَامَاءَ الفُرَاتْ (٨١)

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٣٢.

(٥)

في مَدحِ سَيِّدي شَبَابِ أَهلِ الجَنَّة عليه السلام:

[الطويل]

سَلِيْلا وَلِيِّ اللهِ سِبْطَا نَبِيِّهِ
رَضِيْعَا لِبَانِ البَضْعَةِ النَّبَوِيَّةِ
أَيَا سَيِّدَيْ أَهْلِ الجِنَانِ وَ مَعْدِنَ الْـ
ـأَمَانِ وَ مَمْحَا كُلِّ حُوْبٍ وزَلَّةِ(٨٢)
إمَامَيَّ كُوْنَا يَوْمَ عَرْضِيْ ذَخِيْرَةً
وَكُوْنَا غِيَاثِيْ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةِ

التخريج: المستدرك المختار: ٣٥٥، الطليعة الى شعراء الشيعة ٢/ ٤٢٨.

(٦)

[الكامل]

قال:

بِكرٌ يظلُّ لِـيَ التَّنَاضـلُ رَاجِعًـا
وتَعـومُ فـي بَحرِ الجِدالِ وتَسـبَحُ
وتَطـلُّ فـي بَحـرِ الدَّليـلِ قِـلادَةً
وتَفـتُّ فـي عَضُدِ الجِدَالِ وتَقـدَحُ

التخريج: خصائص الوحي المبين:٦٠.

(٧)

وقالَ يَمدَحُهُ (صلوات الله عليه):

[الكامل]

وإذا المَدَائحُ زَيَّنَتْ فَخرَ امْرِئٍ
كانَ المَديـحُ بِفَخـرِكَ المَمدوحَـا
وإذا المَـنَـاقِـبُ زُيِّـنَـتْ بمَـدَائِـحٍ
جَعَلَـتْ مَنَاقِبُـكَ المَدِيْـحَ مَديحَـا
أَنـتَ الَّـذي رَدَّ الإلـهُ بـقَـولِـهِ
شَـاطِيْ الفرَاتِ عَلَـى البَريَّـةِ يُوحَى[٨٣]
أَنتَ الَّذي مُذْ لَم نَزَلْ في فَضلِهِ
برسَـالَةِ الـرُّوحِ المُؤيِّـدِ يُوحَـى

التخريج: قلائد الجمان:٢٢١.

(٨)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الطويل]

مَنَاقِبُ مِنْهَا لِلْفَخَارِ مَنَاقِبُ
ومِنْهَا لِجِيْدِ المَكْرُمَاتِ قَلَائِدُ
وَفَخْرٌ بِهِ لِلدِّيْنِ فَخْرٌ ورِفْعَةٌ
عَلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ الحَكِيْمِ شَوَاهِدُ(٨٤)

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٩٢

(٩)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الطويل]

إِلَيْكَ مَصِيْرُ الفَضْلِ والوَحْيُ نَاطِقٌ
وأَنْتَ وَلِيُّ الأَمْرِ وَاللهُ شَاهِدُ(٨٥)
مَشَاهِدُ مِنْ فِعْلِ الرَّسُوْلِ شَوَاهِدٌ
عَلَيْهَا ومِنَ الوَحْيِ العَزِيْزِ شَوَاهِدُ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٠١

(١٠)

وقَالَ في أَمِيرِ المُؤمنينَ عليه السلام:

[الكامل]

تَثْنِي مَقَاصِدُهُ الرَّدَى عَن قَصدِهِ
وَمَقَاصِدُ الرَّحمَانِ غَايَةُ قَصدِهِ

أَبـدًا رِضَـا الجَبَّـارِ فـي سَـطَوَاتِهِ
وكَـذَا رِضَـا المُختَارِ فـي إفْرَنـدِهِ[٨٦]
نَهَضَـتْ بِـهِ رُتَـبُ الكَمَـالِ بِسُـؤدَدٍ
أَعيَـا عَلَـى مَـنْ رَامَ فيـهِ بِجَهـدِهِ

التخريج: قلائد الجمان ٧/ ٢٢٢.

(١١)

وَقَالَ في مَدحِ أَبي طَالبٍ عليه السلام:

[الطويل]

أَبَـا طَالِـبٍ لَـوْلَاكَ مَـا كانَ لِلْـوَرَىٰ
هُـدَاةٌ وَمَـنْ يُؤْمِـنْ بِنَجْلِكَ يَهْتَـدِيْ[٨٧]
وَمَـنْ يَجْتَنِـبْ نَهْـجَ الصَّـلَاحِ وَ يَتَّبِـعْ
سَـبِيْلَ الهُدَىٰ فـي آلِ بَيتِكَ يَقْتَـدِيْ[٨٨]
كَفَلْـتَ رَسُـوْلَ اللّهِ طِفْـلاً وَ يَافِعًـا
وَصَدَّقْتَـهُ فِـي كُلِّ غَيْـبٍ وَ مَشْـهَدِ

التخريج: المستدرك المختار ٤٣٣، الطليعة الى شعراء الشيعة ٢/ ٤٢٨.

قافية الراء

(١٢)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الكامل]

يَـا مَـنْ أَذَاعَ الدِّيْـنَ بَعْـدَ كُمُوْنِـهِ[٨٩]
ومَـنِ النَّبِـيُّ بِـهِ غَـدَا مُسْـتَنْصِرَا
يَـا مَـنْ بِقَائِـمِ سَـيْفِهِ قَـامَ الهُـدَىٰ
وغَـدَا الوَلِـيُّ بِنُـوْرِهِ مُسْـتَبْصِرَا

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٤٦.

(١٣)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المُؤمنينَ عليه السلام:

[الطويل]

فَأَنْـتَ أَمِيْـرُ المُؤْمِنِيْـنَ وَ مَـنْ غَـدَا
وَصِـيَّ النَّبِـيِّ المُصْطَفَـى وَ وَزِيْـرُهُ
وَأَنْـتَ الَّـذِيْ رَاسَ الأَنَـامَ بِفَضْلِـهِ
ورَاشَ مِنَ الإِسْـلَامِ قَسْـرًا كَسِـيْرُهُ[٩٠]
وأَنْـتَ الَّـذِيْ سَـادَ الأَنَـامَ بِمَجْـدِهِ
وسَـادَ[٩١] مِـنَ الإِسْـلَامِ خَيْـرًا كَثِيْـرُهُ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٩٢.

(١٤)

وَقَالَ في مَدحِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام:[٩٢]

[الوافر]

وَبَـيْـتٌ يَـقْـصُـرُ الأَوْهَـامُ عَـنْـهُ
سَـمَـا فَـوْقَ الـفَـرَاقِـدِ وَالـنُّـسُـورِ
غَـدَا لِلْوَحْـيِ وَالشَّـرَفِ الْمُعَلَّـىٰ
نَـدِيًّـا بِـالـرَّوَاحِ وَبِـالـبُـكُـوْرِ[٩٣]

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٠٨.

(١٥)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الكامل]

نَطَقَـتْ بِوَحْـيِ اللّٰهِ فِيْـكَ خَصَائِـص
خَيْـرُ الأَنَـامِ نَذِيْرُهَـا وَ سَـفِيْرُهَا
مَـا عُصْبَـةٌ إِلَّا وأَنْـتَ وَلِيُّهَـا
وَكَـذَاكَ مَوْلَاهَـا وَأَنْـتَ أَمِيْرُهَـا[٩٤]

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٠٩.

(١٦)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الطويل]

مَنَاقِبُـكَ العُلْيَـا عَلَـتْ أَنْ يَرُوْمَهَـا
مَدَائِـحُ مَخْلُـوْقٍ بَـلِ الوَحْـيُ أَجْـدَرُ
طَـوَالَ المَـدَىٰ عَنْهَـا قَصِيْـرٌ مَدِيْحُنَـا
وأَنَّـىٰ بَهَـا دُوْنَ البَرِيَّـةِ أَحْبَـرُ
يُحَكَّـمُ فِـيْ سِـرِّيْ وَ جَهْـرِيْ وُجُوْبُهَـا
وإِنِّـي بِهَـا يَـومَ القِيَامـةِ أَفْخَـرُ

التخريج: المستدرك المختار: ٣٨٩.

(١٧)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الطويل]

مَدِيْحُـكَ عِنْـدِيْ وَاجِـبٌ زَادَ قَـدْرُهُ
طَوِيْـلُ المَـدَىٰ شُـكْرِيْ لَدَيْـهِ قَصِيْـرُ
فَـإِنْ كُنْتَ عَنْ مَدحِـي لِمَجْدِكَ في غِنًـىٰ
فَإِنِّـي لَمُحْتَـاجٌ إِلَيْـكَ فَقِيْـرُ
أَبَـا حَسَـنٍ إِنِّـي بِحُبِّـكَ مُمْسِـكٌ
وإِنِّـي بِمَـا أَرْجُـوْهُ مِنْـكَ جَدِيْـرُ
تَحَكَّـمَ فِـيْ سِـرِّيْ وَ جَهْـرِي وِلَاؤُهُ
وإِنِّـي بِـهِ دُوْنَ الأَنَـامِ خَبِيْرُ

التخريج: المستدرك المختار: ٢٥٤، الطليعة الى شعراء الشيعة ٢/ ٤٢٨.

(١٨)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الطويل]

مَنَاقِبُ لِلدِّيْنِ الحَنِيْفِيِّ يَفْخَرُ
بِهَا، وبِهَا لِلْمُؤْمِنِيْنَ مَفَاخِرُ
عَلاَ قَدْرُهَا عَنْ كُلِّ قَدْرٍ فَمَا يُرَىٰ
لَهَا فِيْ الذُّرَىٰ شِبْهٌ مُفَاخِرُ(٩٥)

التخريج: المختار: ٢٤٥.

(١٩)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام، ونُزولِ سُورَةِ الدَّهرِ في أَهلِ بَيتِهِ عليهم السلام:

[الكامل]

فِي ﴿هَلْ أَتَىٰ﴾ لَكَ مِدحَةٌ مَعْلُوْمَةٌ(٩٦)
تَعْنُو لَهَا مِدَحُ الأَنَامِ خُضُوْعَا
إِطْعَامُكَ المِسْكِيْنَ ثُمَّ يَتِيْمَهُ
ثُمَّ الأَسِيْرَ، وقَدْ تَضَوَّرَ جُوْعَا(٩٧)

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٨٢.

قافية الفاء

(٢٠)

وَقَالَ في مَدحِ السَّيِّدةِ خَدِيجَةَ عليها السلام:

[مجزوء الكامل]

يَـــا أُمَّ سَـــيِّـــدَةِ الـنِّـسَـا
ءِ لِـيَـهْـنِـكَ المَجْـــدُ المُـنِـيْـفُ[٩٨]
وَلَـــكِ الـتَّـلِـيْـدُ بِـأَحْـمَـدٍ
وبِـفَـاطِـمَ الـشَّـرَفُ الـطَّـرِيْـفُ[٩٩]

التخريج: المستدرك المختار: ٢٨٧، الطليعة الى شعراء الشيعة ٢/ ٤٢٨.

(٢١)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الكامل]

أَنْـتَ الَّـذِيْ نَطَـقَ الكِتَـابُ بِفَضْلِـهِ
بِشَـوَاهِدٍ فِـيْ الذِّكْـرِ غَيْـرِ خَـوَافِ
لَمَّـــا رَآكَ اللهُ أَهْـــلاً لِـلـثَّـنَـا
نَطَـقَ الكِتَـابُ بِـكُلِّ شَـافٍ كَافِ[١٠٠]

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٠٤.

قافية اللام

(٢٢)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[مجزوء الكامل]

يَـــا مَـــنْ بِـــهِ وَلَـــهُ الإِمَـــا
مَـــةُ أَصْـبَـحَـتْ فَـرْعًـا وَ أَصْـلا
يَـــا مَـــنْ بِـــهِ وَ لَـــهُ الـفَـخَـا
رُ بَـــدَا مَـــحَـــلَّـــى[١٠١]
يَـــا مَـــنْ لَـــهُ فَـصْـلُ الخِـطَـا
ـــبِ، وَمَـــنْ لَـهُ الـشَّـرَفُ المُعَلَّىٰ
يَـا مَـنْ غَـدَا الـذِّكْـرُ الحَكِيْـ
ـــمُ بِـفَـضْـلِـهِ يُـتْـلَـى وَ يُمْلىٰ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٨٥.

(٢٣)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام، ومُؤاخَاتِهِ لرسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله:

[الخفيف]

فَـأَخُـوْهُ فِـي الاقْـتِـدَاءِ مُـطَـاعٌ
وَسَـوَاءٌ عَلَـىٰ الطَّرِيْـقِ المُثْلَـىٰ
هَـلْ وَ آخَـىٰ غَيْـرَ النَّظِيْـرِ كَمَـا آ
خَـى بِـكُلِّ نَظِيْـرَهُ وَالمِثْـلا[١٠٢]

هَـلْ يُؤَاخَـىٰ مِـنَ الصَّحَابَـةِ خَيْـرٌ
مِنْـهُ، مَـا أَنْصَـفَ الوَلِـيُّ المَوْلَـىٰ
أَيَّ حُكْـمٍ يَكُـوْنُ هَـذَا وَ حُكْـمُ اللّٰهِ
غَـيْـرُ الَّـذِيْ تَـرُوْمُـوْنَ فِـعْـلا

التخريج: المستدرك المختار: ١٦٢.

(٢٤)

وَقَالَ فِي مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الطويل]

أَخُو المُصْطَفَىٰ فِيْ الوَحْيِ أَنْتَ وَفِيْ الهُدَىٰ
شَـبِيْهٌ، ومَنْ يَبْغِـي خِلافَـكَ مَاحِلُ[١٠٣]
وَصَاحِبُـهُ الأَدْنَىٰ مَـدَىٰ العُمْـرِ عَاجِلٌ
وصَاحِبُـهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ آجِـلُ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٤٦.

(٢٥)

وَقَالَ فِي مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الكامل]

زَهَـتِ المَنَابِـرُ وَالمَآثِـرُ بِاسْـمِهِ
وبِمَدحِـهِ يَزْهُـوْ الكِتَـابُ المُنْـزَلُ
عَـدِمَ النَّظِيْـرُ لَـهُ فَسَـادَ لِمَـا رَوَىٰ
مِـنْ فَضْلِـهِ التَّنْزِيْـلُ وَالمُتَزَمِّـلُ

التخريج: المستدرك المختار: ١٨٧.

(٢٦)

و قَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الكامل]

أَنْــتَ الَّــذِيْ فَــرَضَ الإِلَــهُ وِلَاءَهُ
وولَاؤُهُ بَعْـدَ النَّبِـيِّ المُرْسَـلِ
أَنْـتَ الَّـذِيْ رُدَّتْ بِبَابِـلَ شَمْسُـهُ
وكَـذَاكَ رُدَّتْ فِـيْ زَمَـانِ المُرْسَـلِ[١٠٤]
يَـا مَـنْ بِـهِ وَلَـهُ الـوِلَاءُ مَـعَ الهُـدَىٰ
أَمَـرَ الرَّسُـوْلُ بِـهِ بِأَمْـرِ المُرسِـلِ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٩٨.

(٢٧)

وقالَ في مَدحِ أَمِيرِ المُؤمِنينَ عَلِيِّ بنِ أَبي طَالبٍ عليه السلام:

[الطويل]

إذا حَرَّفـوا نَصًّـا عَليـكَ مُحَبَّـرا
فَهَـل حَرَّفوا مـا فـي الكتَـابِ المُنَزَّلِ
وإنِّـي سَـأُبدِي فيـكَ مـا نَبَـذَ العِـدَا
بِظَهـرٍ مِـنَ الوَحـي العَزيـزِ المُرَتَّـلِ
ومِـنْ مُسـنَدِ الآثـارِ عَن سـيِّدِ الـوَرَى
نَبِـيِّ الهُـدَى المَنعُـوتِ بالمُتَزَمِّـلِ
أَبـا حَسَـنٍ إنِّـي إليـكَ مُمَسِّـكٌ
وبَعـدَ إلـهِ العَـرشِ أَنـتَ مُعَوَّلِـي

التخريج: قلائد الجمان:٩/ ٢٢١.

(٢٨)

ولَهُ في أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام:

[البسيط]

جَاهَـدتُ فيـكَ بِقَولِـيْ واللِّسَـانُ لَـهُ
فَضلٌ عَلَى السَّـيفِ والعَسَّـالةِ الذُّبلِ[١٠٥]
لَـولا اللِّسَـانُ لِمَا سُـلَّ الحُسَـامُ ولَا الـ
تَقَـتْ جُمُـوعُ الوَغَى فـي مَعـرَكٍ حَفِلِ
فالقَـولُ تَخدُمُـهُ الأَسـيَافُ إنْ سَـعِدَتْ
أَربَابُهـا وبِهِـمْ شَـوقٌ إلـى العَمَـلِ
بِهِ عَرَفنَا مَقَادِيرَ السَّعيدِ مِنَ الشْـ
ـشَـقِيِّ لا بالظُّبَـاةِ البِيـضِ والأَسَـلِ

التخريج: قلائد الجمان:٩/ ٢٢١.

(٢٩)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الكامل]

ضُـرِبَ ابْـنُ مَرْيَـمَ لِلْوَصِـيِّ مُمَاثِـلا
صَـدَّتْ لِذَلِـكَ قَـوْمُ خَيْـرِ رَسُـوْلِ[١٠٦]
حَسَـدًا لِمَـا خَـصَّ الإِلَـهُ وَصِيَّـهُ
وَوَلِـيَّـهُ فِـيْ مُـحْـكَـمِ الـتَّـنْـزِيْـلِ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٨٨.

(٣٠)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام وتلقيبِهِ بالصِّدِّيق حقًّا:

[الرمل]

أَنْـتَ صِدِّيْـقٌ وَلَكِـنْ فِـيْ المَعَانِـيْ
ثُـمَّ مَوْلَـىٰ أَنْـتَ بَـلْ خَيْـرُ المَوَالِـيْ
وَاسْـمُ صِـدْقٍ لَـكَ مِـنْ دُوْنِ الـوَرَىٰ
لَا لِمَـنْ قَـاسَ لَآلٍ بِـلَـيَـالِـيْ[١٠٧]

التخريج: المستدرك المختار: ١٨٧.

قافية الميم

(٣١)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[المنسرح]

يَـا مَـنْ بِـهِ لِلْمَـدحِ مُفْتَخَـرٌ
وَمَـنْ بِـهِ لِلْوَلِـيِّ مُعْتَصَـمُ
يَـا مَـنْ عَـلَا حَيْـثُ لَا نَظِيْـرَ لَـهُ
وفَـوْقَ هَـامِ العُـلَا لَـهُ قَـدَمُ
يَـا مَـنْ بِـهِ الوَحْـيُ يَنْتَشِـيْ جَـذِلا
إِذَا تُلِـي مَدحُـهُ وَيَبْتَسِـمُ[١٠٨]

التخريج: خصائص الوحي المبين:١٥٣.

(٣٢)

وَقَالَ[١٠٩] في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[المنسرح]

يَـا مَـنْ بِـهِ لِـلْـمُـحِـبِّ مُـلْـتَـزَمُ
وَمَـنْ بِـهِ لِـلْـوَلِـيِّ مُـعْـتَـصَـمُ
وَمَـنْ بِـهِ لِـلـنَّـبِـيِّ مُـنْـتَـصَـرٌ
وَمَـنْ بِـهِ لِـلإِلَـهِ مُـنْـتَـقَـمُ

التخريج: خصائص الوحي المبين:٢٢٦.

(٣٣)

وَقَالَ في خلافة أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام بلا فَصلٍ:

[الطويل]

فَهَبْنِيَ أَهْـمَـلْـتُ الـكَـلَامَ لِعِلَّةٍ
فَـيَـا مَـنْ لَـهُ عَـقْـلٌ أَلَا تَتَفَهَّمُ
يُوَلَّىٰ إِلَـهُ العَرْشِ بعدَ وِلَايَـةِ النَّـ
ـنَـبِـيِّ فَـأَيّ بِـالـوِلَايَـةِ أَقْـوَمُ

التخريج: خصائص الوحي المبين:١٦٨.

(٣٤)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الكامل]

يَـا مَـنْ بِـهِ لِلدِّيْـنِ فَخْـرٌ والهـدىٰ
نُـوْرٌ، وفِـي لَيـتِ[١١٠] العُلُـوْمِ تَمَائِـمُ
وَمَـنِ الَّـذِيْ لَـوْلَا شَـبَاةُ حُسَـامِهِ
مَـا قـامَ لِلْإِسْـلَامِ قَـطُّ دَعَائِـمُ[١١١]
يَـا مَـنْ لَـهُ فَصْـلُ الخِطَـابِ وَعِنْـدَهُ
عِلْـمُ الكِتَـابِ وَمِـنْ [بَنِيْهِ] القَائِـمُ[١١٢]

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢١٨.

(٣٥)

قال: [الطويل]

مَنَاقِـبُ فـي دِيـنٍ عَليهـا طَـلاوَةٌ
وَمِنهـا لِجِيـدِ المَكرُمَـاتِ تَمائِـمُ
قَلائِـدُ فـي بَيـتِ الدِّيانَـةِ والهُـدَى
ومِنهَـا لِفَخـرِ المَكرُمَـاتِ مَـكارِمُ

التخريج: قلائد الجمان: ٢٢٢.

(٣٦)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام، ونكتة بَيعَتِهِ في الغَدِيرِ:

[الكامل]

غَـدَرَتْ بِـهِ يَـوْمَ الغَدِيْـرِ عِصَابَـةٌ
تَـاللّٰه مَـا غَـدَرُوْا بِمَالَـمْ يَعْلَمُـوْا
مَـادَامَ فِـيْ الدُّنْيَـا دَوَامُ نَعِيْمِهِـمْ
وَبَـقَـاؤُهُـمْ يَـوْمَ الـقِـيَـامَـةِ أَدْوَمُ
فَسَـلَامَةُ الأُوْلَـىٰ سَـلَامَةُ دِيْنِهِـمْ
وَسَـلَامَةُ العُقْبَـىٰ لَهُـمْ لَـوْ سَـلَّمُوْا

التخريج: المستدرك المختار:٨٥.

(٣٧)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الطويل]

أُسِـرُّ لِمَـنْ وَالَاكَ صِـدْقَ مَحَبَّـةٍ
وأُبْـدِي لِمَـنْ عَادَاكَ جَـدْعَ المَرَاغِـمِ[١١٣]
وَأَرْضِـيْ إِلٰـهَ العَـرْشِ فِيْـكَ مَـوَدَّةً
وَأُسْـخِطُ مَـنْ أَمْسَـىٰ بِحُبِّـكَ لَائِمِـي

التخريج: المستدرك المختار:١٠١.

(٣٨)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[المتقارب]

قَضَـــىٰ اللّٰهُ فِـــيْ الوَحْـــيِ إِعْظَامَـــهُ
وتَعْرِيْضُـــهُ دُوْنَ قُـــرْبِ المَـــرَامْ
وَلَـــوْ أَمْكَـــنَ النَّـــاسُ عَيْيًـــا[١١٤] عَلَيْـــهِ
لَمَـــا أَحجَمُـــوْا عَـــنْ وُقُـــوْعِ الـــكَلَامْ
وعَـــظَّـــمَـــهُ اللّٰهُ عِـــنْـــدَ الأَنَـــــامِ
ونَزَّهَـــهُ الوَحْـــيُ مِـــنْ كُلِّ وَامْ[١١٥]

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٢٤

قافية النون

(٣٩)

وَقَالَ في مَدحِ سَيِّدةِ النِّساءِ فاطمَةَ الزَّهراء عليها السلام:

[الطويل]

سَـــلِيْلَةُ خَيْـــرِ الأَنْبِيَـــاءِ وَزَوْجَـــةُ الـــ
ـوَصِـــيِّ وَأُمٌّ لِلْحُسَـــيْنِ وَلِلْحَسَـــنْ
وَمَـــنْ زَادَهَـــا نُـــوْرُ النُّبُـــوَّةِ رِفْعَـــةً
وَسَـــيِّدَةُ النِّسْـــوَانِ بِنْـــتُ ابْـــنِ مَـــنْ؟

التخريج: المستدرك المختار: ٢٨٠.

(٤٠)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الوافر]

لِأَمْـرٍ لَـمْ أُبَالِـغْ فِـيْ المَعَانِـيْ
فَأَيْـنَ عُقُـوْلُ أَرْبَـابِ المَعَانِـي
وَقَـدْ وَرَدَ الكِتَـابُ وَنَـصَّ خَيْـرِ الـ
ـبَرَايَـا فِـي عَلِـيٍّ بِالمَعَانِـي
يُـسَـرُّ بِـهَـا المُـشَـايِـعُ وَالمُـوَالِـيْ
وَيَفْتَخِـرُ المُنَاظِـرُ وَالمُعَانِـي
فَحَسْـبُكَ بِالوَصِـيِّ إِمَـامَ صِـدْقٍ
وَحَسْـبُكَ مِـنْ وِلَائِـكَ مَـا تُعَانِـي

التخريج: المستدرك المختار: ١٥٥.

(٤٠)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمنينَ عليه السلام:

[الوافر]

عَلَـوْتَ عَـنِ المَدَائِـحِ حَيْـثُ كَانَـتْ
إِذَا كَانَ القَدِيْـمُ عَلَيْـكَ يُثْنِـيْ[١١٦]
وَإِنْ عَنَـتِ الخَلَائِـقُ مَـدحَ شَـخْصٍ
فَخَالِقُـكَ الَّـذِيْ يَعْنِـيْ وَيَكْنِـيْ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ٢٣٥.

(٤١)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[الوافر]

عَلَـوْتَ عَـنِ المُشَـابِهِ وَالمُدَانِـيْ
إِذَا يُتْلَـىٰ مَدِيْحُـكَ فِـيْ المَثَانِـيْ[١١٧]
غَـدَا المُخْتَـارُ مِنْـكَ وَأَنْـتَ مِنْـهُ
نَظِيْـرٌ فِـيْ المَنَاصِـبِ وَالمَعَانِـيْ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٩٦.

(٤٢)

وَقَالَ في الأَئمَّةِ الاثْنَي عَشر عليهم السلام:

[الكامل]

اثْنَـا عَشَـر سَـادُوْا وُلَادَةَ آدِمٍ
بِأَبِـيْ وَأُمِّـي قُـدْوَةُ الثَّقَلَيْـنِ[١١٨]
فَلَهُـمْ بِثَانِـيْ عَشْـرِهِمْ فَخْـرُ الـوَرَىٰ
وَلَـهُ بِهِـمْ شَـرَفٌ مِـنَ الطَّرَفَيْـنِ

التخريج: المستدرك المختار: ٣٧٧، الطليعَة إلى شعراء الشِّيعة ٢/ ٤٢٨.

قافية الياء

(٤٣)

[الوافر]

إمَـــامٌ لـلـمُـعَـانِـدِ والـوَلِـيِّ
ومَـولًـى لـلـمُـوافِـقِ والـقَـلِـيِّ
لَـهُ فَـرضُ الـوَلاءِ بـيـومِ خُـمٍّ
بِـوَحْـي اللّهِ فـي الـنَّـصِّ الجَـلِـيِّ
فَحَسبُكَ مِـنْ مُـفَـاخَـرَةٍ قَديمًا
غَـدَا نـورًا عَـلَـى الـعَـرشِ العَلِيِّ
وحَـسـبُـكَ مِـن مَـنَـاقِـبِـهِ حَديثًا
وَصِـيٌّ لـلـنَّـبِـيِّ الأَبـطَـحِـيِّ

التخريج: قلائد الجمان: ٢٢١.

(٤٤)

وَقَالَ فِي أَئِمَّةِ الهُدَى السَّجادِ والبَاقِرِ والصَّادِقِ عليهم السلام:

[الوافر]

هُـوَ الـسَـجَّـادُ إِلَّا أَنَّ فِـيْـهِ
مُشَـابِهَ مَكْرُمَـاتٍ مِـنْ عَلِـيِّ
وَبَاقِـرُ عِلْمِنَـا الحَبْـرُ المُصَفَّـىٰ
شَـبِـيْـهٌ بِـالـنَّـبِـيِّ الأَبْـطَـحِـيِّ[١١٩]
وَصَادِقُهُـمْ إِمَـامُ الحَـقِّ أَيْضًـا
نَتِيْجَـةُ عَيْبَـةِ العِلـمِ الوَصِـيِّ

التخريج: المستدرك المختار: ٣٧٣-٣٧٤، الطليعة إلى شعراء الشِّيعة ٢/ ٤٢٨.

(٤٥)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المُؤمِنينَ عليه السلام:

[مجزوء الكامل]

أَنْـــتَ الـــصِّـــرَاطُ المُسْـتَـقِـيْـمُ
بِـــوَحْـــيِ ذِيْ الـــعَـــرْشِ الـعَـلِـيِّ
وَكَـــذَاكَ فِـــيْ يَـــوْمِ الـبِـهَـالِ[١٢٠]
بِـــوَحْـــيِـــهِ نَـفْـسُ الـــنَّـــبِـــيِّ[١٢١]
فَـلَـكَ الـــــوِلَاءُ بِمُـحْـكَـمِ الـتْـ
ـتَـنْـزِيْـلِ مَـــعْ قَـــوْلِ الـنَّـبِـيِّ

التخريج: خصائص الوحي المبين: ١٣٨.

مختلف القوافي

(٤٦)

وَقَالَ في مَدحِ أَمِيرِ المؤمِنينَ عليه السلام:

[مجزوء الكامل]

لَـــكَ زِيْـــنَـــةٌ فَـــوْقَ الـــفَـــرَا
قِـــدِ كَـــالـــفَـــرَاقِـــدِ فِـــي الـعُـلُـوِّ
قَـــصُـــرَتْ بِـــهَـــا مَـــدحِ الخَـــلا
ئِـــقِ دُوْنَ قَـــدْرِكَ فِـــيْ السُّمُوِّ
وَمَـــدِيْـــحُ فَـــضْـــلِـــكَ مِـــنْ إِلٰـــ
ـــهِ الـــعَـــرْشِ أَوْ نَـــصِّ الـــنَّـــبِـــيِّ
أَنْـــتَ الـــوَصِـــيُّ وَمَـــنْ يُـــدَا
نِـــي مَـــدحَـــةَ الخَـــيـــرِ الـــوَصِـــيِّ[١٢٢]

التخريج: المستدرك المختار: ٢٠٨.

الهوامش

(١) ورد النسب كاملًا في: قلائد الجمان ٩/ ٢١٩.

(٢) جاء في لسان الميزان ٦/ ٣٢٦: « الأَسدي المحلي الرَّبَعِي» ولعل (المحلي) خطأ طباعي.

أَقول: والعسقلاني هو أَولُ مَن ذَكَرَ لقبَ (الرَّبَعِي).

(٣) البطريقُ: بلغةِ أَهلِ الشامِ والروم: هو القائدُ، مُعربٌ وجمعُهُ بَطَارِقة. ويُقالَ: إنَّ البِطْريق عربيٌّ وافقَ العجميَّ، والبطريقُ العظيمُ من الروم، وقيلَ هو الوضيءُ المُعجَب. ينظر: لسان العرب (بطرق)، القاموس: مادة (بطرق).

(٤) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ١/ ٣٢٨.

(٥) أَمل الآمل ٧/ ٣٤٥، تاريخ الحلة ٢/ ١٥.

(٦) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٤.

(٧) الحمصي الرازي، لقد ورد تصحيف اسمه في طبعات لسان الميزان بـ(أَخمص الرازي)، وصُحِّحَ في طبعة العلامة عبد الفتاح أَبو غدة ٨/ ٤٢٦ كما في هامش (فهرس التراث ص٣٥١).

أَقول: جاء في الكتب التي ترجمت للشيخ الحمصي أَنَّه «وَرَدَ الحِلَّة بعد عودته من الحرمين الشَّريفين الى بلدته الريّ، وأَقام فيها مزاولًا التدريس والإفادة لفترة من الزمن».

فالشيخ سديد الدين الحمصي الرازي كما قال الذهبي: «وردَ العراق في هذه الحدود، وأَخذوا عنه، وتَعَصَّبَ له ورَّامُ بن أَبي فراس، وحصَّل له أَلف دينار. ودخل الحِلَّة، وقرَّر لهم نفْي المعدوم، وأَملى (التّعليق العراقيّ)». ينظر: تاريخ الإسلام: ٤٢/ ٤٩٤.

وللصفديِّ قولٌ آخر في دراسة الشيخ ابن بطريق على الشيخ الحمصي فيقول: «وقَدِمَ الى بغدادَ وقرأ على الحمصي الرازي أصول الفقه والكلام على مذهب الإماميَّة وأَحكَمَهُما». ينظر: الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٣.

ولعل الأَخير وقع في اللبس، فلم تذكر المصادر أَن الشيخ الحمصي أَقام ببغداد وزاول التدريس فيها، ممَّا ينفي قوله الذاهب الى قراءة الشيخ ابن البطريق عليه في بغداد.

(٨) دائرة المعارف الشيعية ١٨/ ٤٧٨.

(٩) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠.

(١٠) ينظر: الكامل في التاريخ ٩/ ٣٠٣.

(١١) الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٤.

(١٢) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠.

(١٣) المصدر نفسه ٩/ ٢٢٠.

(١٤) لسان الميزان ٦/ ٣٢٦.

(١٥) الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٤.

(١٦) المصدر نفسه ٢٢/ ٥٤.

(١٧) أَعلام الشيعة ٣/ ١٥٧٠.

(١٨) هدية العارفين ٢/ ٥٢٢.

(١٩) الذريعة ١/ ٨٣، معجم مؤرخي الشيعة ٢/ ٤٤٨.

(٢٠) الطليعة الى شعراء الشيعة ٢/ ٤٢٧، (هامش).

(٢١) ترجمته في: قلائد الجمان ٤/ ٣٥٦، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٣٠٩، الأَنوار الساطعة ١١٨، تاريخ الحلة ١/ ٦١و٢/ ١٤، موسوعة أَعلام الحلَّة ١٦٣.

(٢٢) صدرَ أوَّلًا بعنوان: (عليّ ابن البطريق الحِلّي حياته وشعرهُ)، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والتاريخيَّة، جامعة بابل، ٢٠٠٩م. ٦٤ص، ثمَّ نُشرَ بعد تعديلات وإضافات بعنوان: (شعرُ عليّ ابن البطريق الحلِّي)، مجلّة (آفاق الثقافة التراث)، العدد ٩٨، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م. ص٥٣-٨٢.

(٢٣) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ٢٣٨، ثمَّ صدر عن مركز العلَّامة الحليّ.

(٢٤) فقهاء الفيحاء ١/ ١٣٤.

(٢٥) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠.

(٢٦) الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٤.

(٢٧) لسان الميزان ٦/ ٣٢٦.

(٢٨) أمل الآمل ٢ / ٤٥.

(٢٩) رياض العلماء ٥ / ٣٥٨.

(٣٠) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام ١٣٠.

(٣١) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠.

(٣٢) روضات الجنات ٨/ ١٩٦. طبع سنة ١٤٠٧هـ ونشرته مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين بقم المقدسة، وقدم له وأشرف عليه العلامة جعفر سبحاني. وطبع بعنوان(عمدة عيون صحاح الأَخبار في مناقب إمام الأَبرار) بتحقيق:سعيد عرفانيان، مكتبة العلَّامة المجلسي، ط١، ١٤٣٦هـ، قم المقدسة.

(٣٣) طبع طبعة حجرية في إيران في ٦ رجب ١٣١١هـ في ١٤٨ صفحة، وأعيد طبعه بتحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي على مطابع وزارة الارشاد الاسلامي بطهران سنة ١٤٠٦هـ. وطبع في قم المقدسة سنة ١٤١٧هـ بتحقيق الشيخ مالك المحمودي.

(٣٤) ورد في قلائد الجمان بعنوان «العمدة

من صحاح الأَخبار في مناقب إمام الأَبرار علي بن أبي طالب وصيّ المختار وعلى الأئمة من ذريته الأَطهار». قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠.

قال السَّيد الصدر: «ولم يسبقه الى هذا التأليف البديع أَحد من أَصحابنا». تكملة أَمل الآمل ٦/ ٢٤١.

طبع بتحقيق الشيخين مالك المحمودي وابراهيم البهادري في مؤسسة النشر الاسلامي سنة ١٤٠٧هـ.

(٣٥) ورد في قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠ بعنوان «مُستدرك المختار في مناقب المختار» استخرجه من المسانيد الصحاح المؤلَّفة. تكلَّم على الأَحاديث ومعاني الآيات، وفصله فصولًا، واَضاف الى ذلك مقطعات حسانًا من شعره في مدح الإمام أَمير المؤمنين علي بن أَبي طالب – صلوات الله عليه وسلامه–، وورد في: أَعلام الشيعة ٣/ ١٥٧٠ بعنوان (المستطرف المختار في مناقب وصيّ المختار).

وطبع بعنوان (مستدرك المختار في مناقب وصيّ المختار) بتحقيق سعيد عرفانيان، منشورات مكتبة العلَّامة المجلسي، ١٤٣٦هـ، قم المقدسة.

(٣٦) أَمل الآمل ٢/ ٣٤٥، روضات الجنات ٨/ ١٩٦، الذريعة ١٠/ ١٨٨، إيضاح المكنون١/ ٥٥٤.

(٣٧) أَمل الآمل ٢/ ٣٤٥، روضات الجنات ٨/ ١٩٦، إيضاح المكنون١/ ٢١.

(٣٨) أَمل الآمل ٢/ ٣٤٥، روضات الجنات ٨/ ١٩٦، إيضاح المكنون٢/ ٦٩٤،هدية العارفين ٢/ ٥٢٢.

(٣٩) أَمل الآمل ٢/ ٣٤٥، روضات الجنات ٨/ ١٩٦، إيضاح المكنون١/ ٢٩٤.

(٤٠) رياض العلماء ٥/ ٣٥٥، الثقات العيون ٣٣٧، موسوعة طبقات الفقهاء ٦/ ٣٤٨.

قال في الرياض: نسبه إليه المولى محمد طاهر القمي في مقدمة كتاب الأَربعين نقلاً عن كتاب الصراط المستقيم للشيخ زين الدين البياضي، وحمله على أَنَّه بعينه كتاب العمدة بعيد.

(٤١) لسان الميزان ٦/ ٢٤٧، تكملة أَمل الآمل ٦/ ٢٤١ اسماه في (كتاب في التراجم) وقال: «ينقل عنه ياقوت الحموي وجلال الدين السيوطي»، الثقات العيون ٣٣٧، موسوعة طبقات الفقهاء ٦/ ٣٤٨.

(٤٢) استخرجه محققًا السَّيد محمد رضا

الجلالي (رحمه الله تعالى) من كتاب طرائف السيد علي بن طاووس وكتاب العقد الثمين لعبد الله بن حمزة الزيدي، ونشره في مجلة علوم الحديث العدد ١٣، ص ١٧٧- ٣٠٠، وفي مقدمته بعنوان «الطريق الى استخراج كتاب ابن البطريق».

(٤٣) بحار الأنوار ٦١/ ١٨٨، الذريعة ٣/ ٢٢٢(رقم ٨١٣)، وقال: «تاريخ ابن بطريق، ذكره في كشف الظنون ولم يذكر اسم المؤلّف، والظاهر أنّه الشيخ شمس الدين، يحيى بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن البطريق الأسدي الحليّ المتوفّى سنة (٦٠٠ هـ) مؤلّف (العمدة والخصائص) وغيرهما». وفقهاء الفيحاء ١/ ١٣٤، موسوعة أعلام الحلة ٢٥٧.

(٤٤) بحار الأنوار ١٠٤/ ٨٠، أمل الآمل ٢/ ٣٤٥، الذريعة ٢٢/ ٣١٨ (رقم ٧٢٤٢) وفيه: «المناقب غير العمدة والمستدرك، وهو مطبوع».

أقول: ولم نعثر على (المناقب) بين المؤلفات المطبوعة. واحتمل السَّيد محمَّد رضا الجلالي (رحمه الله تعالى) أن يكون (كتاب المناقب) هو الكتاب الذي استخرج أحاديثه في الإمام المهدي عليه السلام المسمَّى (كشف المخفي). ينظر: مجلة علوم الحديث:ع١٣، ص ١٩٣.

(٤٥) أعيد نشر المقال في كتاب (تذكرة الأعيان)،الصفحة ١٧٦-١٩٠.

(٤٦) لسان الميزان ٦/ ٣٢٦، الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٣.

(٤٧) رياض العلماء ٥/ ٣٥٨.

(٤٨) خصائص الوحي المبين:٦٠.

(٤٩) رياض العلماء ٥/ ٣٥٧.

(٥٠) المصدر نفسه.

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) المصدر نفسه.

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) الوافي بالوفيات ٢٢/ ٥٣.

(٥٥) موسوعة طبقات الفقهاء ٦/ ٣٤٧، موسوعة طبقات المتكلمين ٦/ ٣٣٩.

(٥٦) الأنوار الساطعة ٣ و ١١٨.

(٥٧) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠.

(٥٨) أمل الآمل ٢/ ٢١٠، الأنوار الساطعة ١١٨، الثقات العيون ١٧٨.

(٥٩) الأنوار الساطعة ١٣٠.

(٦٠) الثقات العيون ٣١٠ و ٣٣٨.

(٦١) أمل الآمل ٢/ ٣٤٥، رياض العلماء ٥/ ١٣٨، الثقات العيون ٣٨٨، الأنوار الساطعة ١٧٦.

(٦٢) رياض العلماء ٥/ ٣٥٨، الثقات العيون ٣٨٨.

(٦٣) رياض العلماء ٥/ ٣٥٨.

(٦٤) تكملة أمل الآمل ٦/ ٢٤١.

(٦٥) الانوار الساطعة ٢٠٥.

(٦٦) ينظر: الاعلام، الزركلي. معجم الفلاسفة:٧٤٢.

(٦٧) ينظر: تاريخ الإسلام ٣٦/ ٣٦٣، شذرات الذهب ٤/ ١٠٥.

(٦٨) مجلة علوم الحديث:ع١٣، ص ١٩٣.

(٦٩) معجم المؤلّفين لعمر كحّالة ١٣/ ١٩٠.

(٧٠) خصائص الوحي المبين: ٥٣.

(٧١) قلائد الجمان ٩/ ٢٢٠-٢٢١.

(٧٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾، [الشورى٢٣]، وقد أورد المصنّف هذين البيتين في ذيل الفصل الخامس من كتابه خصائص الوحي المبين، الذي عقده في تفسير هذه الآية.

الذَّهَاب، مصدر ذهبَ، ومن الخطإ الشائع كسره، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾، [المؤمنون ١٨].

(٧٣) الحُوْبُ: الإثمُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾، [سورة النساء ٢].

(٧٤) سُمرُ الأَنابيب: كنايةً عَنِ الرِّماح.

(٧٥) الجُرُدُ: الخيول التي لاتحمل سرجًا على ظهورها، أَو التي قَصُرَتْ شُعورُها.

السَّلاهيبُ: جمع سلهب، أَي الخيل الجيدة.

(٧٦) المَجبُوبُ: مَقطوعُ الذَّكرِ.

(٧٧) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرٗا فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾، [سورة الفرقان ٥٤]، وأنّها نزلت في أَمير المؤمنين عليه السلام.

(٧٨) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ﴾، [الأَنبياء٣٠].

(٧٩) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، [آل عمران ٥٩].

(٨٠) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ ...﴾، [فاطر١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٖ وَأَسۡقَيۡنَٰكُم مَّآءٗ فُرَاتٗا﴾ [المرسلات ٢٧].

(٨١) وردت الأَبيات في المطبوع باضطراب شديد ولم تقطّع على النحو الصحيح.

(٨٢) في المستدرك المختار: «ومعدن الأَمان» بصيغة المفرد.

(٨٣) في الطليعة: «حرب» بدل «حوب».

الحُوْبُ: الإثمُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا﴾ [النساء ٢].

يوح ويوحى: من أَسماءِ الشَّمسِ.

(٨٤) كذا، و لعلّه: «ونحرٌ به».

(٨٥) جاء في الحديث الشريف: «الصديقون ثلاثة: حبيب وحزبيل وعليّ بن أبي طالب، وهو أفضلهم». ينظر: فضائل الصحابة ٢/ ٦٢٧ رقم الحديث (١٠٧٢).

(٨٦) الفرند: السيف.

(٨٧) في الطليعة: «ما كان لولاك».

(٨٨) في المستدرك « بعيبة العلم»، ومعه لا يستقيم الوزن.

(٨٩) الكُمُون: الاختفاء والتستر.

(٩٠) رَاسَ: مُخفَّف رَأَسَ، أي تزعَّمَهُم وصَارَ سَيِّدَهُم. شَرفُ قَدرِه، وعلوّ مَنزلتِه.

راشَ: قوى، يقالُ رَاشَ صَاحبَهُ، أي قَوَّاهُ وأَعَانَهُ وأَصلَحَ حَالَهُ.

(٩١) كذا في الأَصل.

في تفسيرِ قَولِه تَعَالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. [الأحزاب ٣٣].

وقوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾. [النور ٣٦].

(٩٢) الرَّواحُ: اسمٌ للوقت مِنَ الزَّوال، أي مِن زَوَالِ الشَّمسِ إلى الليل.

(٩٣) البُكور: ما بَينَ طلوعِ الفَجرِ وطلوعِ الشَّمسِ.

(٩٤) إشارة الى الحديث النبوي الشريف: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: ليس من آيةٍ في القرآن فيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ إلَّا وعليٌّ رأسُها وشريفُها وأميرُها. ينظر: حلية الأولياء ١/ ٦٤، فضائل الصحابة ٢/ ٦٥٤، مجمع الزوائد ٩/ ١١٢.

(٩٥) كذا في الأَصلِ، ولا يستقيمُ معه الوزن، ولعلَّ الصَّواب: « شِبْهُ شبيهٍ».

(٩٦) إشارة الى سورة الدهر، الآية ١.

(٩٧) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان ٨-٩].

تَضَوَّرَ: تألَّمَ وتَلوَّىٰ مِنَ الوَجَعِ.

(٩٨) المُنيفُ: الشَّامِخُ، المُشرِفُ.

في الطليعة: «ويهنك».

(٩٩) التليدُ والطَّريفُ: القَديمُ والمُحدَثُ.

(١٠٠) إشارة الى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة ٢٧٤].

(١٠١) كذا ورد العجز في الأَصل.

(١٠٢) في الأَصل: «احتا [ج]» وهو تصحيف، والصواب ما أَثبتناه.

(١٠٣) المَاحِلُ: الخَصمُ المُجَادِلُ.

(١٠٤) إشارة إلى معجزة ردِّ الشَّمس لأَمير المؤمنين عليه السلام مرّتين، إحداهما في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، والأخرىٰ في أَيَّام خلافته ببابل.

(١٠٥) إشارة إلى الحديث المشهور في فضل أَمير المؤمنين عليه السلام. عن علي قال: دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «يا عليّ إن فيك مثلًا من عيسى، أَبغضته اليهودُ حتَّى بهتوا أُمّه وأَحبته النصارى حتَّى أَنزلوه المنزل التي ليس له».

ينظر: فضائل الصحابة ٢/ ٥٣٩(١٠٨٧)، مسند أَحمد ١/ ١٦٠.

(١٠٦) جج.

(١٠٧) في قوله: «لآلٍ بليالي».

(١٠٨) جذل: شرح وفاض سرورًا.

(١٠٩) لعل هذين البيتين من ضمن الأَبيات السابقة، فالبحر والقافية والمضمون واحد، فضلًا عن تكرار شطر ومفردات.

(١١٠) الليتُ: العنق. وفي الأَصل: «ليث»، والصواب ما أثبتناه.

التمائم: ما يعلّق من التعاويذ وقاية من الشرّ.

(١١١) الشّباةُ: حَدُّ السَّيفِ وطَرفُهُ.

(١١٢) بين العضادتين في الأَصل «عنده»، ولا يستقيمُ معه الوزنُ، ولعلَّ الصَّوابَ ما أَثبَتناه. وجاء في هامش محقق الكتاب: «من نبيه»، ولا يصحُّ.

(١١٣) جَدَعَ: قَطَعَ وبَتَرَ.

المَرَاغِمُ: كنَاية عَنِ الأَسَفِ.

(١١٤) في الأَصل، (عينا)، ووقع التصحيف فيه.

الإحجَامُ: ضدَّ الإقدَام.

(١١٥) لعلَّهُ مِنَ الوَيمَةِ: أَي التُّهمَةُ والنَّميمَةُ.

(١١٦) القديمُ من أَسمَاءِ البَاري عز وجل.

(١١٧) في الأَصل: (المثابة) بدل (المشابه)، والصواب ما أَثبتناه.

المَثَاني: من أَسمَاءِ الكتاب العَزيز، قالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، وَقَالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾. [سورة الحجر ٨٧].

(١١٨) في الطليعة: «ساد الورى إثنا عشر يقتدى».

(١١٩) في الطليعة: «وباقر علمه الحسن».

(١٢٠) البهال: كذا، ويعني الشاعر يوم المباهلة.

(١٢١) إشـارة إلى تصريح آيـة المباهلة يكون أَمـير المؤمنين عليه السلام نفـس النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، وهي قولـه تعالـى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران٦١].

(١٢٢) عَرَّفَ المُضافَ لضرورة الوزن.

المصادرُ والمراجعُ

* القرآن الكريم.

١. الأَعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت ١٩٧٩م.

٢. أَعيان الشيعة، السَّيد محسن الأَمين، حققه وأَخرجه وعلَّق عليه السَّيد حسن الأَمين، دار التعارف للمطبوعات، ط٥، بيروت، د.ت.

٣. أَمل الآمل، الشَّيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق السَّيد أَحمد الحسيني، مطبعة الآداب، ط١، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

٤. الأَنوار الساطعة في المائة السابعة (طبقات أَعلام الشيعة)، العلامة الشَّيخ آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. بحار الأَنوار الجامعة لدرر أَخبار الأَئمة الأَطهار عليهم السلام، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، دار التعارف، بيروت.

٧. البداية والنهاية، أَبو الفداء إسماعيل ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، راجع نصَّه وضبطه د. سهيل زكار، دار صادر، بيروت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٨. تاريخ الإسلام، الذهبيّ (ت٧٤٨هـ)، تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ١٩٨٧م.

٩. تاريخ الحلة، الشَّيخ يوسف كركوش الحِلّي (ت١٩٩٠م)، المطبعة الحيدرية، النجف الأَشرف، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

١٠. تأسيس الشيعة الكرام لعلوم الإسلام، السَّيد حسن الصدر الكاظمي. تحقيق الشَّيخ محمد جواد المحمودي، تعليق ومراجعة السَّيد عبد الستار الحسني، مؤسسة تراث الشيعة، ط١، قم المقدسة، ٢٠١٤م.

١١. تذكرة الأَعيان، العلَّامة المحقق جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة،١٤١٩هـ/ ٢٠٠٠م.

١٢. تكملة أَمل الآمل، السَّيد حسن الصدر، تحقيق د. حسين علي محفوظ وعبد الكريم الدباغ وعدنان الدباغ، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

١٣. الثقات العيون في سادس القرون

(طبقات أَعلام الشيعة)، العلامة الشَّيخ آغا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٤. حلية الأولياء وطبقات الأَصفياء: أَبو نعيم أَحمد بن عبد الله الاصبهاني (ت٣٤٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ.

١٥. خصائص الوحي المبين، الحافظ ابن البطريق، شمس الدين يحيى بن الحسن الأَسدي الربعي الحلي (ت٦٠٠هـ)، تحقيق الشَّيخ مالك المحمودي، ط١، قم المقدسة، ٢٠١٧م.

١٦. دائرة المعارف الشيعية العامة، العلامة الشَّيخ محمد حسين الأَعلمي الحائري. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٧. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، العلَّامة الشَّيخ آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، ط١، طهران، ١٩٥٦م.

١٨. روضات الجنَّات في أَحوال العلماء والسَّادات، محمَّد باقر الخونساريّ (ت١٣١٣هـ)، طهران، المطبعة الحيدرية، ١٣٩٠هـ.

١٩. شذرات الذهب في أَخبار من ذهب، عبد الحي بن أَحمد بن محمد ابن العماد الحنبليّ (ت ١٠٨٩هـ) تحقيق: محمود الأرناؤوط، بيروت، ١٩٩٠م.

٢٠. الطليعة من شعراء الشيعة، العلَّامة الشَّيخ محمد طاهر السماوي (ت١٩٥٠هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، ط١، بيروت، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٢١. عمدة عيون صحاح الأَخبار في مناقب إمام الأَبرار، تحقيق: سعيد عرفانيان، منشورات مكتبة العلامة المجلسي، ط١، قم المقدسة، ١٤٣٦هـ.

٢٢. فضائل الصحابة: أَبو عبد الله أَحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، جامعة أُمّ القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٣. فقهاء الفيحاء أو تطور الحركة الفكرية في الحلة، السَّيد هادي السَّيد حمد كمال الدين. مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٢م.

٢٤. فهرس التراث، السَّيد محمد حسين الحسيني الجلالي، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ.

٢٥. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ)، المطبعة المصرية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.

٢٦. قلائد الجمان، في فرائد شعراء هذا

الزمان، كمال الدين أَبو البركات المبارك ابن الشَّعار الموصلي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢٧. الكامل في التاريخ، عزّ الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأَثير (ت٦٣٠هـ)، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، د. ت.

٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، ابن منظور الأنصاري الأفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٠. لسان الميزان، شهاب الدين أَحمد بن علي بن حجر، العسقلاني، تحقيق، وتعليق الشَّيخ عادل أَحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

٣١. المستدرك المختار في مناقب وصيّ المختار، تحقيق: سعيد عرفانيان، مكتبة العلامة المجلسي، ط١، قم المقدسة، ١٤٣٦هـ.

٣٢. مسند أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، دار الفكر، بيروت، د. ت.

٣٣. معجم طبقات المتكلمين، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، إشراف العلّامة الفقيه جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٤ هـ.

٣٤. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي (ت٢٠١٦م)، دار الطليعة، ط٣، بيروت، ٢٠٠٦ م.

٣٥. معجم مؤرخي الشيعة، صائب عبد الحميد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤م.

٣٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م.

٣٧. موسوعة أَعلام الحلَّة منذ تأسيسها حتَّى سنة ٢٠٠٠م، الجزء الأَوَّل، سعد الحدَّاد، دار الفرات، بابل، ط٢، ٢٠١٥م.

٣٨. موسوعة طبقات الفقهاء، اللجنة العلمية في مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، اشراف العلّامة الفقيه جعفر سبحاني،

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، ط١، قم، ١٤٢٢هـ.

٣٩. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي (ت١٩٢٠م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفديّ (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٠م.

المجلات:

١. مجلة أفاق الثقافة والتراث: شعر علي بن البطريق الحلي، جمع وتحقيق ودراسة د. عباس هاني الجراخ، العدد ٩٨، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٢. مجلة علوم الحديث، تصدر عن كلية علوم الحديث في قم المقدسة، السنة السابعة، محرم - جمادى الآخرة، العدد ١٣، ١٤٢٤هـ.

نسخةٌ نفيسةٌ

من كتاب (قواعد الأحكام) للعلَّامة الحلّيّ

دراسة وصفية تحليلية

تحقيق: سعيد الجمالي

مركز العلَّامة الحلّيّ ﷺ – قُم المشرفة

Seed13687@gmail.com

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v11i29.426

الملخص

يُسلّط هذا البحث الضوء على النسخة خطية من كتاب «قواعد الأحكام» للعلّامة الحلّي، الذي حظي باهتمام الفقهاء والعلماء منذ زمن تأليفه؛ بسبب أهمّيّته في الفقه الشيعي، ممّا أدّى إلى وجود نسخ متعدّدة منه. وتكمن قيمة هذه النسخة في عدّة عوامل، أبرزها قدمها؛ إذ نَسَخَ الجزءَ الأوَّلَ السّيدُ سلطانُ بنُ الحسن الشجري القميُّ في سنة ٨٢٢هـ، والجزء الثاني في السنة التالية، وقد تضاعفتْ أهمّيّتها بوجود حواشٍ قيّمة كتبت عليها، منها حاشية «شرح كنز الفوائد» التي كتبها الناسخ نفسه. وفي النسخة سجلّات متعدّدة للإجازات وشهادات القراءة التي حصل عليها علماء كبار. وقد انتقلت عبر القرون لتصبح ملكًا لشخصيّات بارزة، منهم الفيض الكاشاني، ثمّ إسحاق بن محمّد علم الهدى. وكانت تحت يد العلماء والمُدرّسين لأكثر من ٦٢٥ سنة.

الكلمات المفتاحيّة:

قواعد الأحكام، العلّامة الحلّي، النسخة الخطّيّة، الإجازات، الشجري القُميّ.

A Valuable Manuscript of Qawaʿid al-Ahkam: A Descriptive and Analytical Study

Edited by: Saeed al-Jamali

Allameh Hilli Center, Holy Qom

Seed13687@gmail.com

Abstract

This study examines a valuable manuscript copy of Qawaʿid al-Ahkam by Allama al-Hilli, a work that has attracted the attention of jurists and scholars since the time of its composition due to its significance in Shiʿi jurisprudence. This scholarly interest resulted in the production and circulation of numerous manuscript copies of the work.

The significance of the manuscript examined in this study derives from several factors, most notably its early date of transcription. The first volume was copied by Sayyid Sultan ibn al-Hasan al-Shajari al-Qummi in 822 AH, while the second volume was copied in the following year, in the vicinity of the Shrine of Imam Ali.

The manuscript's importance is further enhanced by the presence of valuable marginal annotations and glosses, including a gloss on the commentary Kanz al-Fawa'id, written by the same copyist. The manuscript is also documented through multiple records of ijazahs (scholarly licenses) and reading certificates granted by prominent scholars who studied and authenticated the text.

Over the centuries, the manuscript passed into the possession of several distinguished figures, including al-Fayd al-Kashani in Isfahan and later Ishaq ibn Muhammad ʿAlam al-Huda in Kashan. It remained in the possession and under the supervision of scholars and teachers for more than 625 years.

Keywords:

Awaʿid al-Ahkam, Allama al-Hilli, Manuscript Copy, Ijazahs, Reading Certificates, al-Shajari al-Qummi.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمّد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

تمهيد

حظي كتاب «قواعد الأحكام» للعلّامة الحلّيّ باهتمام العلماء والفقهاء؛ وذلك بسبب شموليّته وأهميّته في الفقه الشيعي، ما أدّى إلى أن تكون له نسخ عديدة.

ولأجل إلقاء الضوء على هذا الكتاب، كانت الخطوة الأُولى هي نَسْخِهِ على يد كبار العلماء على مرّ العصور، وقد تميّزت بعض هذه النسخ بخصائص خاصّة تعطيها أهمّيّة كبيرة.

وفي هذه البحث نقدِّمُ واحدة من النسخ الثمينة لهذا الكتاب، وبيان فوائدها.

استنسخ السيّد سُلطان بن الحسن الشَّجري القمّي في ربيع الثاني سنة ٨٢٢هـ الجزء الأوّل من «قواعد الأحكام»، وفي ربيع الأوّل سنة ٨٢٣هـ أكمل الجزء الثاني من الكتاب. وقد أنجز الكتابة في جوار حرم الإمام عليّ عليه السلام في النجف الأشرف. وفي السنة نفسها قرأ الكتابَ على أُستاذه حسن بن محمّد الاسترآبادي من فقهاء النجف الأشرف، وأعطى له الأُستاذ إجازة رواية هذا الكتاب وسائر مؤلّفات الإماميّة.

وفي سنة ٨٢٥هـ، كتب حسنُ ابن السيّد سُلطان الجزءَ الأوّل من شرح «قواعد الأحكام» المعروف بـ (كنز الفوائد) في هامش الكتاب، وهو الذي كتبه ابن أُخت العلّامة السيّد عميد الدين.

ثمّ في سنة ٨٧١هـ، قرأ أحد العلماء الكبار هذا الكتاب على أُستاذه محمّد بن أحمد الشمسطاري العاملي، وكتب له شهادة قراءة.

وفي سنة ٨٧٢هـ، قرأ بدر الدين حسن بن محمّد ابن عزّ الدين حسن بن العشرة هذا الكتاب كاملًا على أُستاذه الشيخ محمّد بن عليّ الحسام العاملي، وأعطى له الأُستاذ إجازة رواية هذا الكتاب وسائر مؤلّفات الإماميّة.

وفي سنة ٨٩٠هـ، قرأ بدر الدين حسن بن محمّد ابن عزّ الدين حسن بن العشرة أيضًا، هذا الكتاب على أُستاذه عليّ بن هلال الجزائري، وحصل على إجازة رواية هذا الكتاب وسائر مؤلّفات الإماميّة، وكتب له إجازة مفصّلة.

وبعد ذلك، انتقلت النسخة إلى إيران ودخلت مدينة أصفهان في سنة ١٠٦٥هـ ودخلت في ملك محمّد بن محمّد المحسن بن المرتضى، المعروف بعلم الهدى الفيض الكاشاني. ثمّ انتقلت بعد سنوات إلى مدينة كاشان في سنة ١١١٣هـ، ودخلت في ملك إسحاق بن محمّد علم الهدى بن محمّد المحسن بن المرتضى.

ثمّ انتقل الجزء الأوّل من هذه النسخة بعد سنوات إلى مكتبة جامعة طهران، ويُحتفظ به الآن برقم: ١٨٥٧. والجزء الثاني انتقل إلى قم المقدّسة، وهو الآن موجود في مكتبة آية الله المرعشي النجفي برقم: ٨٦٧٣.

ومن مجموع ما ذُكر تظهر قيمة هذه النسخة بوضوح وأهميتها. كما كانت في متناول يد العلماء والفضلاء لمدّة تبلغ نحو ٦٢٥ سنة، وقد استفادوا منها في دروسهم وبحوثهم، وهذا يدلّ على المكانة الكبيرة لها.

المحور الأوّل: تعريف بنسخة الكتاب ومختصّاتها

كاتبها: السيّد سُلطان بن الحسن بن سُلطان الشَّجري الحسيني القُمّي النجفي.

وقد تقدّم أنّ النسخة تقع في جزأين، سنتعرّض إليهما فيما يأتي:

الجزء الأوّل (نسخة مكتبة جامعة طهران)

كتب الشَّجريُّ على ظهر النسخة: «الجزءُ الأوّل من كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، تَصنيف الشيخ الإمام العالم، العامل الفاضل الكامل، المُحقّق المُدقّق، مُفتي الشيعة ورُكن الشريعة، جامع المَعقول والمَنقول، المتبحّر في علمَي الفُرُوع والأُصول، سُلطان الحُكَماء والمتكلّمين، سيّد الفُقهاء والمُجتهدين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، جَمال المِلّة والحقّ والدين، أبي منصور حَسن بن المُطَهَّر الحِلّي ـ قدَّس الله نفسَه، وروَّح رَمسَه. وكَتَبَ لنفسه ولمَن يكون بعده أضعفُ عباد الله الرحيم الغنيّ **سُلطان بن الحسن بن سُلطان الحُسيني القُمّيّ**»[1]

(١) «هو السيّد سلطان بن الحسن بن سلطان بن الحسين بن الحسن بن علّي بن الحسن بن علّي بن الحسن بن محمّد بن عليّ بن ناصر بن أحمد ابن أبي الغنائم محمّد بن عزيزي ابن أبي القاسم الحسين ـ نقيب قمّ ـ ابن أبي محمّد الحسن القمّي ابن أبي عليّ أحمد ـ نقيب قمّ، المعروف بصاحب الخال ـ بن عليّ ابن أبي عبد الله محمّد الشجري ابن أبي عليّ عمر الشجري بن عليّ الأصغر المحدّث ابن أبي عليّ عمر الأشرف ابن الإمام زين العابدين عليه السلام، العلوي الحسيني الأشرفي الشجري القمّي». وهو مجاور في الغريّ الشريف.

واستُظهر في بعض المصادر أنّه «حسنيٌّ» لا «حسينيّ»؛ بقرينة «الشجري»، فآلُ الشجري من الأُسر الحسنيّة المنتهيّة بنسبها إلى عبد الرحمن الشجري بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط.

ولكن الصحيح ما ذكرناه في سلسلة نسبه الشريف، وأقوى ما يدلّ على أنّه «حسيني شجري» تصريحه بذلك بخطّه على هذه النسخة التي بأيدينا.

وكان السيّد سُلطان بن الحسن الشَّجري من فقهاء الإماميّة في النجف الأشرف، ذا اعتناء

مَولـدًا، نفع الله به وبسـائر مصنّفاته، وخَتَمَ الله أعمالَـه بالصالحات له ولوالدَيه ولأستاذيه وللمؤمنين، آمين».

بنسخ الكتب وتجويد خطّه، وقراءتها على شيوخ عصره، ونذكر في ما يلي بعض مستنسخاته:
نسـخة «تحرير الأحكام الشرعيّة» للعلّامة الحلّي، المحفوظة في المكتبة الرضويّة برقم: ٢٢٧٧ .
نسـخ الشجري هذا الكتاب، ثمّ أنهى قراءته على شيخه عليّ بن الحسن الاسترآبادي، وكتب له الأخير إنهاء في موضعين من الكتاب، هما: الموضع الأوّل: استنسـخ السيّد الشجري الجزء الأوّل في أوائـل ذي القعدة سـنة ٨٣٢هـ، وأنهى قراءته على شـيخه الاسـترابادي بتاريخ ٣ شـعبان سـنة ٨٣٣هـ، والموضع الثاني: واستنسـخ الجزء الثاني في رجب سنة ٨٣٣هـ، وأنهى قراءته على شيخه الاسترآبادي بتاريخ ٢٨ ذي الحجّة سنة ٨٣٣هـ.
نسـخة «التنقيـح الرائـع لمختصر الشرائـع» للفاضـل المقداد السـيوري (ت٨٢٦هـ)، نسـخ الكتاب في الأوّل من ربيع الأوّل سنة ٨٣٤هـ.
نسـخة «جوامع الجامع» للفضل بن الحسـن الطبرسي (ق٦هـ)، نسـخ الكتاب في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قرأه على السيّد جعفر بن أحمد الملحوس الحلّي في سنة ٨٣٨هـ.
هذا ولم يذكر أحد ممّن ترجم السـيّد سُـلطان الشَّـجري القمّي تاريخ ولادته، ولا السـنة التي تـوفّي فيهـا، غير أنّـه كان حيًّا سـنة (٨٣٨هـ)، كما تقدّم آنفًـا، حيث هو تاريخ قراءته لنسـخة «جوامع الجامع».
مجلّة تراثنا، العدد ١٤٠، «بحث: من أعلام النجف الأشرف المولى الاسترآبادي، بقلم: ميثم سويدان الحميري الحلّي»، ١٣٩، ويُنظر: موسوعة طبقات الفقهاء ٩/ ١١٠.

الجزء الاول من
كتاب
قواعد الأحكام
في معرفة الحلال والحرام
تصنيف
الإمام العالم العامل الفاضل
الكامل المحقق
المدقق مفتي الشيعة
ركن الدين جامع
المعقول والمنقول المتبحر
في على الفروع والاصول سلطان
الحكماء والمتكلمين سيد الفقهاء
والمجتهدين وارث علوم الانبياء والمرسلين
جمال الملة والحق والدين منصور حسن المظفر
الحلي قدس الله نفسه وروح رمسه
وكتب لنفسه ولمن يكون بعده
اضعف عباد الله
الرحيم الغني
سلطان بن حسن بن سلطان
الحسيني العلوي
مولدا ينفعه الله وسائر مصنفاته
وختم الله اعماله بالصالحات
له ولوالديه ولاساتذته وللمؤمنين امين

وقال في نهاية الجزء الأوّل: «وافق (كذا) الفراغ من كتابته... على يد أضعف العباد، وأحوجهم إلى رحمة ربّه، **سُلطان بن حسن بن سُلطان العَلوي**

الحُسيني الشَّجري القُميّ[1]، أصلح الله شأنه، وغفر له ولوالدَيه ولأستاذيه وللمؤمنين، آمين ربّ العالمين. ويتلوه في الجزء الثاني كتاب النكاح. ربّ اختم بالخير والسعادة».

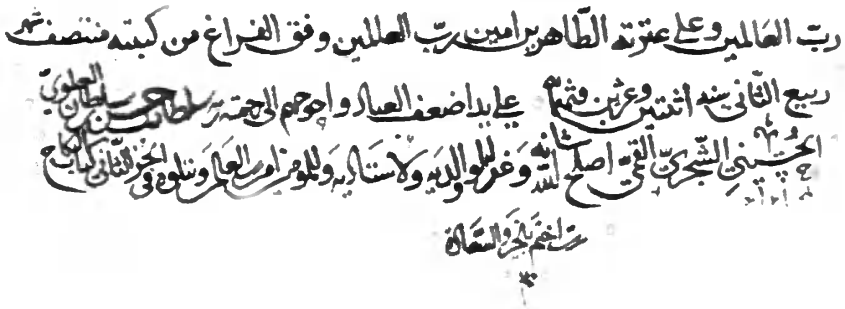

تاريخ ومكان النسخ: قال: «وكان ذلك بحضرة أمير المؤمنين ـ عليه أفضل الصلوات، وأكمل التحيّات ـ في منتصف شهر ربيع الثاني سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة».

أوصافها: يقع هذا الجزء في ١٦٤ ورقة، في كلّ صفحة ٢٥ سطرًا، بخطّ نسخ، وعناوينه بالمداد الأحمر، ومقياسها: ١٨ × ٢٧ سم.

الجزء الثاني (مكتبة المرعشي النجفي)

كتب على ظهر هذا الجزء: «الله حسبي. الجزء الأخير من كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، تصنيف شيخنا العلّامة، مفتي الفرق، مستنقذ المذهب من لجّة الغرق، لسان الفقهاء والمجتهدين، جمال الملّة والحقّ والدين، أبي منصور الحسن بن يوسف بن عليّ بن مطهَّر الحِلّي ـ قدَّس الله نفسه، وروَّح رَمسه ـ».

(١) موسوعة طبقات الفقهاء ٩: ١١٠.

وجاء في نهايته: «تمّ كتاب قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على خاتم النبيّين محمّد وآله المنتجبين إلى يوم الدين. وقع الفراغُ من تحريره لنفسه، ولَمن يكون من المؤمنين بعده من أهله وإخوانه، بحضرة الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام، أسد الله الغالب، الإمام المرتضى، أمير المؤمنين، عليّ بن أبي طالبٍ ـ عليه أفضل الصلوات، وأكمل التحيّات ـ على يد العبد الفقير الحقير، الغريق في بحر محبّة الأئمّة المعصومين، **سُلطان بن الحسن بن سُلطان بن الحسن الحسيني الشَّجري القُمّي** مولدًا، ختم الله أعماله بالصالحات، ورزقه شفاعة جدّه يوم تطوى السماوات، له ولوالدَيه ولأستاذيه وجميع المؤمنين والمؤمنات، آمين».

تاريخ كتابة هذا الجزء: «في تاريخ سلخ ربيع الأوّل سنة ثلاث وعشرين وثمان مئة هجريّة نبويّة ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم ـ».

أوصافها: يقع هذا الجزء في ١٥٦ ورقة، في كلّ صفحة ٢٥ سطرًا، بخطّ نسخ، وعناوينه بالمداد الأحمر، ومقياسها: ٢٧ × ٢٨سم.

المحور الثاني: الكتابات المثبتة على النسخة

ممّا يميّز هذه النسخة وجود عدد كبير من الإجازات والإنهاءات والفوائد والتملّكات عليها، ما يرفع من أهمّيّتها. وفي ما يلي نذكر هذه الفوائد:

١. الإجازات والإنهاءات

أوّلًا: إجازة الشيخ عليّ بن الحسن الاسترآبادي للسيّد سُلطان بن الحسن بن سُلطان العَلوي الحُسيني الشَّجري القُمّي.

قرأ السيّد سُلطان الشَّجري كتاب «قواعد الأحكام» على أُستاذه الشيخ

عليّ بن الحسن الاسترآبادي[1] كما تقدّم، ثمّ أجازه الاسترآبادي هذا الكتاب وسائر مصنّفات المشايخ الأعلام في سنة ٨٢٣هـ.

قال الشَّجريُّ في بداية الكتاب: «ابتداء تاريخ قراءته سنة عشرين وثمان مئة، وفراغه منها سنة ثلاث وعشرين وثمان مئة»، ونصّ الإجازة ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. [...][2] شكره الباعث لطفه، والصلاة على سيّدنا محمّدٍ [...] نطقه، وآله المعصومين الذين تعلّم منهم الخلائق [...] أئمّة باقية إلى [الـ]يوم الموعود، المعلوم بالتواتر صدقه [...].

[قرأ عليَّ...] سيّد السادة، منبع السعادة، نتيجة الرسول، قرّة عين [البتول...] العالم العامل، الفاضل الكامل الورع، جامع الفروع والأُصول [...] المتقدّمين، مفخر آل طه ويس، المخصوص بعناية ربّ العالمين، السيّد

---

(١) هو الشيخ زين الدين عليّ بن الحسن بن محمّد الاسترآبادي، أحد علماء الإماميّة في النجف الأشرف في النصف الأوّل من القرن التاسع الهجري. قرأ ﵀ على جملة من شيوخ زمانه، منهم: أبو سعيد رضيّ الدين الحسن بن عبد الله بن محمّد الأعرج الحسيني، وأبو طالب جمال الدين محمّد بن عميد الدين عبد المطّلب الأعرجي، وعزّ الدين الحسن بن سليمان الحلّي، والسيّد المرتضى عليّ بن الحسن الحسيني. وقرأ عليه عدّة من أعلام الطائفة، منهم: السيّد نظام الدين تركة بن تاج الدين ابن جلال الدين عبد الله الحسيني، والشيخ جعفر بن أحمد بن الحسن المكّي، والسيّد حسن بن حمزة الموسوي النجفي، ورضيّ الدين عبد الملك بن إسحاق الفتحاني القمّي الكاشاني، والشيخ محمّد بن شجاع الأنصاري الحلّي.
له حواشٍ وإفادات كثيرة على كتاب (تحرير الأحكام الشرعيّة) للعلّامة الحلّي، وله إجازات عدّة كتبها لبعض تلاميذه، وله أيضًا بعض الإنهاءات على بعض الكتب التي قرئت عليه، وأكثرها كتب العلّامة الحلّي. ولم نعثر على تاريخ وفاته، ولكن أنّ آخر إجازات المولى الاسترآبادي التي عثر عليها كانت في سنة ٨٣٧هـ. راجع ترجمته في: من أعلام النجف الأشرف المولى الاسترآبادي النجفي (إجازاته وإنهاءاته)، مجلّة تراثنا، العدد ١٤٠، ص ٩٨ ـ ١٦٢.

(٢) مع الأسف لقد طمست كلمات وعبارات من هذه الإجازة بسبب الرطوبة، فصار من المتعذّر قراءتها، ولذلك قمنا بترميم ما تمكّنّا من ترميمه، ووضعناه بين معقوفين.

[...] شمس [...]ين سلطان ابن السيّد الأعظم الأمجد الأكرم، نتيجة [...] السيّد تاج الملّة والدُّنيا والدين حسن بن السيّد [...] منبع الجود والألطاف، السعيد المغفور المرحوم طاب ثراه [...] العلوي الحُسيني القُمّي، أدام الله شرفه وسيادته [...] هذا الكتاب ـ وهو قواعد الأحكام في معرفة الحلال و الحرام ـ [تصنيف شيخنا...] وإمامنا المعظّم، شيخ مشايخ الإسلام، قدوة علماء الأنام [...] مرجع الحكماء والمتكلّمين، السعيد المرحوم المغفور، جمال الحقّ والملّة والدنيا [والدين... حسن] ابن الشيخ الإمام العلّامة السعيد المغفور سديد الحقّ والدين، يوسف بن [عليّ بن المطهّر، طيّب الله] رمسه، من أوّله إلى آخره، قراءةً مهذّبةً، تشهد بفضله، وتنبئ على غزارة [علمه، وسأل في أثناء] قراءته وتضاعيف [مباحثه عمّا] استشكل عليه من فقه الكتاب، فبيّنتُ [ذلك له] بيانًا كافيًا، وأوضحتُه إيضاحًا شافيًا.

وقد أجزتُ له رواية ذلك وغيره ـ مـ[ـن مصنّفات] مصنّفه ـ طاب ثراه ـ في العلوم [العقليّة] والنقليّة، ومن مصنّفات الشيخ أبي جعفر محمّد [بن الحسن الطوسي]، والشيخ المفيد، وجميع مشايخـ[ـنا] من الأُصول والفروع ـ عنّي، عن شيخي المولى السـ[ـيّد الحسيب] النسيب، جامع الأُصول والفروع، خاتمة المجتهدين، السيّد عزّ الملّة والدين، الحسن بن عبد الله بن محمّد [بن عليّ] الأعرج العلوي الحسيني ـ قدّس الله سرّه ـ عن شيخه المولى الإمام الأعظم، قدوة علماء الأُمم، جامع [الفضائل النفسانيّة]، حاوي العلوم العقليّة والنقليّة، السعيد المرحوم، فخر الملّة والحقّ والدين، أبي طالب محمّد ابن المولى الشيخ الإمام جمال الحقّ والدين أبي منصور الحسن مصنّف الكتاب [...]، فليروِ ذلك [...]. [و] كتب العبد الفقير إلى ربّه الهادي، عليّ بن الحسن بن محمّد الاسترآبادي [...] وعشرين وثمان مئة، حامداً لربّه على نعمائه، و[مصلّيًا على سيّد المرسلين محمّد] المصطفى وآله، ومسلّمًا».

ثانيًا: ثمّ كتب المولى الاسترآبادي للسيّد الشجري إنهاءً في آخر الجزء الأوّل من الكتاب بتاريخ ٣ جمادى الأُولى سنة ٨٢٢هـ، ونصّه ما يلي:

«أنهاه ـ أيّده الله، وأدام سيادته وفضائله ـ قراءةً وبحثًا وضبطًا واستشراحًا، وفّقه الله وإيّانا لمراضيه، وأعانه وإيّانا على اتّباع أوامره واجتناب نواهيه، وذلك في مجالس آخرها ثالث جمادى الأُولى سنة اثنتين وعشرين وثمان مئة هجريّة. وكتب أصغر عباد الله عليّ بن الحسن بن محمّد الاسترآبادي، حامدًا لله، ومصلّيًا على رسوله محمّد النبيّ وآله الطاهرين، ومسلّمًا».

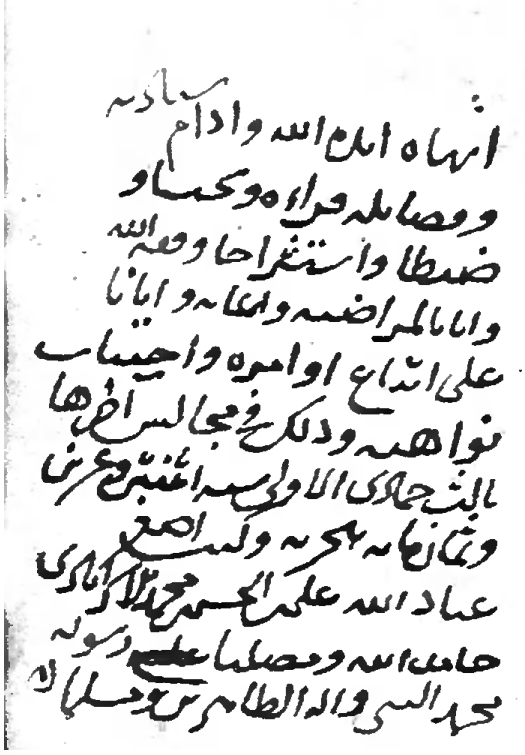

ثالثًا: إجازة الشيخ محمّد بن عليّ بن الحسام[1] للشيخ بدر الدين محمّد ابن عزّ الدين الحسن بن يوسف المعروف بابن العشرة.

قرأ الشيخ بدر الدين كلّ كتاب «قواعد الأحكام» على شيخه الشيخ محمّد بن عليّ بن الحسام العاملي، وبحث عن مشكلاته، ثمّ أجازه كتاب القواعد و سائر مصنّفات الإماميّة في تاريخ غرّة شهر رمضان سنة ٨٧٢هـ، ونصّ الإجازة ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. قرأ عليَّ الشيخُ الفاضل الورع الكامل، بقيّة السلف الصالحين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ الشيخ بدر الدين حسن ابن الشيخ فخر الدين محمّد ابن الشيخ عزّ الدين حسن بن العشرة، كلّ كتاب (قواعد الأحكام)، قراءةً مهذّبةً مرضيّةً، تشهد بمزيد فضله وتحقيقه وتعمّقه وتدقيقه، سأل خلالها عن مشكلاته، وكشف بفضله قناع معضلاته، فأجبته عن ذلك على قدر ما عندي من البضاعة، مع قصور الباع لقلّة الصناعة[2]، فقَبلَ ذلك قبول علم وإيقان، وفهم وإتقان. وكانت الاستفادة منه أعظم من الإفادة

(١) هو الشيخ ظهير الدين محمّد ابن زين الدين عليّ بن الحسام العاملي العيناثي، كان فاضلاً عابدًا فقيهًا، من المشايخ الأجلّاء. يروي عن: المقداد السيوري، والشيخ جمال الدين أحمد بن فهد، وأبيه الشيخ زين الدين عليّ، وشمس الدين محمّد بن محمّد بن عبد الله العُرَيضي، والشيخ سليمان بن محمّد العيناثي. ويروي عنه: أخوه الشيخ عزّ الدين حسين بن الحسام، ويدعو له في إجازة لبعض تلاميذه في سنة هـ٨٧٣ بقوله: «حفظه الله» ما يدلّ على حياته في ذلك التاريخ، ويروي عنه أيضًا: الشيخ ناصر بن إبراهيم البويهي، والشيخ إبراهيم بن الحسن العاملي الشَّقيفي، والشيخ عماد الدين عليّ الجرجاني. وقرأ هذا الشيخ كتاب «تحرير الأحكام» على أُستاذه، ثمّ كتب عليه بخطّه إجازة له في غاية التجليل، تاريخها ٨٦١هـ. راجع: رياض العلماء ٧: ١٩٠؛ طبقات أعلام الشيعة ٦: ١٢٦؛ الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل: ٤٨١؛ مستدرك الفقيه: ١٦٣ ـ ١٦٤.

(٢) كذا، والأنسب: «مع قصور الباع في الصناعة»، أو «مع قصور الباع لقلّة الاطّلاع».

له، فرُبّ حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه.

وأجزتُ له أن يروي جميع ما أذنتُ له في كتابته عنّي، عن الشيخ الإمام العلّامة شمس الدين محمّد بن محمّد بن عبد الله العُرَيضي ـ قدّس الله روحه الزكيّة، وأفاض على تربته المراحم الربّانيّة ـ، عن السيّد المعظّم المحترم المكرّم عزّ الدين حسن نجم الدين، عن الإمامَين الفاضلَين السيّد عميد الدين والشيخ فخر الدين، عن إمام المجتهدين المصنّف الحسن ابن الشيخ الصالح ملك المناظرين يوسف بن عليّ ابن المطهّر ـ قدّس الله أرواحهم.

وأجزتُ له أن يروي جميع ما أفتى به الإمامُ المذكورُ في مصنّفاته وجواباته، عنّي، عن والدي، عن عمّي الشيخ زين الدين جعفر بن الحسام، عن السيّد المذكور، عن الإمامَين المذكورَين، عنه.

وأجزتُ له أن يروي جميع ما أفتى به الإمامُ المحقّق المدقّق الشيخ نجم الدين جعفر بن سعيد، عنّي، عن والدي، عن عمّي، عن السيّد المذكور، عن الإمامَين المذكورَين، عن جمال الدين المصنّف، عنه.

وأجزتُ له أن يروي جميع ما أفتى به الإمامُ المحقّق، الحبر المدقّق، الفائق في زمانه، المبرّز على سائر أقرانه، السعيد الشهيد أبي عبد الله شمس الدين محمّد بن مكّي ـ ضاعف الله عليه مزيد رضوانه، وأسكنه أعلا غرف جنانه ـ عنّي، عن والدي، عن عمّي، عن السيّد المذكور حسن نجم الدين، عنه.

وأجزتُ له أن يروي فتاوى «المختلف»، وفتاوى «الإرشاد» على التعيين، عن والدي، عن عمّي، عن الشيخ زين الدين عليّ ابن الشيخ أمير الدين عليّ بن موسى العاملي، عن المصنّف.

وأجزتُ له أن يروي فتاوى الشيخ فخر الدين محمّد ابن المطهّر، عن الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد، عن الشيخ موسى الأطراوي، عنه.

وأجزتُ له أن يروي فتاوى الشيخ جمال الدين أحمد بن فهد، عنّي، عنه.

وأجزتُ له أن يروي «الدروس الشرعيّة»، عنّي، عن الشيخ سليمان بن محمّد، عن الشيخ شمس الدين محمّد بن مجاهد، عن المصنّف، وأنّه مات على ما أفتى به فيـ[ـه].

وأجزتُ له أن يروي كتب الشيخ أبي جعفر الطوسي بهذا الإسناد إلى الشيخ جمال الدين، عن والده، وشيخه أبي القاسم، والسيّد جمال الدين أحمد ابن طاوس، عن الشيخ يحيى بن محمّد السُّوراوي، عن الحسين بن رَطبة، عن أبي عليّ الشيخ، عن أبيه.

وبهذا الإسناد جميع كتب السيّد المرتضى، عن الشيخ [، عنه].

وكتب المفيد، عن الشيخ، عنه.

وجميع كتب الشيخَين الصدوق ووالده، عن المفيد، عنهما.

وكتاب (الكافي) في الروايات بهذا الإسناد إلى الشيخ المفيد، عن ابن قولويه، عن مصنّفه محمّد بن يعقوب الكليني ـ بتشديد اللام، قاله الشهيد.

فليروِ ذلك لمن شاء وأحبّ، فهو أهل لذلك.

وكتب أصغر عباد الله محمّد بن عليّ بن الحسام ـ عفا الله عنه، بمنّه وكرمه ـ غرّة شهر رمضان المعظّم قدره، سنة اثنين وسبعين وثمان مئة، والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم».

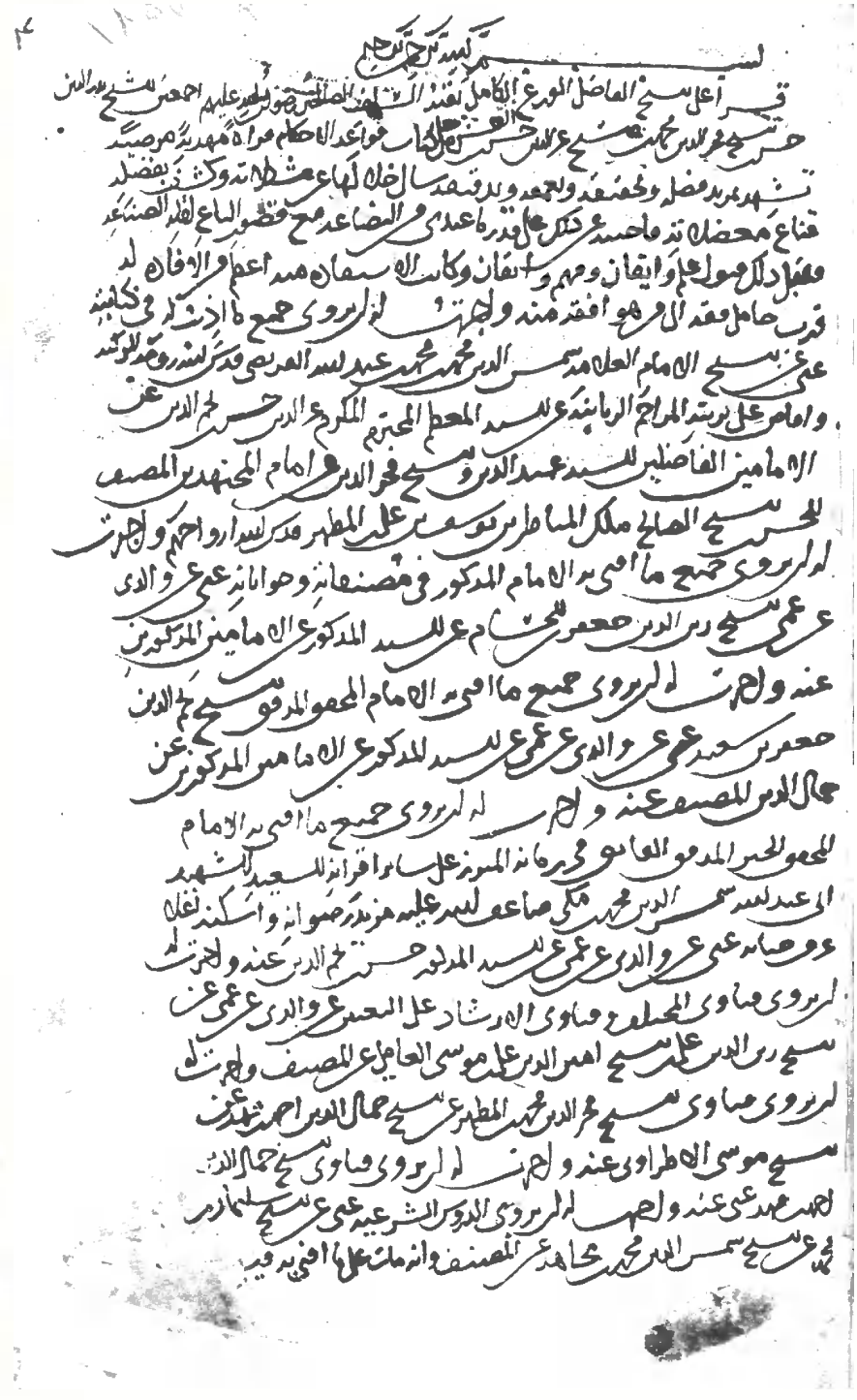

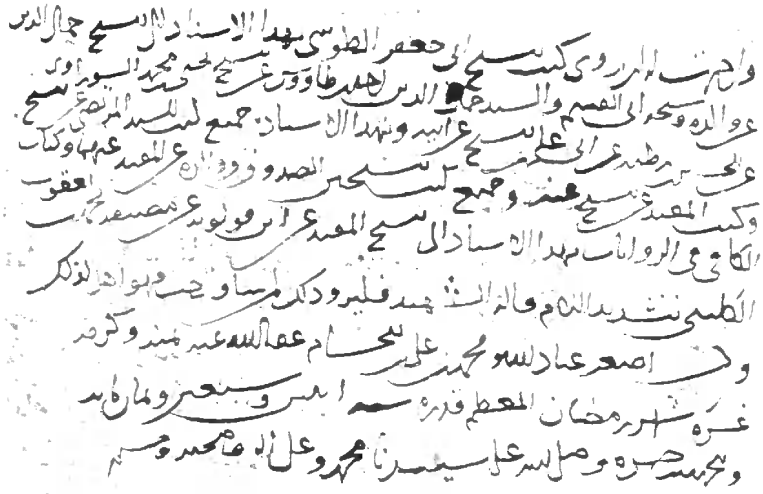

رابعًا: إجازة عليّ بن هلال الجزائري[1] لتلميذه الشيخ بدر الدين محمّد ابن عزّ الدين الحسن بن يوسف المعروف بابن العشرة.

«[... ولمّا كان معرفة الأحكام الشرعيّة ونقل الآثار النبويّة تعلم في الطبقة الأُولى تارةً بالقول مشافهةً، وتارةً بالإفتاء، وتارةً بعمل مَن يجب الاقتداء به، وأُخرى][2] بتقريره، إلى غير ذلك من طُرقه، وكان الطريق بعد ذلك للمشايخ والرواة طرقٌ، منها القراءة على الشيخ، ومنها سَماع القراءة عليه، ومنها مكاتبته، ومنها إجازته، وإجازته منها المعنعنة، ومنها المرسلة.

واعلم أنّه لمّا حكم العقل وصحيح النقل، والبراهين العقليّة القطعيّة، والأدلّة الجليّة النقليّة، تبعًا لما اقتضته الحكمة الإلهيّة، أنّ العلم أشرف المقتنَيات، وأعظم نفعًا من جميع المدّخَرات، كان الواجب على كلّ ذي عقل سديد، ورأي رشيد،

---

(١) هو الشيخ زين الدين أبو الحسن عليّ بن هلال الجزائري مولدًا، والعراقي أصلاً ومحتِدًا. ارتحل إلى العراق، وأدرك فقيه عصره أحمد بن محمّد بن فهد الحلي (ت ٨٤١هـ)، وقرأ عليه، وأخذ عنه. وأخذ أيضًا عن تلميذَي ابن فهد: جمال الدين الحسن بن الحسين بن مطر الأسدي الجزائري، والحسن بن يوسف ابن العشرة الكسرواني (ت٨٦٢هـ). وقد سكن كرك نوح. ودرّس، وصنّف، وطال عُمُره، وبَعُد صيته، وقصده الطلبة، وصار فقيه الإماميّة في عصره. يروي عنه: محمّد بن عليّ بن أبي جمهور الأحسائي، وإبراهيم بن الحسن الدرّاق، وعزّ الدين بن جعفر بن شمس الدين الآملي، والمحقّق عليّ بن عبد العالي الكركي، وبهاء الدين الاسترآبادي، وله منه إجازة كتبها له المترجم سنة ٨٨٩هـ على نسخة من «قواعد الأحكام». ولم نظفر بتاريخ وفاته، لكنه أجاز تلميذه الكركي في شهر رمضان سنة تسع وتسع مئة. راجع: أمل الآمل ٢: ٢١٠، رقم ٦٣٣؛ بحار الأنوار ١٠٥: ٢٨، الإجازة ٣١؛ رياض العلماء ٤: ٢٨٠؛ روضات الجنّات ٤: ٣٥٦؛ رقم ٤١٣؛ طبقات أعلام الشيعة ٤: ١٦٩؛ موسوعة طبقات الفقهاء ١٠: ١٩١، رقم٣٢٠٨.

(٢) مع الأسف، سقطت سطور من بدايتها. وما أضفناه هو من إجازة الشيخ عليّ بن هلال الجزائري للشيخ عليّ بن عبد العالي الكركي؛ وذلك لأنّ هاتين الإجازتين متشابهتان في ابتدائهما. بحار الأنوار ١٠٥: ٣٠.

أن يـصرف إليه العناية الكلّيّة بحسـب الطاقة البشريّـة؛ لينال بذلك أعلى منازل الكمال، ويفوز بالقرب من ربّ العالمين، ويجاور في دار البقاء الأنبياء والمرسلين، وليحظى بالفوز في دار السعادة الأبديّة، ويفوز بعزّ دار الثواب السرمديّة.

وكان من طلّاب هذه الإفادة والراغبين في هذه السعادة، الشيخ العالم العامل الفاضل الكامل، الشيخ بدر الدين بن الشيخ فخر الدين بن محمّد بن الشيخ عزّ الدين حسـن بن يوسـف المعروف بابن العشرة، شـيخي الأعظم الأكرم، ومَن عليه أعظم اعتمادي في الأحكام الشريعة[1]، جدّ المخدوم، التمس منّي إجازةً ولم أكن أهلًا لذلك؛ لقلّة البضاعة، وقصور باعي في هذه الصناعة، ولمّا كان ممّن بلغ في هـذا المرام أعلى منازل الكرام، وكان بذلُ العلـم من أعظم الواجبات، ومنعُه من جملة كبائر الموبقات، لم يسعني منعه الإجابة، وقلتُ في بيان حالي ما روي عن المعلّى لمّا مُدح في بحث ذُكرَ[2]:

لعمـرُ أبيـكَ مـا نُسـب المعلّـى
إلـى كـرم وفـي الدُّنيـا كـريمُ
ولكـنَّ البَـلادَ إذا اقشَـعَرَّت
وَصـوَّحَ[3] نبتُهـا رُعـي الهَشِـيمُ[4]

ولكنّي لمّا لم أجد المنع جميلًا، ولا إلى ترك الإجابة سـبيلًا؛ لتحريم منع العلم عن طالبيه، ووجوب بذله لمستحقّيه، فأجبتُ ما التمس الشيخ بالسمع والطاعة، مع قصور باعي، وقلّة البضاعة[5].

(١) كذا، والصواب: «أحكام الشريعة».
(٢) البيتان لأبي علي البصير. ديوانه ٣٦.
(٣) في حاشية النسخة: «يقال: صَوَّحَته الريح: أيبَسَته». [الصحاح ١: ٣٨٤ (صوح)].
(٤) في حاشية النسخة: «الهَشِيم من النبات: اليابس». [الصحاح ٥: ٢٠٥٨ (هشم)].
(٥) كذا، والأنسب: «وقلّة اطّلاعي».

وأجـزتُ له ـ أدام الله أيّامه وفواضله، وأسـبغ عليه نعمـه وأكمل فضائله، ومدّ له في العمر السعيد، ومتّعه بالعيش الرغيد، ورفع ذكره في الخافقَين، وبلّغه تعالـى بمنّه وكرمه سـعادة الدارَين، إنّه خـير موفّق ومعين ـ أن يروي عنّي، عن شـيخي المولى العالم العامل الفاضل الكامل الشـيخ عزّ الدين حسن بن يوسف الشـهير بابن العشرة، وعن شـيخي الشـيخ عزّ الدين حسن بن حسين بن مطر، [و] عـن شـيخي المولى الإمام الأجـلّ الأعظم الأفضل الأكمـل الأعلم، علّامة علـماء الإسـلام، خلاصة فضلاء الأنـام، أبي العبّاس جمـال الملّة والحـقّ والدنيا والدين، أحمد بن محمّد بن فَهد ـ تغمّده الله برحمته، وأسـكنه في أعلى منازل جنّته ـ كتاب (قواعد الأحكام في معرفة الحلال والحرام)، عنه، عن شيخه نظام الدين عليّ بن عبد الحميد النيلي، عن شـيخه المولى الإمام المحقّق فخر الدين محمّد بن الشيخ جمال الدين المصنّف.

وأن يـروي بهذا الطريق جميع مصنّفاته في المعقول والمنقول، وجميع مقروءاته ومُجازاته في المعقول والمنقول، والفروع والأُصول، والحديث والتفسير، وغيرها، بالطرق التي له إلى كلّ شيخ من المشايخ، كما ذكره في كتاب "الرجال".

وأجـزتُ لـه أن يروي عنّي، عن الشـيخ فخـر الدين محمّد بن الشـيخ جمال الدين بن مطهّر، جميع مصنّفات الشـيخ أبي القاسـم نجم الدين جعفر بن سعيد في العلوم العقليّة والنقليّة.

وأجـزتُ لـه بهـذا الطريق أن يروي جميـع مصنّفات الشـيخ أبي جعفر محمّد ابن الحسـن بن عليّ الطوسي ـ قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه ـ في العلوم العقليّة والنقليّة.

وأجزتُ له بهذا الطريق أيضًا أن يروي جميع مصنّفات الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان.

وأجزتُ لـه أن يـروي بهـذا الطريـق جميع مـا للروايـة فيه مدخـل عند علماء الإسـلام وفضلاء الأنام، مـن المعقول والمنقول، والفروع والأُصول، وغيرها.

وأجزتُ له أن يروي بهذا الطريق جميع مصنّفات المولى الإمام الأعظم السيّد المرتضى ـ تغمّده الله برحمته، وأسكنه بحبوحة جنّته.

وأجزتُ له أن يروي جميع مصنّفات الشيخ الصدوق الحافظ أبي جعفر محمّد بن عليّ بن موسى بن بابويه القمّي.

وأجزتُ له أن يروي بهذا الإسـناد جميع مصنّفات الشـيخ الحافظ أبي جعفر محمّد بن يعقوب الكليني، وجميع مرويّاته، وجميع المُجازات له، عنه، عن المفيد، عن أبي القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه.

وأجـزتُ لـه أن يروي بهـذا الطريق جميـع ما تضمّنـه كتاب (الـكافي)، عن شـيوخه بأسانيدهم المتّصلة المرضيّة، المنتهية إلى أئمّة الهدى، ومصابيح الدجى، بالأسـانيد التي ذكروها عن آبائهم المعصومين كابر عن كابر، حتّى اتّصل ذلك النقل بالنبيّ صلى الله عليه وآله.

وأجـزتُ لـه أن يروي جميع ما يثبـت عنده أنّه من مصنّفات الشـيعة في علم الأُصـول والشريعـة والروايات والتفاسـير، وجميـع كتب الإماميّـة التي صنّفها المتقدّمون منهم، والتي ألّفها المتأخّرون منهم بالطرق التي لهم إليهم.

وأجزتُ له أن يروي جميع كتب الأحاديث في جميع الفنون بأسانيدها المذكورة المتّصلة إلى رسـوله صلى الله عليه وآله أو إلى الأئمّة عليهم السلام على حدّ ما رووه، وبالأسـانيد التي ذكروها، وجميع ما يثبت عنده عن أيّ شـيخ كان من مشـايخ الإماميّة من علوم الأدب، والترغيـب والترهيب، واللغات والأشـعار واللغات (كـذا)، آخذًا في جميع ذلك بالاحتياط لي وله.

وأجزتُ له أن يجيز ذلك بالشرط المذكور لكلّ من يراه أهلًا لذلك ومستحقًّا له.

وكتب العبد الفقير إلى ربّه الغنيّ، عليّ بن هلال الجزائريّ مولدًا، العراقيّ محتدًا، آخر نهار يوم السبت ثاني عشر من شهر رمضان من شهور سنة تسعين وثمان مئة، حامدًا لله، ومصلّيًا على رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم».

والاصول والكتب والسفر وغيرها بالطرق التي له الى كل شيخ من المشايخ
كما ذكره في كتاب الرجال واجاز له ان يروي عني عن الشيخ فخر الدين محمد الشيخ جمال الدين
مطهر جميع مصنفات الشيخ الى ابي القاسم نجم الدين جعفر بن سعيد في المعقول
والمنقول واجاز له بهذا الطريق ان يروي جميع مصنفات الشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن علي
الطوسي قدس الله روحه ونور ضريحه في العلوم المعقولة والمنقولة واجاز له بهذا الطريق
ايضا ان يروي جميع مصنفات الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان واجاز له ان يروي
بهذا الطريق ايضا جميع ما للرواة فيه مدخل عند علماء الاسلام وفضلاء
الانام من المعقول والمدخول والفروع والاصول وغيرها واجاز له ان يروي
بهذا الطريق جميع مصنفات المولى الامام الاعظم السيد المرتضى بعده
الله برحمته واسكنه بحبوحة جنته واجاز له ان يروي جميع مصنفات الشيخ
الصدوق والحافظ ابي جعفر محمد علي بن موسى بابويه القمي واجاز له ان يروي
بهذا الاسناد جميع مصنفات الشيخ الحافظ ابي جعفر محمد بن يعقوب
الكليني وجميع مروياته وجميع المجازات له عنه عن المفيد عن ابي القاسم
جعفر بن محمد قولويه واجاز له ان يروي بهذا الطريق جميع ما تضمنه
كتاب الكافي عن سوحه باسانيدهم المتصلة المرضية المنتهية
الى ائمة الهدى عليهم السلام ومصانيح الدجى بالاسانيد التي ذكروها عن ابائهم
المعصومين كابر عن كابر حتى ينصل ذلك النقل بالنبي صلى الله عليه واله
واجاز له ان يروي جميع ما تضمنه عنده ان من مصنفات السيد في علم
الاصول والشريعة والروايات والمفاسير وجميع كتب الامامية
التي صنفها المعتمدون منهم والتي الفها الماخرون منهم بالطرق التي لهم
اليها واجاز له ان يروي جميع كتب الاحاديث في جميع الفنون باسانيدها
المذكورة المتصلة الى رسول صلى الله عليه واله او الى الائمة عليهم السلام
على حد ما رووه وبالاسانيد التي ذكروها وجميع ما تضمنه عنده عن
اي شيخ كان من مشايخ الامامية من علوم الادب والترغيب والمرهب
واللغات والاشعار واللغات اخر الى جميع ذلك بالاحتياط وله واجاز له
ان يحمل ذلك بالشرط المذكور لكل من يراه اهلا لذلك سمعه له وكتب العبد الفقير الى
الله تعالى محمد هلال الكراري مولدا العراقي محتدا اخر نهار يوم السبت ثاني عشر شهر
رمضان من شهور سنة سبعين وتسعمائة حامدا لله ومصليا على رسوله صلى الله عليه واله

خامسًا: إنهاء الشيخ محمّد بن أحمد بن محمّد الشمسطاري العاملي (ت ٨٧٤هـ)[١] لأحد تلامذته حين قرأ عليه كتاب «قواعد الأحكام» في تاريخ ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٨٧١هـ. وهذا نصّ الإنهاء:

«أنهاه ـ أيّده الله وأبقاه، ومن النعمة والتوفيق لا أخلاه ـ قراءةً وبحثًا وضبطًا وفهمًا، وسأل في أثناء قراءته عن معضلاته، وبحث عن نكاته ومشكلاته، فأجبتُه بحسب الجهد والطاقة في مجالس متعدّدة، آخرها اليوم الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخر من شهور سنة أحد (كذا) وسبعين وثمان مئة. وكتب أضعف العباد، الحاضر فيهم والباد، الواثق بالخالق الباري، محمّد بن أحمد الشمسطاري، حامدًا لله، ومصلّيًا على رسوله وآله الطاهرين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ».

(١) هو: محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد العلّي بن نجدة الكرَكي، الشمسطاري العاملي. كان جدُّه الفقيه شمس الدين محمّد بن عبد العليّ بن نجدة (ت٨٠٨هـ) من تلامذة الشهيد الأوّل، المختصّين به. أمّا محمّد الشمسطاري فقد أخذ عن الفقيه الحسن ابن العشرة الكسرواني الكرَكي تلميذ جدِّه شمس الدين المذكور، وعن السيّد شمس الدين بن عزّ الدين بن أبي القاسم الحسيني. قرأ عليه الحسين بن المرتضى بن إبراهيم الحسيني الشاري كتاب «التنقيح الرائع لمختصر الشرائع» للمقداد السيوري الحلّي، وقرأ عليه الحسين بن عليّ بن الحسن بن عيسى الحسيني السبزواري كتاب «الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة» للشهيد الأوّل. وقرأ كتاب «المحرّر في الفتاوي» لابن فهد الحلّي، وكتاب «قواعد الأحكام» للعلاّمة الحلّي. توفّي محمّد الشمسطاري في صفر سنة ٨٧٤هـ. ينظر ترجمته في: طبقات أعلام الشيعة ٦: ١٣١ ـ ١٣٢؛ موسوعة طبقات الفقهاء ٩: ٢٠٤ ـ ٢٠٥، رقم ٢٩٩٨؛ مستدرك الفقيه: ١٤٠ ـ ١٤٢، رقم ٤٠.

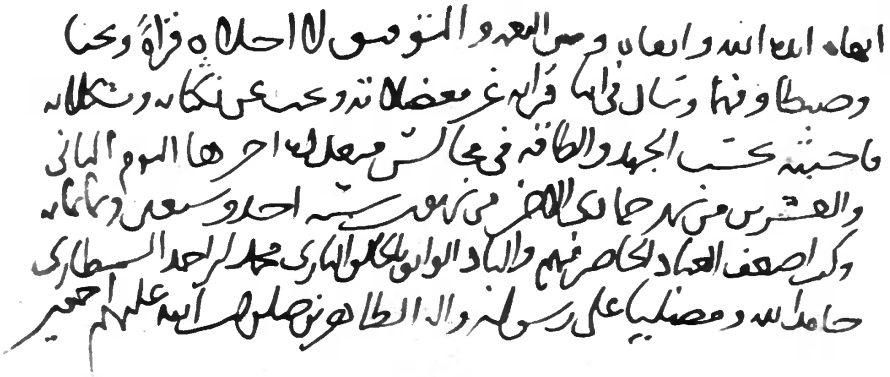

٢ـ الحواشي والفوائد

كتبت على الورقة الأُولى والثانية من الجزء الأوّل النسخة فوائد كثيرة، منها:

١ـ أبيات للشيخ المحقّق نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن بن يحيى بن سعيد الهذلي الحلّي (ت٦٧٦هـ)، ونصّها ما يلي:

للشيخ أبي القاسم:

يا راقدًا والمنايا غيرُ راقدةٍ
وغافلاً وسهامُ الدهر تَرميهِ
بِمَ اغترارُك والأيّامُ مُرصدةٌ
والدهرُ قد مَلأ الأسماعَ واعيهِ
ما إن أرَتك الليالي قُبحَ دخلَتِها
وغَدرَها بالذي كانت تُصافيهِ
رِفقًا بنفسِك يا مغرورُ إنّ لنا
يومًا تشيبُ النواصِي من دَواهيهِ[1]

(١) انظر: أمل الآمل ٢/ ٥١؛ خاتمة مستدرك الوسائل ٢/ ٤٧٠.

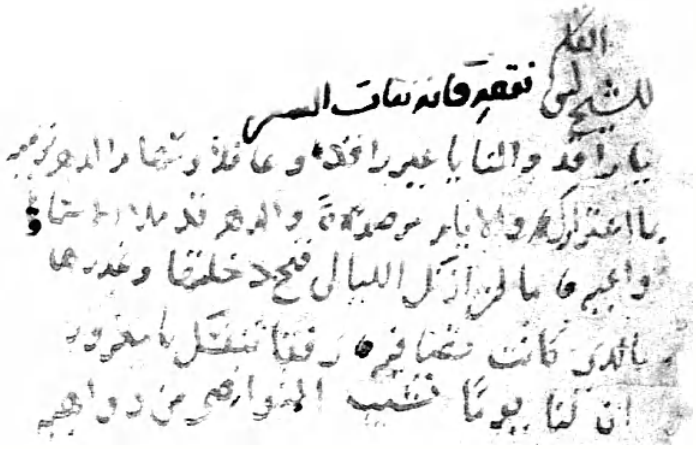

٢ـ أبيات للسيّد جلال الدين المطارآبادي يثني فيها على العلّامة الحلّي، ونصّها ما يلي:

للسيّد جلال الدين المطارآبادي يمدح الشيخ جمال الدين ﵀:

لقــد حَــقّ أن يُثنــى على بــنِ مطهّرٍ
فقد فاقَ فــي الآفــاق كلَّ الأمَاجدِ
ومَهّــد فــي تحريــرِه منهــجَ العُلــى
وشَــيّد أركانَ الهُــدى بالقَواعــدِ
سَــقى اللّه أرضًا حَلّ فــي عَرَصاتِها
مِــنَ المُعصِــراتِ الهاطِــلاتِ الرَّواعدِ
لقد كان في الإســلامِ رُكنًا مُوطَّدًا
وقــد كانَ للصادِيــنَ عــذبَ المَواردِ
ونَظّــم فــي تأليفِــه كلَّ درّةٍ
وألّــفَ فــي تصنيفِــه كلَّ شَــاردِ

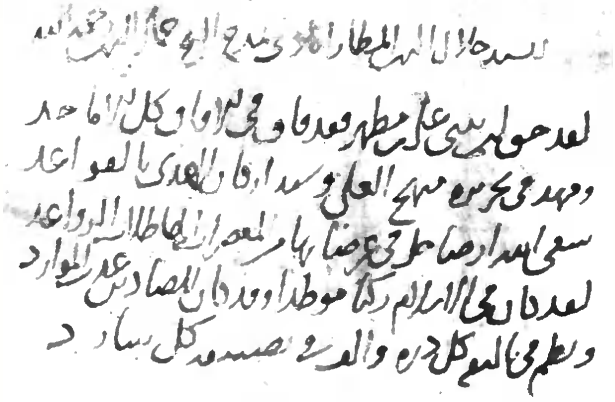

٣ـ أبيات منسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

لــو كانَ هذا العلــمُ يَحصُــلُ بالمُنى
مــا كانَ يَبقَــى فــي البَريَّــةِ جاهِلُ
فاجْهَــدْ ولا تَكسَــلْ ولا تَــكُ غافِلا
فنَدامــةُ العُقبَــى لِمَــن يَتَكاسَــلُ[1]

٤ـ بيتان في ذمّ الصبر:

الصبــرُ محمــودٌ إلــى غايــةٍ
وهــذه الغايــةُ حتّــى متــى؟
مــا أحســنَ الصبــرَ ولــو أنّــه
فــي ضِمنِــه يذهــبُ عُمــرُ الفتى[2]

وكُتبت في حاشية النسخة من أوّلها إلى آخرها حواش وشروح لثلاثة من الأعلام كما كتب على الورقة الأُولى، وهي بخطّ غير خطّ الشجري الكاتب للنسخة. وهذه الشروح هي:

(١) ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٢١٠.
(٢) انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم ١: ٣٤١.

١. شرح السيّد عميد الدين عبد المطّلب، وقد رمز إليه بالرمز (ع)، وهو شرحه المسمّى: «كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد».

وجاء في آخر حاشيةٍ من الجزء الأوّل من النسخة: «**قال السيّد عميد الدين: تمّ الجزء الأوّل من «كنز الفوائد في شرح مشكلات القواعد»، وبالله التوفيق، ومنه الإعانة والهداية إلى سواء الطريق. وذلك في أوقاتٍ أوّلها منتصف رجب الأصبّ المبارك من سنة سبع وثلاثين وسبع مئة، وآخرها العشرون من شعبان من السنة المذكورة. والحمد لله وحده، وصلواته على نبيّه وآله**».

ثمّ كتب الناسخ للحواشي المذكورة ـ أي: كتاب «كنز الفوائد» ـ: «**وفرغ من كتابته في حرم جدّه الغروي ـ على مشرّفه السلام ـ أصغر العباد محمّد بن الحسن الحسيني القمّي، أصلح الله [له] شأنه وللمؤمنين، في سنة شديدةٍ غاليةٍ، في أواخر صفر، تاريخ سنة خمس وعشرين وثمان مئة**».

٢. شرح الشيخ فخر الدين، وقد رمز إليه بالرمز (ع). وهو شرحه المسمّى: «إيضاح الفوائد في شرح مشكلات القواعد».

٣. شرح آخر لم نتعرّف عليه، وقد رمز إليه بالرمز (ش).

٣ـ التملّكات

الجزء الأوّل (مكتبة جامعة طهران)

١ـ «الله حسبي. هذا الجزء مع جزئه الأخير اللاحق به ممّا اشتراه مَن ثبت له فيه التصرّف، وهو عبد الله المفرّط في جنب مولاه، راقم هذه الأحرف. ورقم الفقيرُ إلى الله في الآخرة والأُولى، **محمّد بن محمّد المحسن ابن مرتضى المدعوّ بعلم الهُدى** ـ عفا الله عنه ما اجترح وجنى، وجعله من الذين سبقت لهم منه الحسنى ـ وذلك في محروسة أصفهان ـ صينت عن الجور والطغيان ـ لبعض شهور سنة خمس وستّين وألف من الأعوام الهجريّة الباهرة ـ سلام الله على الصادع بها، وعلى عترته الطيّبة الطاهرة ـ والحمد لله على آلائه المتواترة».

خاتمُه: (بمحمّدٍ عَلَمِ الهدى عَلِمَ الهدى عَلَمُ الهدى).

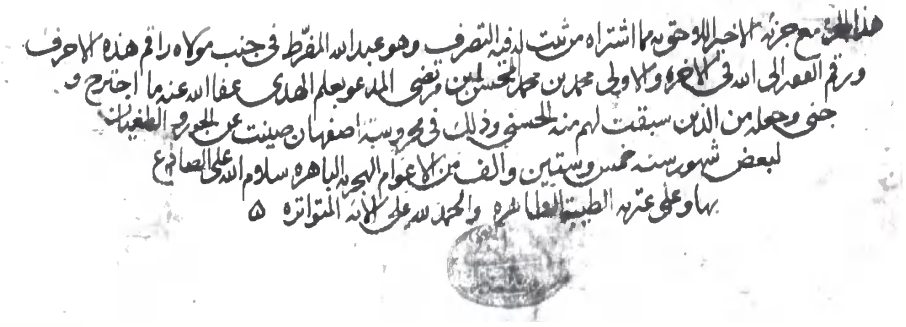

٢ـ «الله ثقتي. هذا الجزء مع جزئه الأخير اللاحق به ممّا منحني والدي الماجد الأُستاد الاستناد ـ أطال الله بقاءَه، و[أ]دام ظلالَ أفاداته على رؤوس العباد ـ حين قراءتي هذا الجزء على الفقيه النبيه الفاضل الأُستاد ابنِ ابنِ عمّ والدي المانح الذي [أرشـ]ـدني إلى سبيل الرشاد، محمّد المدعوّ بالهاد ـ [أ]

دام إفاضاته على الحاضر والباد ـ وذلك في بعض شهور حجّة ثلاث عشر ومئة وألف (١١١٣) من هجرة سيّد العبادِ، عليه وعلى آله ألف ألف الصلاة والسلام من الله ومن الملائكة ومَن في البلاد. وكتب هذه الأحرف مَن ثبت له فيه التصرّف عبد الله [المقصّر] في كلّ ما كلّفه به خالق العباد، **إسحاق بن محمّد علم الهدى ابن محمّد المحسن ابن المرتضى**، غفر الله لهم يوم التناد، في بلدتنا قاشان، صينت عن التعدّي والطغيان». خاتمُه: (جمال الدين إسحاق).

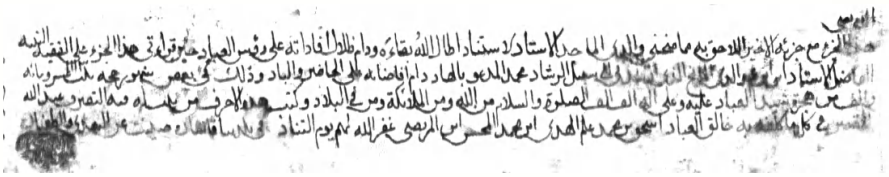

الجزء الثاني (مكتبة السيّد المرعشي النجفي)

١ـ «هذا الجزء مع الجزء الأوّل السابق عليه ممّا اشتراه مَن ثبت له فيه التصرّف، وهو عبد الله المفرّط في جنب مولاه، راقم هذه الأحرف. وكتب الفقير إلى ربّه في كلّ موقفٍ وموطنٍ، **محمّد المدعوّ بعلم الهدى ابن محمّد المحسن** ـ هداه الله هدى المتّقين، وكحّل عيني بصيرته بنور المعرفة واليقين ـ حامدًا مصلّيًا مستغفرًا».

ثمّ كتب: «كان شرائي له وتصرّفي فيه بمحروسة أصفهان ـ حماها الله عن التعدّي والطغيان ـ لشهور حجّة خمس وستّين وألف من الحجج الهجريّة الباهرة، صلوات الله على الصادع بها، وعلى عترته الطيّبة الطاهرة. والحمد لله على آلائه المتتالية المتواترة، ونعمه المتكاثرة المتضافرة، حمدًا نافعًا في الدنيا والآخرة». وخاتمُه: (بمحمّدٍ عَلَمِ الهدى عَلِمَ الهدى عَلَمُ الهدى)

٢ـ «الثقة بالله. هذا الجزء مع جزئه السابق ممّا منحني الوالد الماجد الفاضل المتبحّر النحرير الأُستاد، مَن لي في جميع العلوم العقليّة والنقليّة عليه الاعتماد ـ أدام الله ظلال إفاداته وإفاضاته علينا وعلى كافّة العباد ـ في بعض شهور حجّة ثلاث عشر ومئة وألف هجريّة، على هاجرها وآله ألف ألف صلاةٍ وتحيّةٍ. وكتب هذه الأحرف مَن ثبت له فيه التصرّف، الراجي عفو ربّه الغني الرزّاق، **ابن محمّد علم الهدى إسحاق**، حاسبهما حسابًا يسيرًا يوم التلاق، في بلدتنا قاشان، صينت عن الجور والطغيان». خاتمُه: (جمال الدين إسحاق)

٣ـ عبد الباقي الكاشاني سنة ١١٩٧هـ. وخاتمُه: (عبدُه الراجي عبدُ الباقي).

٤ـ محمّد عليّ سنة ١١٦١هـ. وخاتمُه: (إنّه من سليمان).

النتائجُ

تُقدّم دراسة هذه النسخة الخطّيّة والتعرّف إليها ثلاث نتائج مهمّة ومحوريّة:

١. **أهمّيّة ومكانة كتاب «قواعد الأحكام»**: تدلّ هذه النسخة على مدى الأهمّيّة والقيمة الممتازة لكتاب «قواعد الأحكام»، فهو كتاب ظلّ محورًا للدرس والبحث بين علماء الشيعة منذ زمن تأليفه وحتّى يومنا هذا.

٢. **القيمة المتفرّدة للنسخة ذاتها**: وتدلّ أيضًا على قيمتها الذاتيّة، وذلك من خلال المميّزات التالية:

* **شخصيّة الناسخ**: فقد كان كاتب النسخة نفسه من الفقهاء والعلماء البارزين في عصره.

* **التداول المستمرّ**: كانت هذه النسخة متداولة باستمرار بين أيدي الفقهاء والعلماء الشيعة الأجلّاء، وبقيت دائمًا في دائرة تدريسهم.

* **الشـواهد النصّيّة**: يتّضح هذا التداول والتدريس المستمرّ بجلاء من خلال الإجازات والفوائد والتعليقات المكتوبة على صفحاتها.

٣. **التعريـف بالعلـماء الشـيعة المغمورين**. لعـلّ أهم ما تَمخَّضـت عنه هذه الدراسـة هـو التعريف بتاريخ عدد من العلماء الشـيعة الذيـن ظلّوا مغمورين، والذيـن ارتبطـوا بهـذه النسـخة بطريقـة أو بأخـرى، فهـذه النسـخة تُشـير إلى شـخصيّات متعدّدة لم تذكر أسـماؤها إلّا قليلًا في المصـادر الأُخرى، أو لم تُذكر على الإطلاق.

المصادرُ والمراجعُ

١. أمل الآمل؛ الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، تحقيق: السيّد أحمد الحسينيّ، مكتبة الأندلس ـ بغداد.

٢. بحارالأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار عليهم السلام، المولى محمّد باقر بن محمّدتقيّ المجلسي (ت١١١٠هـ)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣. الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل، علي داود جابر، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، ١٤٢٦هـ.

٤. خاتمة مستدرك الوسائل، الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٥. ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرحه وضبط نصوصه د. عمر فاروق الطبّاع، دار الأرقم بن أبي الأرقم ـ بيروت.

٦. ديوان أبي علي البصير الفضل بن جعفر بن يونس الكاتب (ت بعد ٢٥٨هـ)، تحقيق د. يونس السامرائي، دار المواهب، بيروت، ١٩٩٩م.

٧. روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات، السيّد محمّد باقر الموسوي الخوانساري الأصفهاني (ت ١٣١٣هـ)، تحقيق: أسد الله إسماعيليان، مكتبة إسماعيليان ـ قم، ١٣٩٠ هـ.

٨. رياض العلماء وحياض الفضلاء: المولى عبد الله أفندي الأصفهاني (ت نحو ١١٣٠ه)، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامّة، قم، ١٤٠١ه.

٩. زهر الأكم في الأمثال والحكم: نور الدين حسن بن مسعود بن محمد اليوسي (ت ١١٠٢هـ)، تحقيق د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، الدار البيضاء، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

١٠. الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٤١٠هـ.

١١. طبقات أعلام الشيعة: الشيخ آقا بزرگ الطهراني (ت١٣٨٩هـ)،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٣٠هـ.

١٢. فهرست كتابخانه ي مركزى دانشگاه تهران (فهرس مكتبة جامعة طهران)، محمّد تقي دانش پژوه (١٣٧٥ ش)، انتشارات دانشگاه تهران، ١٣٣٩ ش.

١٣. مستدرك الفقيه على أمل الآمل وملحقاته: الشيخ محمّد تقي الفقيه العاملي، مؤسّسة تراث الشيعة، قم، ١٤٤٢هـ.

١٤. موسوعة طبقات الفقهاء، الشيخ جعفر السبحاني، مؤسّسة الإمام الصادق ـ قم، ١٤١٨هـ.

الدوريات:

١. مجلّة تراثنا (تصدر عن مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث)، العدد ١٤٠، شوّال، ذو الحجّة ١٤٤٠هـ.

ساكبُ العَبَرَات

لقوام الدين القزويني (ت ١١٥٠هـ)

تحقيق: أ.م.د. جواد كاظم عبد

كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى
jwad.alahassany@mu.edu.iq

رابط البحث: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v11i29.427

الملخص

هـذه القصيدة تعد من روائع رثاء الإمام الحسـين عليه السلام وأهل بيته نظمها قوام الديـن القزوينـي؛ إذ وصف ما جـرى على الإمام الحسـين عليه السلام، وعـلى أهل بيته وأصحابـه في واقعة الطف، وما ترك ذلك من حزنٍ في نفوس أتباعه ومحبيه، وبيَّن الدور الذي أداه الإمام الحسـين؛ إذ ابتدأ بنُصحهـم وتذكيرهم بالآخرة، ولم ينفع ذلك معهم؛ فقد اسـتحوذ عليهم الشيطان فأنسـاهم ذكر الله تعالى، ونسوا المنزلة التي حظي بها هذا الإمام العظيم عند جده رسول الله صلى الله عليه وآله.

الكلمات المفتاحيّة:

ساكب العبرات، قوام الدين، القزويني.

The Pourer of Tears
By Qawam al-Din al-Qazwini (d. 1150 AH)
(d. 676 AH)

Edited by: Asst. Prof. Dr.jwad Kazim abd
Allameh Hilli Center, Holy Qom
jwad.alahassany@mu.edu.iq

Abstract

This poem is a masterpiece of elegies for Imam Hussein (peace be upon him) and his family, composed by Qawam al-Din al-Qazwini. It describes what happened to Imam Hussein (peace be upon him), his family, and his companions in the Karbala incident, and the grief it left in the hearts of his followers and loved ones. It also highlights the role played by Imam Hussein, who began by advising them and reminding them of the Hereafter. However, this proved to be of no avail. Satan overpowered them, causing them to forget the remembrance of God Almighty, and they forgot the status this great Imam enjoyed with his grandfather, the Messenger of God (peace be upon him).

Keywords:

Sakib al-Ibrat, Qawam al-Din, Al-Qazwini.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

أحزنت واقعة الطف قلوب المؤمنين، وتركت الفجيعة في نفوسهم؛ فجعلوها موضوعًا لحديثهم، ونقطة حزن في تاريخهم؛ فما جرى على الإمام الحسين عليه السلام، وأهل بيته من ظلم وبطش واضطهاد لم يجرِ على أحد، ولم يكن لهذا الثائر العظيم من ذنب كي يُعامل بتلك الطريقة؛ فقد خرج لطلب الإصلاح في أمة جده بعد أن صارت زمام الأمور بيد الطغاة؛ فعاثوا في الأرض فسادًا؛ فبث الناس شكواهم، ودعوا إمام زمانهم الحسين بن علي عليه السلام ليخلصهم، ويغيِّر حالهم.

ولم يكن من طغاة عصره، ولا سيما مَنْ بيدهم زمام السلطة إلا أن يشتروا مَنْ باع آخرته بدنياه، وسعى إلى مصلحته؛ ليكونوا معهم، ويحققوا مآربهم من أجل إضعاف الحق، وهيمنة المخالفين لنهج رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد حفل التاريخ بحوادث كثيرة صدرت بتوجيه من الطاغية يزيد بن معاوية (لعنه الله) يندى لها جبين الإنسانية، وقد سعى هذا الطاغي إلى جمع جيوشه لمقاتلة الإمام الحسين عليه السلام على الرغم من الأحاديث المتواترة في منزلة الحسين عليه السلام عند جده النبي صلى الله عليه وآله، فقطعوا الماء عنه وعمَّن كان معه، وحاصروهم، وقاتلوهم، ومثلوا بأجسادهم الطاهرة، ولم يكتفوا بذلك؛ إذ ارتكبوا أبشع الصور الوحشية؛ فقد قطعوا رؤوسهم وساروا بها إلى الشام، وسبوا نساء أهل البيت، وعاملوهن بقسوة وغلظة.

ولا شك أن هذا الحدث العظيم أخذ منزلة كبيرة في قلوب الشعراء والكتَّاب، فانبروا بأقلامهم يصورون هذه المشاهد المؤلمة، ويبكون دعاة الحق ممَّن سعى إلى تطبيق المنهج الإسلامي الذي أرسى دعائمه النبي محمد صلى الله عليه وآله.

ومن الذين صوروا مشاهد الطف المؤلمة السيد قوام الدين القزويني؛ إذ اختار عنوانًا لقصيدته يفصح عن حزن وفجيعة؛ إذ أسماها (ساكب العبرات)، وقد ابتدأها ببَثِّ حُزنهِ وشكواه من هذا الحدث الجلل الذي ألَمَّ بهذا الثائر العظيم، ومن ثَمَّ ذكر اسم الأرض التي حصلت عليها المعركة، والدور الذي بدأه الإمام الحسين عليه السلام بنصح هؤلاء وتذكيرهم بالآخرة غير أن ذلك لم ينفع معهم؛ فقد اقترفوا جريمة كبرى لم ينسها التاريخ.

وقد نُظِمَت القصيدة على البحر الطويل، وقد اختار ناظمها قافية التاء نهجًا على ما نظمه دعبل الخزاعي رحمه الله في مرثيته التي ذكر بها أهل البيت عليهم السلام حين دخل على الإمام الرضا عليه السلام[1]، وقد بكى الإمام عليه السلام حين سمعها.

وقد صرَّح قوام الدين القزويني باسم الخزاعي بقوله:

وَقُلْتُ كَمَا قَالَ الخُزَّاعِيُّ لَيْتَنِي

تُوفِّيْتُ[2] فِيْهِم قَبْلَ حِيْنِ وَفَاتي

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه القصيدة حققها الشيخ محمد حسين الواعظ غير أنها نشرت ضمن إصدار يضم مقالات علمية مختلفة لتكريم آية الله الشيخ رضا الأستاذي باللغة الفارسية، بإعداد رسول جعفريان، منشورات مؤرخ بالتعاون مع المكتبة التاريخية المختصة، قم المقدسة؛ فعقدنا العزم على تحقيقها ونشرها.

ولابد من تقديم الشكر والعرفان إلى مدير مركز تصوير المخطوطات وفهرستها في العتبة العباسية المقدسة الأستاذ صلاح السراج؛ إذ ساعدنا في الحصول على نسخة المخطوطة؛ فجزاه الله خيرًا.

(١) يُنظر: ديوانه: ٣٩- ٤٥.

(٢) في أ: تَوَفَّيت.

التعريف بالناظم:

أولاً: نسبه وثناء العلماء عليه

هو الميرزا قوام الدين القزويني، محمد بن محمد مهدي الحسيني أو الحسني، السيفي الحليّ[١]، وجده إبراهيم بن المير محمد معصوم بن المير محمد فصيح بن مير أولياء الحسيني التبريزي المولد، القزويني المحتد، المتوفى سنة (١٠٩٩هـ)، يُنسب إلى الحلة السيفيَّة[٢]، و«بيت السيفي من بيوت السادة الأجلاء بقزوين»[٣]، أقام مدة في أصبهان، وانتقل بعد ذلك إلى قزوين، وبقي بها إلى أن توفَّاه الله تعالى[٤]، وقد عُرِفَ عنه أنه «متبحر في العلوم والفنون الدارجة في الحوزات العلمية في عصره، فاضل أديب جيد الشعر بالعربية والفارسية والتركية، متحلّ بالأخلاق الفاضلة، كثير الاحتياط في العلم والعمل»[٥]، ووصفه السيد عبد الله الجزائري بقوله: «قوام المجد العصامي وعصامه، وذروة الشرف السامي وسنامه، ومالك ناصية الفضل وعزتها، وإنسان عينه وقرَّتها، وشمس قلادته ودُرَّتها، ومُصرِّف أزمَّة النثر والنظم، ومُعيد رواء الأدب بعدما وهن منه العظم، وأوحده الذي يقطع البلغاء بفريد كلامه، ويلاعب في حلباته بأسنَّة أقلامه إلى علم وسع المعقول والمشروع، وأحاط بالأصول والفروع، وحلم وكرم وجود، وأخلاق يحقُّ لها السجود، وحظ عظيم من قوة الارتجال، والتهجم على أبكار المعاني في الحجال، وهتك الأستار منها والخدور، وافتراش

(١) يُنظر: تراجم الرجال: ١/ ٣٥٩، والصافية في نظم الكافية: ٢٥.
(٢) يُنظر: تلامذة المجلسي: ٧٦، والصافية في نظم الكافية: ٢٥.
(٣) الذريعة: ٢٧/ ١٥٦.
(٤) يُنظر: تلامذة المجلسي: ٧٣.
(٥) تلامذة المجلسي: ٧٦.

مجلة علمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث عن حوزة الحلة العلمية

الصـدور وافتراع البدور، واسـتخراج اللآلئ من البحـور، وتقليدها في أعناق الحور...»[١].

ثانيًا: شيوخه وتلامذته

تلقَّـى السـيد قـوام الديـن القزوينـي تعليمـه على أيـدي نخبة مـن العلماء الأجـلاء، ومنهم العلامة المجلسي، إذ قرأ عليه شـطرًا وافـرًا من العلوم الدينية والمعـارف اليقينية؛ فأجازه في شـعبان سـنة (١١٠٧هـ)[٢]، والشـيخ جعفر بن عبد الله بن إبراهيم الحويزي الكمرئي الأصفهاني (١١١٥هـ)[٣]، والسيد محمد رضا بن محمد قاسم القزويني (١١٢٣هـ)[٤].

وأمـا تلامذتـه فمنهـم علي بـن محمـد حسـين الزنجـاني (١١٣٦هــ)[٥]، وإبراهيـم بن محمد معصـوم القزويني (١١٤٩هـ)[٦]، ومحسـن بن محمد طاهر القزويني (ت بعد ١١٥٣هـ)[٧]، وعبد النبي بن محمد تقي القزويني[٨]، ومحمد علي بن أبي طالب المعروف بالشـيخ الحزين (١١٨٠هـ)[٩]، وابنه السيد عبد الله السيفي[١٠].

(١) تذييل سلافة العصر: ٣/ ٣.
(٢) يُنظر: تلامذة المجلسي: ٧٦، والصافية في نظم الكافية: ٢٧.
(٣) يُنظر: تكملة أمل الآمل: ٤/ ٢٥٦، والصافية في نظم الكافية: ٢٨. وتوشيح الوافية: ٧٥٢.
(٤) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة:٩/ ٢٦٩، وتوشيح الوافية بمعان كافية: ٧٥٢.
(٥) يُنظر: أعيان الشيعة: ٨/ ٣٣٠، والذريعة: ٢٤/ ١٩٩، وتلامذة العلامة المجلسي: ٢٠١.
(٦) يُنظر: الذريعة: ٢١/ ١٧٨.
(٧) يُنظر: روضات الجنات: ٦/ ٩٧، وأعيان الشيعة: ٩/ ٥٦، والذريعة: ٦/ ٨٤، ١١/ ٢٣٦، ١٣/ ٣٧٢.
(٨) يُنظر: تتميم أمل الآمل: ٩٢، ومرآة الكتب: ٣/ ٢١٨.
(٩) يُنظر: الذريعة: ٢/ ٣٧٣.
(١٠) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة: ٩/ ٤٦٥.

ثالثًا: مصنفاته

ترك السيد قوام الدين القزويني تراثًا زاخرًا بالمصنفات المتنوعة في شتى العلوم والمعارف، ومنها: الاثنا عشريات في المدائح[١]، والأسماء الحسنى[٢]، والتحفة القوامية في فقه الإمامية[٣]، والباقيات الصالحات[٤]، والتحيات الطيبات والتسليمات الفائحات على محمد وآله الهادين للحسنات[٥]، والإيضاح[٦] والحاشية على الشفاء[٧]، وله ديوان شعر بالعربية والفارسية[٨]، ورسالة في العروض[٩]، ورمح الخط في رسم الخط[١٠]، والشجرة الحسينية[١١]، ولعلها نفسها الرسالة في العروض[١٢]، والصافية في نظم الكافية[١٣]، واللعنية[١٤]، والمفرح القوامي في الطب[١٥]، ومنتخب الأحكام، ولعله التحفة

(١) يُنظر: الذريعة: ١/ ١١٣، وأعيان الشيعة: ٩/ ٤١٢.
(٢) يُنظر: فهرس فنخا: ٣/ ٥٢٦- ٥٢٧.
(٣) يُنظر: الذريعة: ٣/ ٤٦٢، وتذييل سلافة العصر: ٤٢، ومرآة الكتب: ٤/ ٣٢٨، وإيضاح المكنون: ٢/ ٧٣٤.
(٤) يُنظر: فهرس فنخا: ٥/ ٥٨٥.
(٥) يُنظر: الذريعة: ٣/ ٤٨٧- ٤٨٨.
(٦) يُنظر: الذريعة: ٤/ ١٠٠، وتلامذة العلامة المجلسي: ٧٣.
(٧) يُنظر: تكملة أمل الآمل: ٤/ ٢٥٦، والذريعة: ٦/ ١٤٣، وطبقات أعلام الشيعة: ٩/ ٩٠٦.
(٨) يُنظر: الذريعة: ١٥/ ٢٥٦.
(٩) يُنظر: أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٢، والذريعة: ١٥/ ٢٥٦.
(١٠) يُنظر: الذريعة: ١/ ٤٧١- ٤٧٢، ٤/ ٣٩٦، ١١/ ٢٤٨.
(١١) يُنظر: تذييل سلافة العصر: ٤٢.
(١٢) يُنظر: توشيح الوافية: ٧٥٣.
(١٣) يُنظر: تذييل سلافة العصر: ٤٢، وتكملة أمل الآمل: ٤/ ٢٥٦، والذريعة: ١/ ٥٠٤، ١٥/ ٥.
(١٤) يُنظر: الذريعة: ١٨/ ٣٢٧- ٣٢٨، وطبقات أعلام الشيعة: ٩/ ١٤٠.
(١٥) يُنظر: أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٢، والذريعة: ٢١/ ٣٦١، وطبقات أعلام الشيعة: ٩/ ٦٠٥.

القوامية[١]، ومنظومة البيان[٢]، ومنظومة في أصول الفقه نظم فيها مختصر ابن الحاجب[٣]، ومنظومة في الفقه نظم فيها زبدة الشيخ البهائي[٤]، ومنظومة في الأخلاق[٥]، ومنظومة في الإسطرلاب[٦]، ومنظومة في التجويد[٧]، ونظم الحساب[٨]، والوافية في نظم صرف الشافية[٩]، والشكيات المنظومة[١٠]، ومرثية (ساكب العبرات)[١١].

رابعًا: وفاته

تُوفِّي السيد قوام الدين القزويني بقزوين في ١٤ جمادي الأولى سنة (١١٥٠هـ)[١٢].

(١) يُنظر: طبقات أعلام الشيعة: ٩/ ٦٠٤، وتوشيح الوافية: ٧٥٣.
(٢) يُنظر: أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٢، والذريعة: ١/ ٤٦٤، ٢٣/ ٨٩.
(٣) يُنظر: تكملة أمل الآمل: ٤/ ٢٥٦، والذريعة: ١/ ٤٦١.
(٤) يُنظر: تكملة أمل الآمل: ٤/ ٢٥٦، والذريعة: ١/ ٤٦١، ٢٣/ ٨٣- ٨٤، ٢٤/ ٢١٣.
(٥) يُنظر: الذريعة: ١/ ٤٥٢.
(٦) يُنظر: تذييل سلافة العصر: ٤٢، والذريعة: ١/ ٤٥٥.
(٧) يُنظر: تذييل سلافة العصر: ٤٢، والذريعة: ١/ ٤٦٨، ٢٣/ ٩٣، ٢٤/ ٢٠١.
(٨) يُنظر: تذييل سلافة العصر: ٤٢، وتكملة أمل الآمل: ٤/ ٢٥٦، والذريعة: ١/ ٤٧١، ٧/ ٢٢٥، ١١/ ٢٣٦، ٢٤/ ٢٠٩- ٢١٠.
(٩) يُنظر: روضات الجنات: ٦/ ٩٧، والذريعة: ١/ ٤٨٢، ٤/ ٤٨٩، ١١/ ٢٤٨، ١٥/ ٥، ٢٥/ ١٩.
(١٠) يُنظر: الذريعة: ١٤/ ٢١٩.
(١١) يُنظر: الذريعة: ١٢/ ١١٩.
(١٢) يُنظر: أعيان الشيعة: ٩/ ٤١٢، والذريعة: ١/ ١١٣، ٤٩٦.

وصف النسخ:

اعتمدت في تحقيق هذه المخطوطة على نسختين:

ـ إحداهما: نسخة جاءت بعنوان (ساكب العبرات) موجودة في مكتبة (ملي ملك) في مدينة طهران، المحفوظة ضمن مجموعة تحت رقم (٢٢/ ٥٩٣)، وتبدأ من الصفحة (٥٩٧-٦٠١) [فهرس المكتبة: ١/ ١٨١].

وهي أصل النسخة المصورة المحفوظة في مركز إحياء التراث في مدينة قم المقدَّسة، تحت رقم (١١ ,٥٦٧)، [فهرس المكتبة:٢/ ١٥٨].

خطها: نستعليق، عدد أبياتها: (٧٢)، وقد أشار إلى ذلك في البيت الأخير الذي أرخ فيه سنة تأليفها.

تاريخ تأليفها: ١١٠٨هـ، وقد وثق ذلك في البيت الأخير من المخطوطة؛ إذ قال:

تاريخ نظمي لؤلؤ منظوم
وقدره من لؤلؤ معلوم
١١٠٨ ٧٢

* تاريخ نسخها: ١١٢٥هـ.
* عدد صفحاتها: ٤ صفحات.
* قياسها: ٥ ,١٣×٢١سم.
* عدد الأسطر: ٢٠ سطرًا.

وجدير بالذكر أنه توجد نسخة مصورة منها في مركز تصوير المخطوطات وفهرستها في العتبة العباسية المقدَّسة.

ـ والأخرى: تتمثل بالطبعة الحجرية لكتاب تظلم الزهراء من إهراق دماء

آل العبـاء للمـولى رضي بن نبـي القزويني (من أعلام القـرن الثاني عشر)، فقد وردت هـذه القصيدة في نهاية هذا الكتاب، وقد طبعت هذه النسـخة في مطبعة السيد مرتضى سنة (١٣١١هـ) بعناية غلام رضا الطهراني.

توثيق نسبة القصيدة إلى صاحبها:

وردت هـذه القصيدة منسـوبة إلى قوام الدين القزويني في النسـختين معًا، فضلاً عمَّا ورد في فهارس المخطوطات في إيران والعراق.

عملنا في التحقيق:

١- حرّرنـا النَّـصَّ على وفق القواعـد الإملائيّة المعاصرة، مع الإشـارة إلى الاختلاف في رسم بعض الكلمات.

٢- أشرنـا إلى نهايـة صفحـات النسـخة الفريـدة باختصار مفـردة (وجه) بالحـرف (و) وباختصـار مفـردة (ظهـر) بالحـرف (ظ)، فتكون الإشـارة بعد وضعها بين معقوفتين بـ[١/ و]، أي نهاية وجه هذه الصفحة، وكذا بـ[١/ ظ] أي نهاية ظهر الصفحة.

٣- وضعنـا قبل النـص المحقق صورة الصفحة الأُولى والأخيرة للنسـخة المعتمدة.

الصفحة الأولى من النسخة الأولى

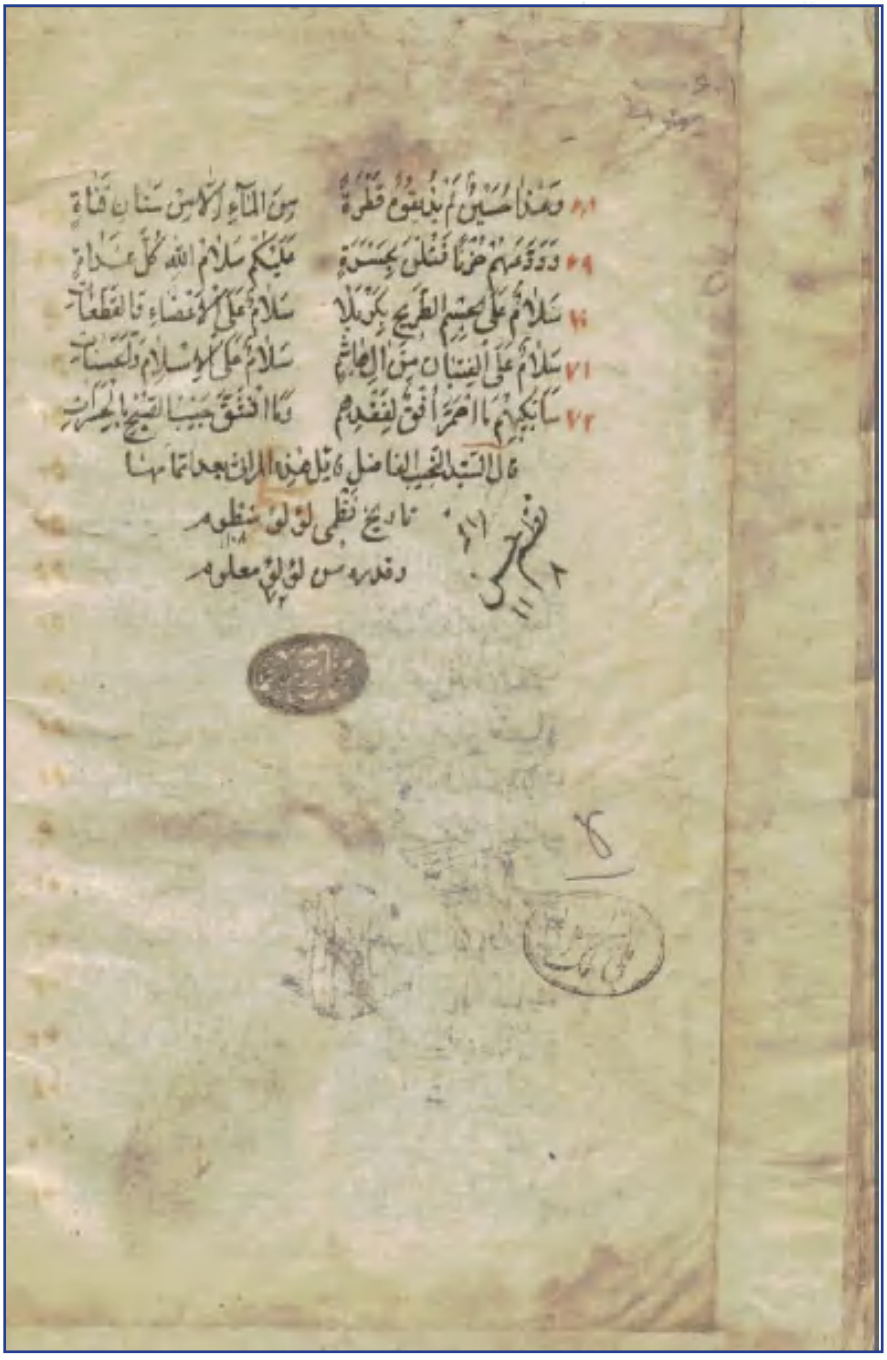

الصفحة الأخيرة من النسخة الأولى

الصفحة الأولى من النسخة الثانية

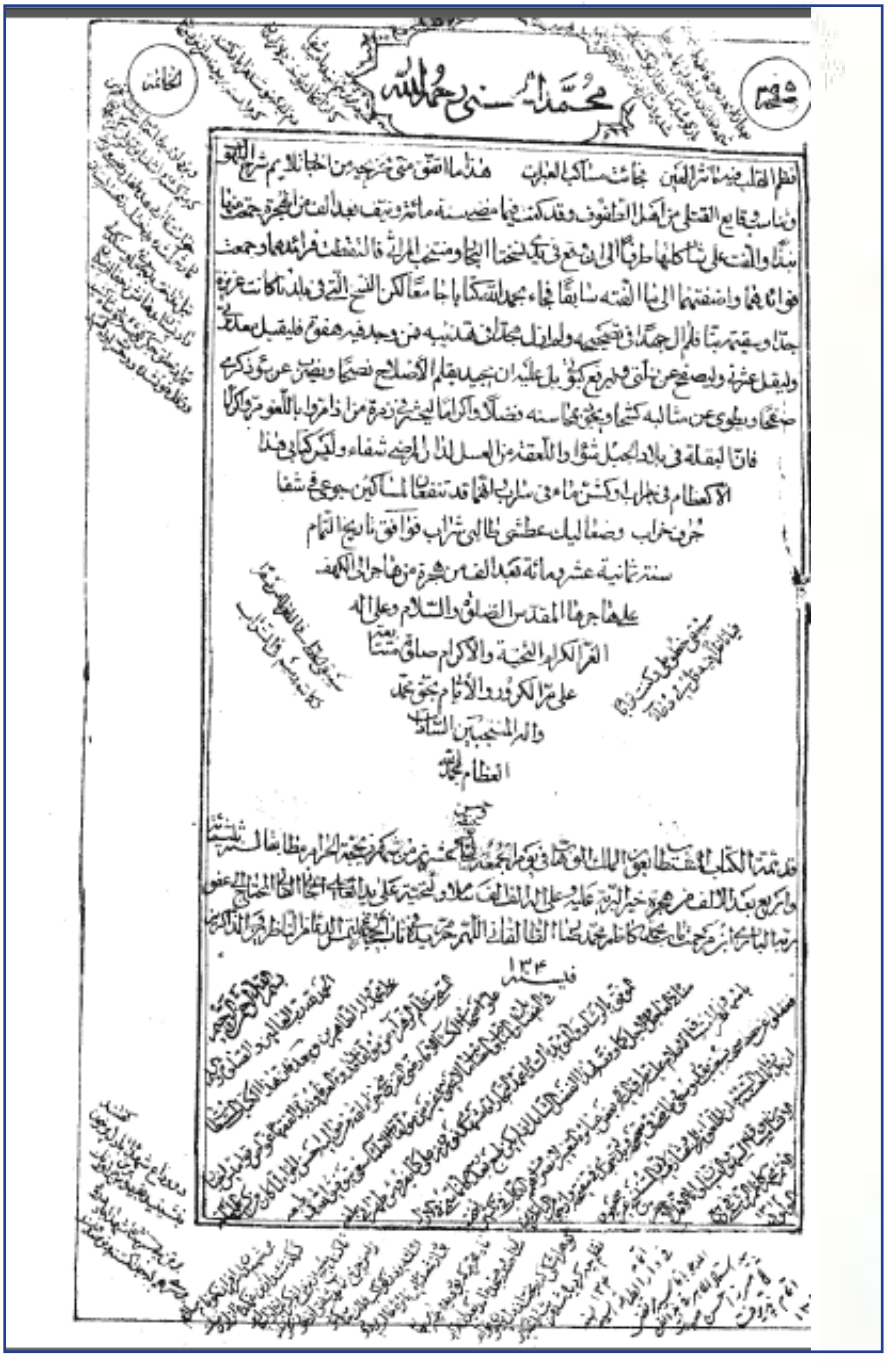

الصفحة الأخيرة من النسخة الثانية

النَّصُّ المُحَقَّقُ

مرثيَّة ميرزا قوام[١] القزويني[٢] المسمَّاة بساكبِ العَبَرَات[٣]

بِسْمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيْمِ

الحَمْـدُ لِمَـنْ خَـصَّ أُوْلِـي الأخْطَارِ
بالمِحْنَـةِ للصَّبْـرِ عَلَـى الأقْـدارِ[٤]
ثُـمَّ الصَّلـواتُ وَالتَّحِيَّـاتُ عَلَـى
مَـنْ خُـصَّ بِهَـا وَآلِـهِ الأطْهَـارِ[٥]
خَلِيْلِـيَّ شُـقَّا الجَيْـبِ بِالحَسَـرَاتِ
وَقُوْمَـا بِإِسْـعَادِي عَلَى الزَّفَـرَاتِ[٦]
فَإِنِّـي تَذَكَّـرتُ الحُسَـيْنَ وَصَحْبَهُ
فَبَـاتَ لَهُـمْ قَلْبِـي عَلَى جَمَـرَاتِ[٧]
وَقُلْتُ كَمَـا قَالَ الخُزَّاعِـيُّ[٨] لَيْتَنِي
تُوفِّيْـتُ[٩] فِيْهِـم قَبْـلَ حِـيْنِ وَفَاتِي

(١) في أ: قواما.
(٢) في أ: قزويني.
(٣) (هذه مرثية...) ليس في ب.
(٤) هذا البيت ليس في أ.
(٥) هذا البيت ليس في أ.
(٦) في ب: الذَّرفات.
(٧) في أ: جمراتٍ.
(٨) يريد بذلك الشاعر دعبل الخزاعي.
(٩) في أ: تَوَفَّيت.

بِنَفْسِـي حُسَـيْنٌ حِـيْنَ سَـارَ بِأَهْلِـهِ
مِـنَ الحَـرَمِ المَحْفُـوْفِ بِالبَـرَكَاتِ
فَأُلْبِـسَ بَيْـتُ اللّٰهِ ثَـوْبَ مُصِيْبَـةٍ
وَأَسْـبَلَ دَمْعًا زَمْزَمٌ (كَفُـرَاتِ[1])[2]
وَأُنْكِـرَ[3] جَمْـعٌ وَالمَشَـاهِدُ عُطِّلَتْ
وَلَـمْ يُعْـرَفِ المَعْـرُوْفُ فِـي عَرَفَاتِ
وَقَدْ أَرْسَـلَتْ أَهْـلُ العِـرَاقِ بِعُذْرِهِم
صَحَائِـفَ[4] تَدْعُوهُ بِلُطْـفِ نُكَاتِ[5]
هَلُـمَّ إِلَيْنَـا مَـا لَنَـا مِـنْ خَلِيْفَـةٍ
بِـهِ نَهْتَـدِي فِـي غَيْهَبِ الشُّـبُهَاتِ[6]
فَلَمَّـا دَنَـا[7] مِـنْ أَرضِهِـم بِكَرَامَةٍ
تَلَقَّـاهُ جَيْـشٌ مِـنْ طُغَـامٍ[8] بُغَـاةِ[9]

(١) في أ: كفراتٍ.
(٢) في ب:
فغَـارتْ عيونُ المجدِ منْ أرضِ يثرب وفـاضـت مـآقـي زمـزم هـمـلاتِ
(٣) في ب: وأفْرِدَ.
(٤) في ب: صحايف.
(٥) في أ: نكاتٍ.
(٦) في ب:
هَلُـمَّ إلينـا بالسـعادة مقبـلاً لتنظم أمـر الـديـن بعد شتاتِ
(٧) في أ: دنى.
(٨) ( ) في ب: طغاة.
(٩) في أ: بغاةٍ.

فَبَعْـدَ مَقَـالاتٍ جَـرَتْ قَـالَ أَخْبِرُوا
بِأَسْـمَاءِ هَذَا الأَرْضِ فِـي البُقْعَاتِ[1]
فَقَالُوا تُسَـمَّى كَرْبَـلاءَ[2] وَنَيْنَوَى[3]
وَبِالطَّـفِّ تُدْعَى يا ابْـنَ[4] خَيْرِ بَنَاتِ
فَقَـالَ أَنِيْخُـوا أَرْضُ كَـرْبٍ وَمِحْنَةٍ
وَأَرْضُ بَـلاءٍ تُعْقِـبُ[5] النَّكَبَـاتِ
وَحُطُّوا رِحَالِـي وَاضْرِبُوا قُبَّةَ العُلا[6]
فَفِيْهَـا يُثَـارُ النَّقْـعُ بِالعَثَـرَاتِ
وَتُنْهَـبُ أَمْوَالِـي وَتُهْتَـكُ حُرْمَتِـي
وَتُقْتَـلُ أَصْحَابِـي بِغَيْـرِ تِـرَاتِ
فَقَـامَ عُبَيْـدُ اللهِ بِالحُمْـقِ نَاعِقًـا
فَنَادَى ابْنُ[7] سَـعْدٍ تَابِعَ[8] الشَّهَوَاتِ[9]

(١) في ب:
فصـدُّوه بالعـدوان صـدًّا فقال ما يُسمُّون هذي الأرض في البقعاتِ.
(٢) في أ: كربلاءً.
(٣) في ب: ونينوا.
(٤) في أ، ب: يابن.
(٥) في ب: يعقب.
(٦) في أ، ب: العلى.
(٧) في أ: ابنَ.
(٨) في ب: خاسر.
(٩) في ب: الصَّفقات.

تَخَيَّرْ قِتَالَ السِّـبْطِ يَهْنَـأُ لَكَ العُلا[١]
بِمَنْشُـوْرِ مُلْـكِ الـرَّيِّ وَالرَّقَبَـاتِ
فَجَـاءَ يَقُوْدُ الجَيْـشَ بِالخُبْثِ قَاصِدًا
لِحَـرْبِ الإِمَـامِ الطَّيِّـبِ المَلَـكَاتِ
فَأَنْذَرَهُـم بَطْـشَ[٢] الإِلَـهِ وَقَهْـرِهِ[٣]
فَلَـمْ يَنْفَـعِ التَّذْكِيْـرُ بِالمُثُـلاتِ
فَقَـالَ لَهُـم نَسْـتَمْهِلُ القَـوْمَ لَيْلَـةً
نَقُـوْمُ بِذِكْـرِ اللهِ وَالصَّلَـوَاتِ
فَقَامُـوا بِإِحْيَـاءٍ إِلَى الصُّبْحِ خُشَّـعًا
يُنَاجُـونَ رَبَّ النُّـورِ وَالظُّلُمَـاتِ
وَقَلَّبَـتِ الأَفْـلاكُ عَيْنًـا فَأَظْهَرَت[٤]
بَيَاضًـا وَأَبْـدَى الدَّهْرُ وَجْـهَ عدَاةِ[٥]
وَقَـدْ نَشَـرَ اللَّيْـلُ الذَّوَائِـبَ بَاكِيًا
فَشَـقَّ الصَّبَـاحُ الجَيْـبَ بِالكُرُبَاتِ
فَبَـادَرَ[٦] أَصْحَابُ الحُسَـيْنِ فَبَادَرُوا
إِلَـى جَنَّـةِ الفِـرْدَوْسِ بِالرَّغَبَـاتِ

(١) في أ، ب: العلى.
(٢) في ب: قهر.
(٣) في ب: وبطشه.
(٤) في ب: فأبرزت.
(٥) في أ، ب: عداةٍ.
(٦) في ب: فبارز.

فَأَحْسِنْ بِهِم أَصْحَاب صِدقٍ بِجِدِّهِم
يَعُدُّوْنَ حَتْفَ النَّفْسِ عَيْنَ حَيَاةِ[٧]
رِجَالٌ وَأَبْطَالٌ هُمُ الأُسْدُ فِي الوَغَى
رِجَالاً وَفُرْسَانًا لَدَى الحَمَلاتِ[٨]
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَصْحَابِهِ غَيْرُ آلِهِ
وَلَيْسَ لَهُم مِنْ نَاصِرٍ وَمُوَاتِ[٩]
هُنَاكَ دَعَا هَلْ مِنْ مُغِيْثٍ يُغِيْثُنَا
وَيُكْسَى لِبَاسَ الأَمْنِ فِي الغُرُفَاتِ[١٠]
فَشَدُّوا عَلَيْهِم وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ
فَرَدُّوا جُمُوْعَ الكُفْرِ مُنْهَزِمَاتِ[١١]
فَعَضَّهُم نَابُ الزَّمَانِ بِجَدِّهِ
فَصَارُوا بِأَيْدِي الجَمْعِ رَهنَ[١٢](شَتَاتِ[١٣])[١٤]

---

(٧) في أ: حياةٍ، وفي ب: حيات.

(٨) في ب:

يُسابق بعضًا بعضهم ليبشروا ... بمقدم رضوان في الغرفاتِ

(٩) في أ: ومواتٍ.

(١٠) في ب:

هناك دعا هل من مغيث يغيثنا ... ليؤمنه الرحمن في العرصاتِ

(١١) في ب:

فلله هم من عترة نبوية ... وَقَوا دينهم في الله بالمهجاتِ

(١٢) في أ: وهن.

(١٣) في أ: شتاتٍ.

(١٤) في ب:

وما وهنوا حتى أصابهم الرَّدى ... كرامًا وما ضلُّوا طريق هدات

والصواب: (هداة).

فَمِنْ هَاشِـمِيٍّ هَشَّـمَ السَّـيْفُ وَجْهَهُ
بِنَضْـحِ دَمٍ قَـدْ خَضَّـبَ الوَجَنَـاتِ
وَمِـنْ عَلَـوِيٍّ فِـي حَضِيْـضِ مَذَلَّـةٍ
وَقَـدْ حَلَّ فَـوْقَ النَّجْمِ فِـي الدَّرَجَاتِ
فَنُوحُوا عَلَى السَّـادَاتِ مِنْ آلِ هَاشِـمٍ
وَبُوْحُـوا بِسِـرِّ الوَجْـدِ بِالزَّفَـرَاتِ
عَلِيًّـا وَعَبَّاسًـا وَعَوْنًـا وَقَاسِـمًا
نُجُـوْمُ العُـلا[1] وَالمَجْـدِ مُنْتَثِـرَاتِ[2]
وَكُلَّ لِسَـانِي عَنْ حِكَايَـةِ مَا جَرَى
عَلَى السِّبْطِ يَوْمَ الطَّفِّ مِنْ سَطَوَاتِ[3]
وَإِذْ وَدَّعَ الأَحْبَـابَ مُسْـتَوْدَعًا لَهُـم
عَلَـى حَـالِ يَـأسٍ مُوْقِنًـا بِوَفَـاةِ[4]
فَقَـالَ وَأَرْضُ الكَرْبِ تُسْـقَى بِدَمْعِهِ
سَـلامٌ عَلَيْكُـم عِتْرَتِـي وَثِقَاتِـي
سَـلامٌ مِـنَ المَوْتُـورِ عِنْـدَ انْقِطَاعِهِ
عَلَـى الأَهْـلِ وَالأَوْلادِ وَالأَخَـوَاتِ
فَقُمْـنَ وَأَرسِـلْنَ الدُّمُـوعَ تَلَهُّفًـا
وَأَمْسِـكْنَ مِنْـهُ الذَّيْـلَ مُنْتَجِبَاتِ[5]

(١) في أ: العلى.
(٢) في أ: منتشراتٍ، ب: منتشرات.
(٣) في أ: سطواتٍ.
(٤) في أ: بوفاتٍ، ب: بوفات.
(٥) في أ: منتجباتٍ، ب: منتحبات.

إِلَى أَيْنَ يَا ابْنَ[1] المُصْطَفَى كَوْكَبَ الدُّجَى الدُّجَى
وَيَا هَادِيَ الأَصْحَابِ فِي الظُّلُمَاتِ
إِلَى أَيْنَ يَا ابْنَ[2] المُرْتَضَى أسَدَ الوَغَى[3]
وَيَا كَهْفَ أَهْلِ البَيْتِ فِي الأَزَمَاتِ
فَيَا لَيْتَنَا مُتْنَا وَلَمْ نَرَ مَا نَرَى
وَيَا لَيْتَنَا لَمْ نُمْتَحَنْ بِحَيَاةِ[4]
فَمَنْ لِلْيَتَامَى بَعْدَ فَقْدِ أَبِيْهُمُ
وَمَنْ لِبَنَاتِ الطُّهْرِ (مُنْهَتِكَاتِ[5])[6]
وَمَنْ لِكِتَابِ اللّٰهِ يَعْرِفُ وَجْهَهُ
وَلِلأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالصَّلَوَاتِ
ومَنْ لِجِهَادِ الكُفْرِ وَالعَدْلِ فِي الوَرَى[7]
وَمَنْ لِحُدُودِ اللّٰهِ وَالحُرُمَاتِ

(١) في أ، ب: يابن.
(٢) في أ، ب: يابن.
(٣) في ب: الوغاء.
(٤) في أ: بحياةٍ، ب: بحيات.
(٥) في أ: منهتكاتٍ.
(٦) في ب:

فمن لليتامى إذ تهدَّم ركنهم ومَنْ للعذارى عند فقد ولات

والصواب: ولاة.
(٧) في ب:

ومَنْ لجهاد الكافرين إذا اعتدوا .....

فَقَالَ أَيَــا[1] أَهْلَ المُصَــابِ بِمَأتَمِي[2]
مِــنَ الطَّاهِــرَاتِ الزُّهْــرِ وَالخَفَرَاتِ
إِذَا قَطَــعَ الأَعْدَاءُ رَأسِــي مِــنَ القَفَا
وَأَشْــرَقَ شَــمْسُ[3] الدينِ فَوْقَ قَنَاةِ[4]
فَبِالضَّــرْبِ لا تَخْمِشْــنَ وَجْــهَ طَهَارَةٍ
وَبِالكَرْبِ لا تَشْــقُقْنَ ثَــوْبَ ثَبَاتِ[5]
وَحِــيْنَ تَــزُوْرُونَ النَّبِــيَّ فَأَبْلِغُــوا
إِلَيْــهِ سَــلامِي خَاشِــعًا وَصَلَوَاتِــي[6]
فَقُولُــوا[7] لَهُ يَا خِيْــرَةَ اللّٰهِ فِي الوَرَى
حُسَــيْنُكَ مَقْتُولٌ[8] بِشَــطِّ فُــرَاتِ[9]
وَمِــنْ بَعْــدِهِ زُورُوا البَتُــولَ فَسَــلِّمُوا
عَلَيْهَــا سَــلامًا طَيِّــبَ النَّفَحَــاتِ
وَقُولُــوا لَهَــا يَــا أُمَّنَــا قَــدْ أَصَابَنَــا
مِــنَ الأَسْــرِ ذُلٌّ بَعْــدَ عِــزِّ حُمَــاةِ[10]

(١) في ب: ألا يا.
(٢) في ب: لمأتمي.
(٣) في أ: شمسَ.
(٤) في أ: قناةٍ، ب: قنات.
(٥) في أ: ثباتٍ.
(٦) في ب: وصلاتِ.
(٧) في ب: وقولوا.
(٨) في ب: مذبوح.
(٩) في أ: فُراتٍ.
(١٠) في أ: حماةٍ.

وَيَا شِـيْعَتِي لا تَتْرُكُـوا قَصْدَ تُرْبَتِي
فَإِتْيَانُهَـا مِـنْ أَعْظَـمِ القُرُبَـاتِ
وَفِيْهَـا شِـفَاءٌ لِلْعُيُـوْنِ مِـنَ العَمَـى
وَفِيْهَـا يُجِيْـبُ السَّـامِعُ الدَّعَـوَاتِ
وَحِيْنَ شَـرِبْتُم بَـارِدَ المَـاءِ فَاذكُرُوا
وَفَاتِـي عَطْشَـانًا عَلَـى حُرُقَـاتِ[1]
وَصُبُّـوا عَلَيَّ[2] الدَّمْعَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
فَإِنِّـي قَتِيْـلُ الدَّمْـعِ وَالعَبَـرَاتِ
وَإِذْ أَخَـذَ الطِّفْـلَ الرَّضِيْـعَ مُعَلِّـلاً
وَقَـدْ جَـفَّ ثَـدْيُ الأُمِّ بِالرَّضَعَـاتِ
رَمَـاهُ بِسَـهْمٍ كَافِـرٌ ذُو فِظَاظَـةٍ[3]
فَأَلْقَمَـهُ بِالنَّصْـلِ[4] ثَـدْيَ مَمَـاتِ[5]
وَبَعْـدَ وَدَاعِ اليَـأسِ أَقْبَـلَ مُقْدِمًـا
بِمُنْجَـرِدٍ ذِي سُـرْعَةٍ (كَقَطَاةِ[6])[7]

(١) في أ: حرقاتٍ.
(٢) في أ: على.
(٣) في ب: قساوة.
(٤) في ب: بالنبل.
(٥) في أ: مماتٍ.
(٦) في أ: كقطاةٍ.
(٧) في ب:

وضاق عليه الدهـر فاقتحم الرَّدى على سـابـح لا يـحـذر الـغَـمَـرات

كَشَمْسٍ عَلَى طَوْدٍ[١] فَسَلَّ مُهَنَّدًا
فَصَالَ عَلَى أَبْطَالِهِم بِثبَاتِ[٢]
وَكَرُّوا عَلَيْهِ يُمْنَةً ثُمَّ يُسْرَةً
بِسَهْمٍ وَعَضْبٍ صَارِمٍ (وَقَنَاةِ[٣])[٤]
فَأَنْزَلَهُ إِكْثَارُهُم عَنْ جَوَادِهِ
جَوَادًا فَيَا للهِ مِنْ (غَمَرَاتِ[٥])[٦]
فَكَمْ ضَرْبَةٍ شَقَّتْ فُؤادَ مُحَمَّدٍ
وَكَمْ طَعْنَةٍ فِي الدِّيْنِ (والسُّورَاتِ[٧])[٨]
فَيَا غُرْبَةَ الإِسْلامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ
وَذِلَّةِ أَهْلِ الحَقِّ بِالغَلَبَاتِ
وَأَقْبَلَتِ الأَعْدَاءُ نَحْوَ خِيَامِهِ
تَغِيْرُ عَلَى النِّسْوَانِ وَالفَتَيَاتِ

(١) في أ: طُود.
(٢) في أ: بثباتٍ.
(٣) في أ: وقناتٍ.
(٤) في ب:
وكرُّوا عليه يمنةً ثم يسرةً
بسيفٍ وسهمٍ نافذ وقناةٍ.
(٥) في أ: غمراتٍ.
(٦) في ب:
فأنزله زحف العدى عن جواده وزعزع طود المجد بالصدمات
والصواب: زحف العدا.
(٧) في أ: والسَّوَرات.
(٨) هذا البيت ليس في ب.

وَمَـرَّ بِهِـنَّ الرَّكْـبُ فِـي أَسْـرِ ذِلَّةٍ
عَلَـى مَصْـرَعِ القَتْلَى بِـأَرْضِ فَلاةِ[1]
فَأَبْدَيْنَ حُزْنَ القَلْبِ بِالنَّوْحِ والبُكَا[2]
وَنَادَيْـنَ يَـا جَـدَّا تَـرَى الغَمَـرَاتِ[3]
فَهَـذَا حُسَـيْنٌ بِالدِّمَـاءِ مُرَمَّـلٌ
طَرِيْحٌ عَلَـى الرَّمْضَاءِ أَرْضَ[4] عُرَاةِ[5]
وَهَـذَا حُسَـيْنٌ لَـمْ يُذِيْقُـوه قَطْـرَةً
مِـنَ المَـاءِ إِلاَّ مِـنَ سَـنَانٍ قَنَـاةِ[6]
وَوَدَّعَهُـم حُزْنًـا فَقُلْـنَ بِحَسْـرَةٍ
عَلَيْكُـم سَـلامُ اللهِ كُلَّ غَـدَاةِ[7]
سَلامٌ عَلَى الجِسْمِ الطَّرِيْحِ بِكَرْبَلا[8]
سَـلامٌ عَلَـى الأَعْضَـاءِ وَالقَطَعَـاتِ
سَـلامٌ عَلَـى الفِتْيَـانِ مِنْ آلِ هَاشِـمٍ
سَـلامٌ عَلَـى الإِسْـلامِ وَالحَسَـنَاتِ

(١) في أ، ب: فلاتٍ.
(٢) في أ: والبكى.
(٣) في ب:
فأبديـن ما لا يُسـتطاع من الجوى ونـاديـن يـا جـدًّا تـرى الـورطـات
(٤) في ب: بين.
(٥) في أ: عراةٍ، ب: عرات.
(٦) في أ: قناةٍ، ب: قتاة.
(٧) في أ: غداةٍ، ب: غدات.
(٨) في ب: بكربلاء.

سَــأَبْكِيْهُم مَــا احْمَرَّ أُفُــقٌ لِفَقْدِهِم
وَمَا انْشَــقَّ جَيْبُ الصُّبْحِ بِالحَسَــرَاتِ
فَاضَــتْ العَــيْنُ للحُسَــيْنِ بِدَمْــعٍ
قَدْ جَرَى فِي الطُّفُوفِ مَجْرَى الفُرَاتِ[1]
نَظَــمَ القَلْــبُ فِيْــهِ مَــا نَثَــرَ العَــين
فَجَــاءَت[2] مَسَــاكِبُ العَبَــرَاتِ[3]

قَالَ السَّيِّدُ النَّجِيبُ الفَاضِلُ قَائِلُ[4] هَذِهِ المَرَاثِي بَعدَ إتْمَامِهَا[5]:

تَارِيْــخُ نَظْمِــي لُؤلُــؤٌ مَنْظُــومٌ[6]
وَقَــدْرُهُ مِــنْ لُؤلُــؤٍ[7] (مَعْلُــومٌ[8])[9]

(١) هذا البيت ليس في أ.
(٢) في ب: فجائت.
(٣) هذا البيت ليس في أ.
(٤) في أ: قايل.
(٥) (قال السيد... تمامها) ليس في ب.
(٦) ورد أسفل هذه الكلمة الرقم (١١٠٨) وهو تاريخ تأليف الأرجوزة.
(٧) ورد أسفل هذه الكلمة الرقم (٧٢)، وهو عدد أبيات القصيدة.
(٨) ورد في آخر المخطوطة: (راقمه نظم حسن ١١٠٨).
(٩) هذا البيت ليس في ب.

المصادرُ والمراجعُ:

١. أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين، حققه وأخرجه حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

٢. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (١٣٩٩هـ)، صححه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د. ت.

٣. تتميم أمل الأمل، الشيخ عبد النبي القزويني (من علماء القرن الثاني عشر)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٤. تذييل سلافة العصر، للسيد عبد الله الجزائري(١١٧٣هـ)، تحقيق: السيد هادي باليل الموسوي، المكتبة الأدبية المختصة، ١٤٢٠/ ١٩٩٩م.

٥. تراجم الرجال، للسيد أحمد الحسيني، ط١، منشورات دليل ما، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦. تكملة أمل الآمل، للسيد حسن الصدر (١٣٥٤هـ)، تحقيق: حسين علي محفوظ، عبد الكريم الدباغ، عدنان الدباغ، ط١، دار المؤرخ العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

٧. تلامذة العلامة المجلسي والمجازون منه، السيد أحمد الحسيني، ط١، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة، قم المقدسة، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٨. ديوان دعبل بن علي الخزاعي، شرحه حسن حمد، ط١، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.

٩. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، للشيخ آغا بزرك الطهراني (١٣٨٨هـ)، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.

١٠. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، للعلامة الميرزا محمد باقر الموسوي الخراساني الأصبهاني (ت ١٣١٣هـ)، ط١، الدار الإسلامية، بيروت، ١٩٩١م.

١١. الصافية في نظم الكافية، قوام الدين القزويني (١١٥٠هـ)، تحقيق: قاسم رحيم حسن، رياض رحيم ثعبان، قصي سمير عبيس، ط١، مركز تراث الحلة، بابل، ٢٠١٤م.

١٢. فهرس فنخا، الفهرس الموحد

للمخطوطات الإيرانية، مصطفى درايتي، مركز الوثائق والمكتبة الوطنية، إيران.

١٣. مرآة الكتب، علي بن موسى بن محمد شفيع التبريزي (١٢٧٧هـ)، تحقيق: محمد علي الحائري، مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة، قم المقدسة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

الدوريات:

١. توشيح الوافية بمعان كافية، للمولى محسن بن محمد طاهر القزويني (ت بعد ١١٥٣هـ) ـ باب الميزان الصرفي، دراسة وتحقيق، حامد ناصر الظالمي، سجاد محمد ضرب، مجلة (دواة)، المجلد التاسع، العدد السابع والثلاثون، السنة التاسعة، ٢٠٢٣م.

Publication Policy

(1) Al-Muhaqiq is a peer-reviewed journal issued three times a year by the Allama Al-Hilli Center affiliated with the Holy Shrine of Imam Hussein. The journal welcomes research papers and studies from inside and outside Iraq in the following areas:

• Quran and Its Sciences (exegesis and exegetes, Quranic sciences, Quranic readings)

• Jurisprudence and Its Principles (comparative jurisprudence, inferential jurisprudence, principles of jurisprudence)

• Hadith and 'Ilm al-Rijal (biographical evaluation, Hadith of the Infallibles)

• Rational Sciences (logic, theology, philosophy)

• Arabic Linguistic Studies (phonology and morphology, syntax, semantics, literary and rhetorical studies)

• Historical Studies (biographies, events and occurrences)

• Ethics and Mysticism (ethics, Sufism, 'Irfan)

• General Knowledge (pure knowledge, human sciences)

• Text Editing (Tahaqiq) (edited texts, collected texts)

• Bibliography and Indexes

(2) Submitted research must adhere to recognized international academic publishing standards and methodology.

(3) The submitted manuscript must not have been published previously, accepted for publication, or submitted to

another journal. The author must sign a declaration confirming this.

(4) The journal does not publish translated studies unless official written permission from the original author and publishing body is provided.

(5) The author bears full responsibility for the content of the submitted paper. The views expressed in articles represent only their authors and do not necessarily reflect the views of the journal.

(6) The arrangement of published papers follows technical considerations relating to the identity and thematic priorities of the journal.

(7) The journal notifies the author of receiving the manuscript within a maximum of ten days from the date of submission.

(8) The journal informs the author of acceptance or rejection within two months from the date of receiving the manuscript.

(9) Rejected manuscripts are not returned to their authors.

(10) Authors must carry out the required revisions based on the editorial board's or reviewers' reports and resubmit the revised version within one week.

(11) All submitted papers undergo academic peer review by specialists, as well as plagiarism checks.

(12) Copyrights of publication, printing, and both electronic and hard-copy distribution are transferred to the journal under a formal agreement signed by the author. No party may republish or translate the article without written permission from the author and the Editor-in-Chief.

(13) The author may not withdraw a paper after its acceptance for publication; however, withdrawal before acceptance is allowed only with the explicit approval of the Editor-in-Chief.

(14) Authors must disclose any financial or other support received during the preparation of the study.

(15) Authors must notify the Editor-in-Chief if they discover any major error or inaccuracy in their research and must contribute to correcting it.

Indix

Posited Concepts in the Thought of Allama al-Hilli

Asst. Prof. Dr. Darioush Bokhordian /Islamic Azad University, Shiraz, Asst. Prof. Dr. Mohammad-Taqi Qabuli Darafshan/ Ferdowsi University of Mashhad, Asst. Prof. Dr. Mohammad-Taqi Fakhlai/ Ferdowsi University of Mashhad.....19

Posited Concepts in the Thought of Allama al-Hilli

Asst. Prof. Dr. Mohsen Daryabeyki, Tehran, Saeed Alami, Tehran, Dr. Saqr Sabouh, Allameh Hilli Center.....45

The Pivotal Role of the Hilla School in Shaping Imami Gnostic Thought (7th–9th Centuries AH)

Ali Hassan Ahmed al-Qattan al-Bustani/ Najaf al-Ashraf.....75

Amir Abd Allah al-Faris al-Hasani: His Life and Tomb in the Flourishing City of Hilla

Haydar Shakir Mahmud al-Jadd/ Najaf al-Ashraf.....115

The Dimensions and Area of the Shrine of Sahib al-Zaman in Hilla: A Review through Social History

Dr. Saeed Tavousi Masour/ Allameh Tabataba'i University, Translated by: Mohammad-Hossein Hekmat.....149

The Poetry of Yahya ibn al-Batriq al-Hilli: Collection and Critical Edition

Collection and Critical Editing: Dr. Saad Al-Haddad/ *Allama al-Hilli Center.....171*

A Valuable Manuscript of Qawa'id al-Ahkam: A Descriptive and Analytical Study

Edited by: Saeed al-Jamali/ Allameh Hilli Center, Holy Qom.....219

The Pourer of Tears By Qawam al-Din al-Qazwini (d. 1150 AH)

Edited by: Asst. Prof. Dr.jwad Kazim abd /Allameh Hilli Center, Holy Qom.....255

(11) Keywords (maximum five) must be in Times New Roman, size 11 Italic, justified.

(12) Affiliations must appear in the following order without abbreviations:

(Department, College, University, City, Country), along with an email address.

(13) The abstract must avoid abbreviations and citations.

(14) Author names must not appear anywhere in the manuscript body.

(15) Footnotes must follow recognized academic citation standards, including source title, volume number, and page number, numbered sequentially and placed at the end of the study (except in edited texts).

(16) Manuscripts must adhere to academic writing standards in structure, sections, footnotes, and references. Images of manuscripts (for edited texts) must be placed appropriately within the text.

(17) References must be listed at the end of the paper according to the Harvard Reference Style.

(18) All studies consulted, whether cited in the text, tables, or images, must appear in the reference list.

(19) Authors must answer the following question:

Was this research conducted under any personal, professional, or financial relationships that may be interpreted as a conflict of interest?

Authors' Guidelines

(1) The journal accepts research papers and studies that fall within its thematic areas outlined in the publication policy.

(2) Submitted manuscripts must be original and unpublished in any journal or other medium.

(3) Authors must agree to grant the journal exclusive rights of publication, paper and digital distribution, archiving, and reuse.

(4) The manuscript must not exceed 40 pages.

(5) Manuscripts should be submitted to the journal via its official emails:

alalama.alhilli@yahoo.com

mal.muhaqeq@yahoo.com

(6) Manuscripts must be prepared using Word or LaTeX, on A4 size paper, using Times New Roman, font size 14.

(7) An abstract not exceeding 100 words must be provided, along with five keywords.

(8) The first page of the manuscript must include:

- *Title of the research*
- *Author's/Authors' name(s) and affiliations*
- *Author's/Authors' email address(es)*
- *Abstract and keywords*

(9) The title must be centered, in Times New Roman, size 16 Bold.

(10) The author's/Authors' name(s) must be centered under the title, in Times New Roman, size 12 Bold.

(7) Whether the author discusses and supports their findings in a scientific and convincing manner.

(8) The review must remain confidential; the author should not be informed of any part of the process.

(9) If the reviewer wishes to consult another reviewer, the Editor-in-Chief must be notified.

(10) Direct communication between reviewers and authors is not permitted; all comments must be sent to the author through the Managing Editor.

(11) If the reviewer suspects plagiarism, they must specify the sources to the Editor-in-Chief.

(12) Reviewer comments and recommendations are essential in deciding whether the manuscript should be accepted or rejected. The reviewer must clearly identify sections requiring minor editorial changes and those requiring major revisions by the author.

Reviewers' Guidelines

The primary responsibility of the academic reviewer is to thoroughly examine the manuscript within their field of specialization using a scholarly and objective academic perspective, free from personal views. The reviewer must then provide constructive and sincere comments on the manuscript.

Before beginning the review process, the reviewer should ensure that the manuscript is indeed within their academic specialization and that they have sufficient time to complete the review, which must not exceed ten days.

Once the reviewer accepts the task, the assessment should follow these criteria:

(1) The research must be original and significant.

(2) The research must align with the journal's general policy and publication guidelines.

(3) The reviewer must determine whether the topic has been addressed in previous studies; if so, they should indicate those studies.

(4) The extent to which the title accurately reflects the content.

(5) Whether the abstract clearly conveys the purpose and content of the research.

(6) Whether the introduction states the objectives clearly and identifies the problem addressed in the study.

Al-Muhaqqiq

A Quarterly Scientific Bulletin
Concerned with Studies and Research about
Al-Hilla Scholarly Hawza (Seminary)

Jounral website

https://almuhaqaq.alamaalhilli.org

ISSN 2521- 4950

2958 - 5422

Depository Number in the Iraqi House for Books and Documents

2236 /2017

Address

Iraq - Babylon - Hilla - Doctors Street - Hilla Contemporary Museum building

phone

TeL. +9647732257173

+9647808155070

EMAIL

alalama.alhilli@yahoo.com

mal.muhaqeq@yahoo.com

The english Translator Depended by The Bulletin

Asst. Lect. Jaafar Isa Abdulabbas

Technica Design

Aws Abd Ali

Direction

Saif Basim Naji

Editor-in-chief

Prof. Dr. Abbas Hani Ach-Charrakh

Editor

Asst. Prof. Dr. Badr Nasser Hussein Al Sultani

prof. Dr. Waleed Mohamed Al Sarakibi

Syria

prof. Dr. Mohamed Abdul majeed Al asdawy

Egypt

prof. Dr. Ali Abdul-Hussein Abdullah Al-Muzaffar

Iraq

Asst. Prof. Dr. Karim Hamza Hamidi

Iraq

prof. Dr. Salah Hassan Hashem Al-Araji

Iraq

prof. Dr. Ali Mohsen Badi

Iraq

prof. Dr. Blasim Aziz Shabib Al-Zamili

Iraq

prof. Dr. Adi Jawad Alhajjar

Iraq

prof. Dr. Mohamad Karim Ibrahim

Iraq

prof. Dr. Razak Hussein Farhoud

Iraq

prof. Dr. Haider Mohamad Ali Al-Sahlani

Iraq

|Iran

Al-Muhaqqiq

A Scientific Bulletin

Concerned with Studies and Research about

Al-Hilla Scholarly Hawza (Seminary)

Issued by

Al-Allama Al-Hilli Centre for the Revival of the Heritage

of Al-Hilla Hawza and Re-constructing its Sites

The Eleventh year/Volume Eleven/ Issue No.29

2026AD/1448AH

29